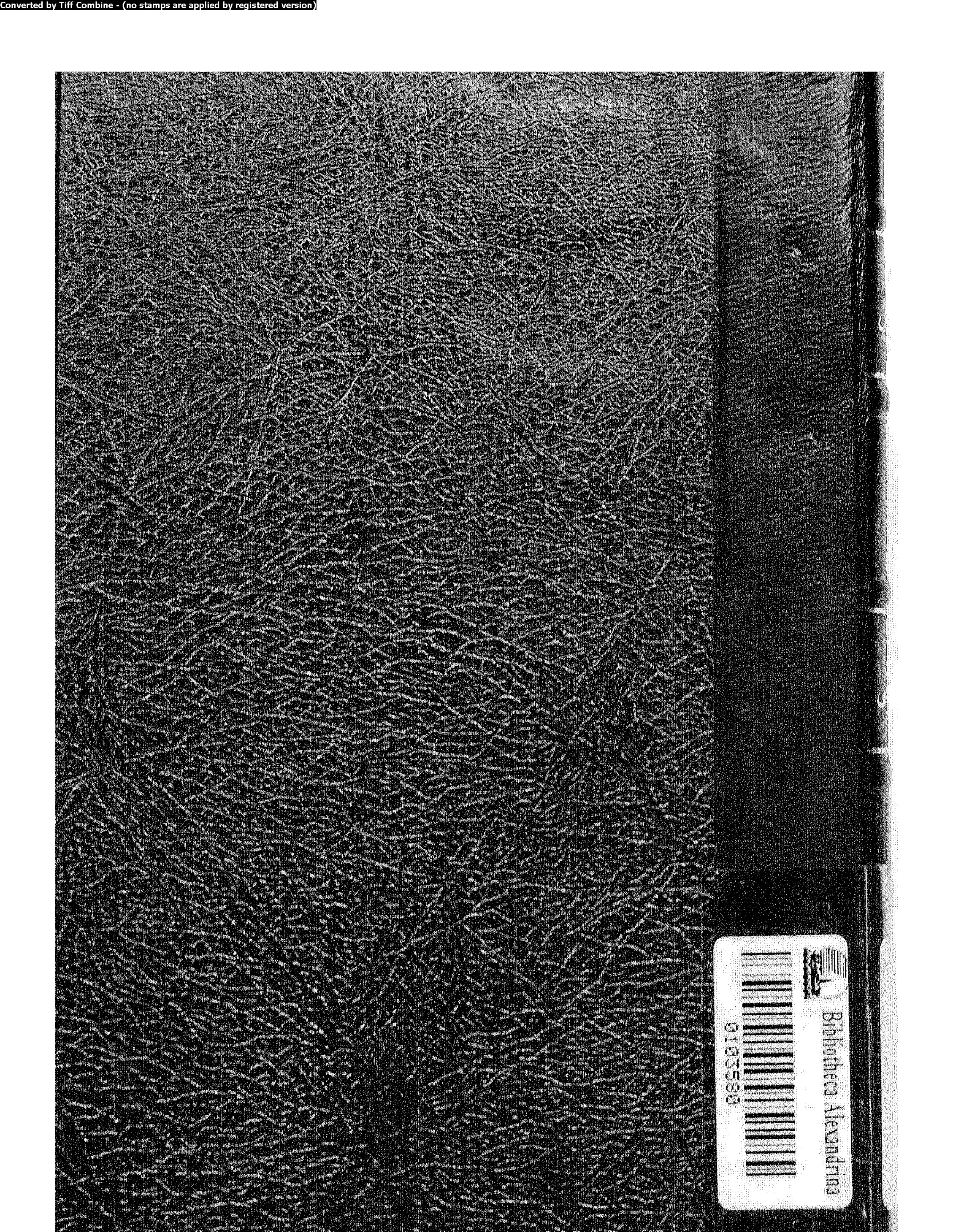
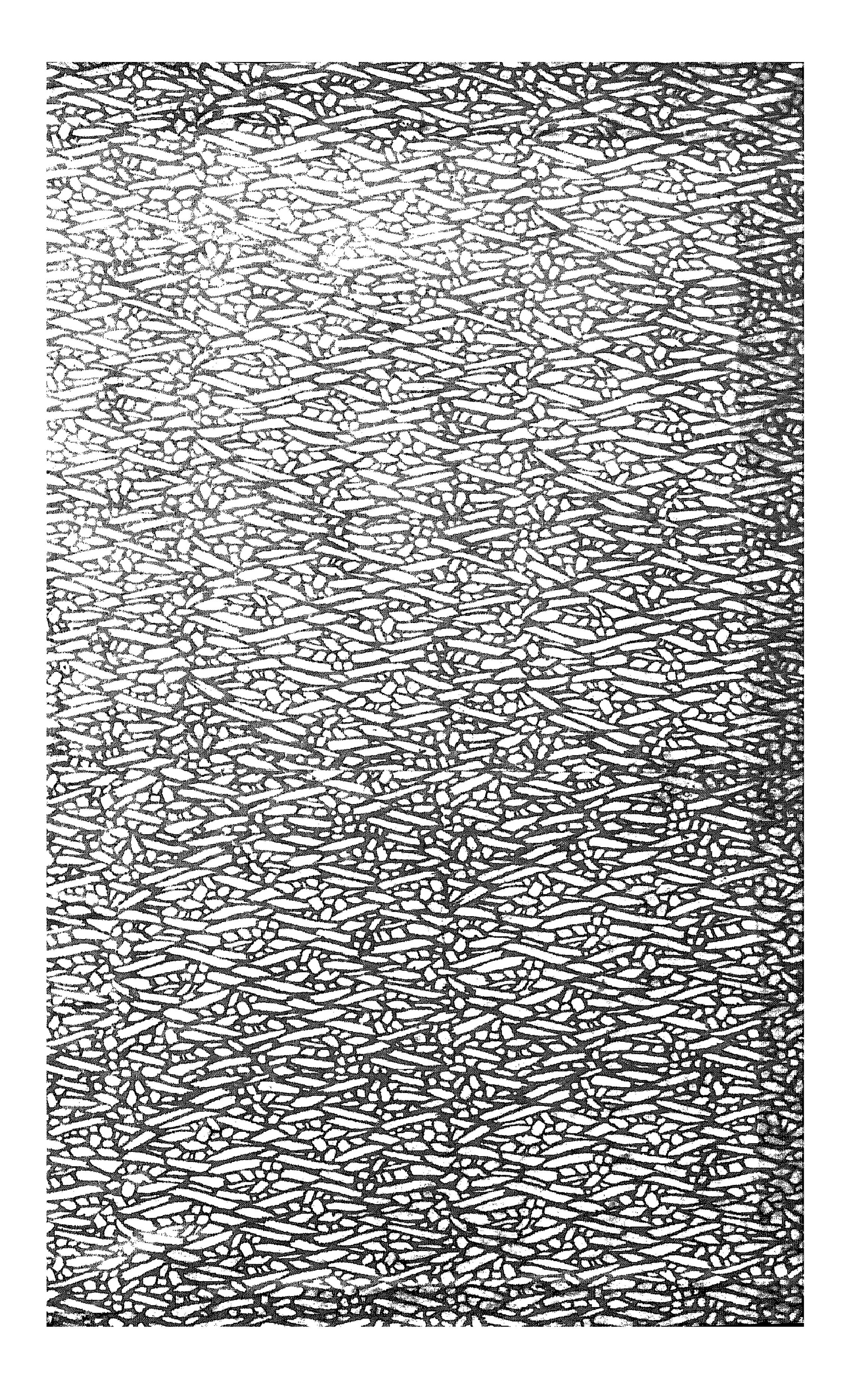
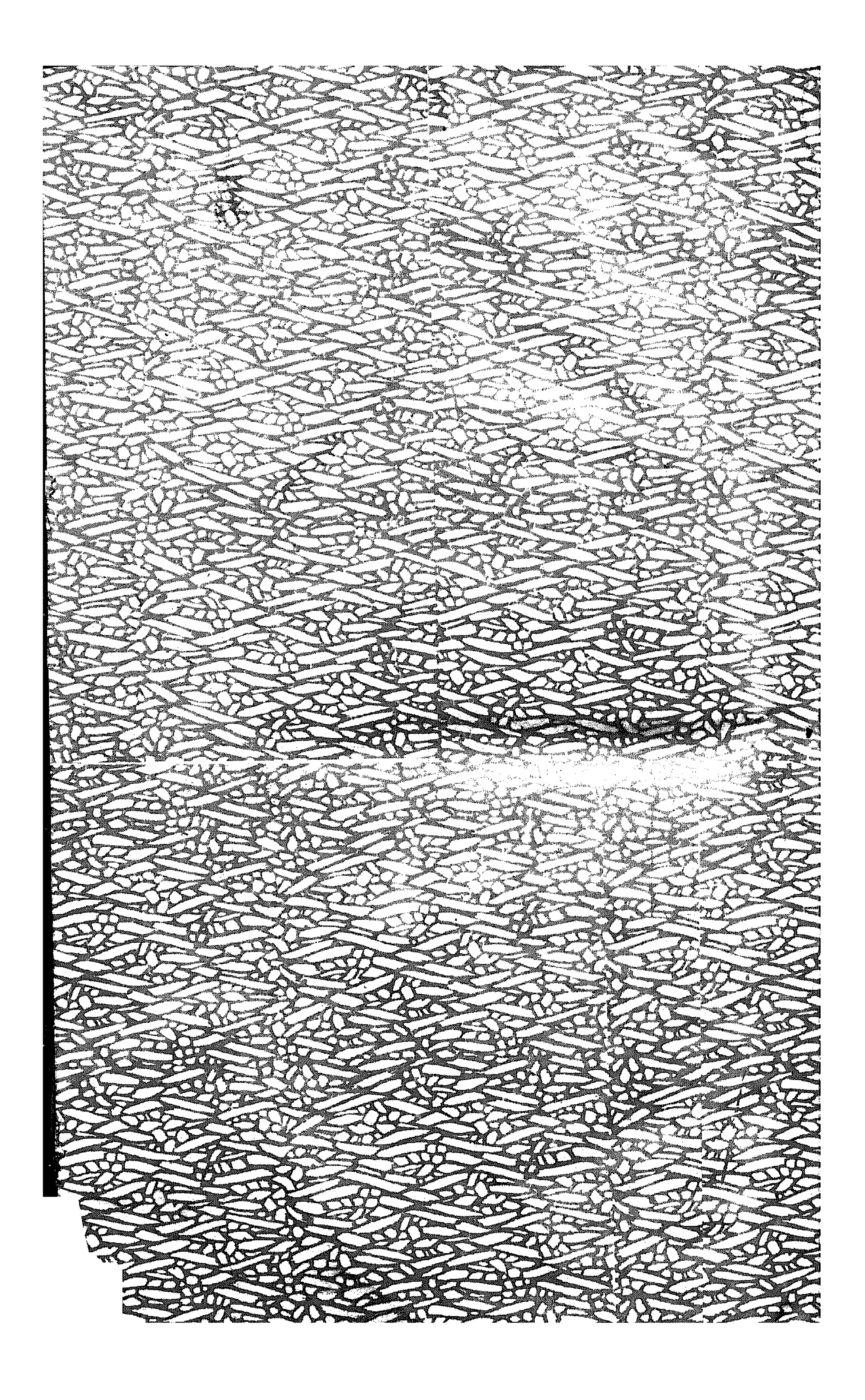
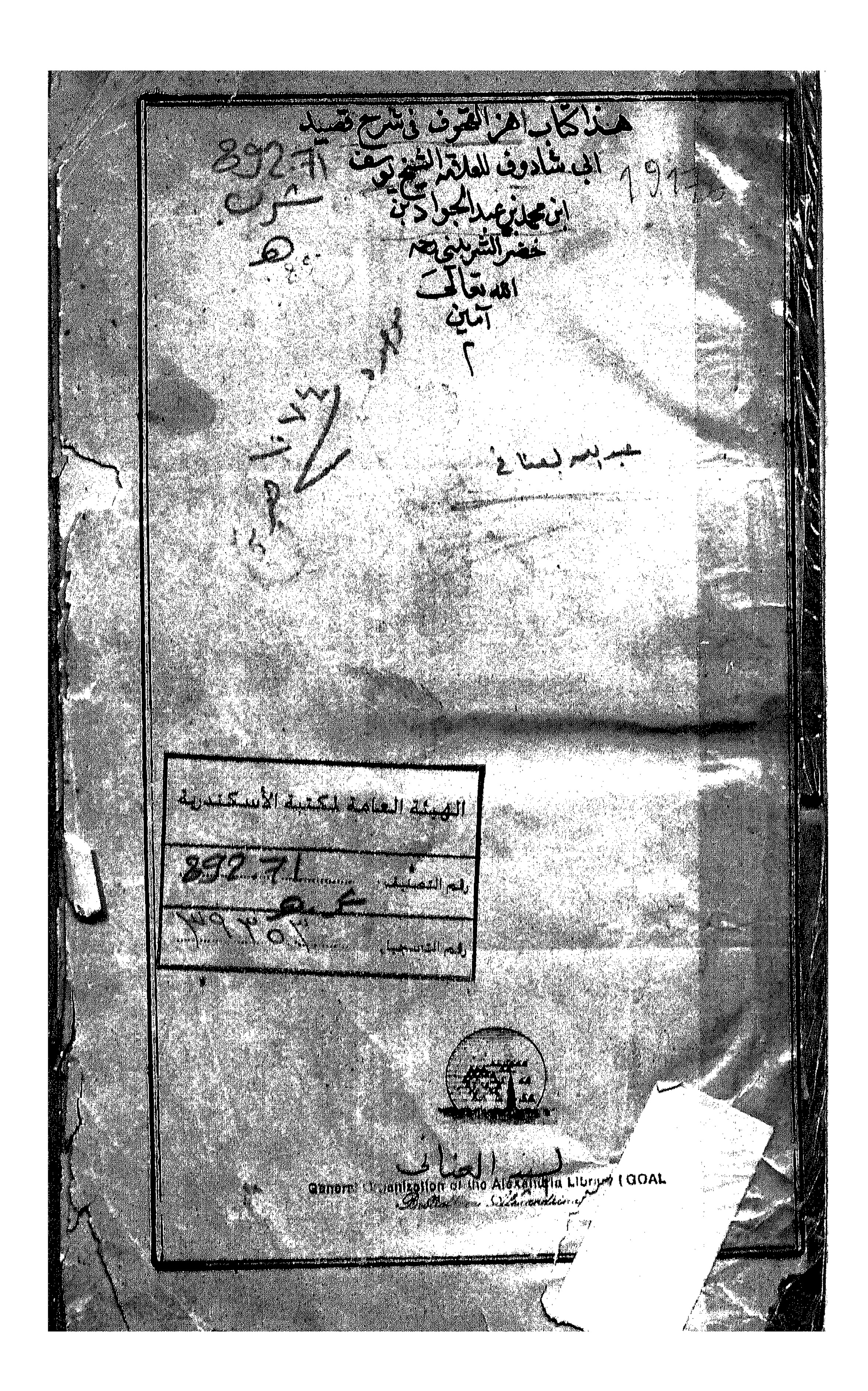

Bibliotheca Alexandrina
0103580









هذا كتاب اهز القحوف في شرح قصيد
ابي شادوف للعلامة الشيخ يوسف
ابن محمد بن عبد الجواد بن
خضر الشربيني رحمه
الله تعالى
آمين
٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان بنطق اللسان وخصه بعموم الفضل والامتنان
وهيأه لادراك دقائق المعرفة والبيان وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان
وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممر الازمان وميز صاحب الذوق
السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان وخص اضداده بسوء الخلق وكثافة
الطبع كعوام الريف اراذل الجدران والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث
من افضل جرثومة العرب بنى عدنان المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان
وعلى آله واصحابه الذين جعلهم الله لاقطا فى جواهر العلم افنان وصلاة وسلاما
دائمين متلازمين فى كل وقت واوان وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى
يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه انه لما مر على
من نظم الارياف الموصوف بكثافة اللفظ بلا اختلاف المتشابه فى رصه لطين
الجوالس وجرى ذكره فى بعض المجالس قصيد ابى شادوف الحاكى لبعض
الحروف اوطين الجروف فوجدته قصيدا ياله من قصيد كانه عمل من حديد
اورص من طوب الجريد فالتمس منى من لا تسعنى مخالفته ولا يمكننى الا
طاعته ان اضع عليه شرحا كريش الفراخ او غبار العفاش وزوابع السباخ يحل الفاظه
السخيفة ويبين معانيه الذميمة ويكشف القناع عن وجه لغاته القشرية
ومصادره المشكلية ومعانيه الركيكة ومقاصده العبيطة والفاظه العويطة
وان اتممه بحكايات غريبة ومسائل هبالية عجيبة وان اتحفه بشرح لغات الارياف
التى هى فى معنى ضراط النمل بالاختلاف واشعارهم المختلفة من بحر الزغابيط
واشتقاق بعض كلماتها التى هى فى الصفات تشبه الشراميط ووقائع وقعت لبعضهم بالاتفاق
فى القاهرة ومصر وثغر بولاق وذكر فقهائهم الجهال وعلمهم الذى
يشبه ما البطال وفقرائهم الاجلاف واحوال الاولياء منهم والاطراف
وذكر نسائهم عند الهراش وملاعبتهن فى الفراش التى هى تشبه نط العرس
او زربة الجاموس وان اورد بعد كلام المتن بمعنى اذا قرأها السامع يحكى
طعم البول واذا اقتطفت من يانع ثمار الفاظها الناظر فكانك قد قطفت
زبل الغول واذا نظرت الى اشعاره فكانها رص القلقيل واذا تاملت عفاشة
كلامه فكانك تلوك زبل الخيل وان اصرح فيه ببعض نكات هزلية وحكم
هبالية على سبيل المجون والخلاعة والدبدبة والصقاعة حتى يشتهر شرح هذه
القصيدة من دمياط الى رشيد واسوان لا يخلو منه اقليم ولا بلد من بلاد الصعيد
وقال انه يخلو سامعه من تواتر الالفاظ التى كالرلائى او ربما اعترى

قارئه ضرب من الطراش وهو ان مر على المسامع يمر كالريح واذا مجه الطبع كالمرض
للصحيح كما قال الشاعر الفصيح الملتقط بشعره من الدر الوضيح

اذ لحققت ان اللفظ صوت ... وان الصوت معنى يا فصيح
فحقق ان تاليفي كلام ... تلذ به المسامع وهو ريح

وفي المثل في البحر سمك يفسي نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعوا لا
خليه ولا باس بوصف هذا الشرح بابيات كأنها بول البنات فاقول

كتاب قد حوى فن الولاش ... كتاب قد اتى مثل الفراش
كتاب فيه اوراق وحبر ... وقول صادق مع قول لاش
وفيه يا اخي من كل معنى ... اذا ما ذقته طعم الحفاش
والفاظ به تحكى لبول ... عليها رونق مثل القماش
وفيه مسائل حارت هبالا ... عليها سابل مثل القماش
وبه النظم مثل الثوب رصا ... وفيه مسائل جاءت بلاش
اذا طالعته حقا وصدقا ... فلا تامن سريعا من طراش

وكل هذا لمناسبة الفاظ القصيد وطل معانيه التي تحكى خوف الجريد فالشارح
لا يخرج عن كلام الماتن كما هو عادة الفاطن في هذا الفن والناظر فيما له
من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك ولو نقش على عامود الصوان لتحرك ولو مس
به حجر لتشظى ولو القي في اليم لتكدر فهو جدير بان يرقم ببول الجحوش على جدران
الكنائس وحقيق بان يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس وان يلقى على رؤوس
المزابل ولحق بان يرسم على جدران المكاسل فهو شرح عديم النظير في الكلام
لكونه في معنى اوصاف الرعافة وليس له شبيه في التفاله لكونه في وصف ذي الرذالة
واعلم ان كل شرح لابد له من اسم يناسبه ويعلم عليه يقاربه (وقد سميت) هذا
الشرح هز القحوف بشرح قصيد ابي شادوف واطلب من القريحة الفاسدة
والفكرة الكاسدة الاعانة على كلام اعرضه من بنات الافكار واسطره في الاوراق
من فشار وان يكون من بحر الخرافات والامور الهباليات والخلاعة والجنون
ولفظ يحاكى كلام ابن سودون فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعة
ولا يميل الى قول فيه البلاغة والبراعة لان النفوس الآن متشوقة الى شئ يسليها

ففي مذهبي ان الخلاعة راحة * تسلي هموم الشخص عند انقباضه

وزماننا هذا لا يعيش فيه الا من عنده طرف من التمسخر والخلاعة والدبدبة والصقا

ولهذا قال الشاعر مات من عاش بالفصاحة جوعا وحظي من يموه او يتمسخر
فقد تساق الارزاق لمن لا يدرك الخط في الاوراق ويحرم صاحب البلاغة ولا يجد
من القوت بلاغة ولهذا قال الشاعر

رزق التيوس يجيئها بسهولة ... وذووا الفصاحة رزقهم مسجون
ان كان حرماني لاجل فصاحتي ... يا من علي من التيوس اكون

وقال البوصيري الاديب رحمه الله تعالى مواليا

رب الفصاحة عديم الذوق يتعاظم ... والابلم التيس متصدر ومتعظم
يا رب ان كان حرماني كما تعلم ... امنن علي اكون تيس بن تيس ابلم

وقال ابن الراوندي

يا قاسم الرزق كم ضاقت بي الحيل ... ما انت متهم قل لي من اتهم
تعطي اليهود قناطيرا مقنطرة ... من اللجين ورحلي ما لها قدم
اعطيتني حكما لم تعطني ورقا ... قل لي بلا ورق ما تنفع الحكم

فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله ويداري وقته بما يناسب لاحواله ويكون حذرا من دهره وصولته ويرقص للقرد في دولته ويباشر الناس على قدر احوالهم ويدور معهم وينسج على منوالهم ويندرج في مدارج غلماتهم ويظهر في مظاهر براعاتهم كما قال بعضهم * ودارهم ما دمت في دارهم وحيهم ما دمت في حيهم * وحسن العشرة مع بعضهم * يعتد الكل على بعضهم * وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال لوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا قليل وهدم نفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا انه فقير الحال فقال علي به فلما حضر بين يديه اكرمه وعظمه واعلى منزلته وصيره ارق من ورد واثر ولبس عليه النعم فلما رأى نفسه في هذه الحالة تعاظم على ابناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر ارباب الدولة فاتفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة واراد الملك ان يصلي في بعض المساجد ارسل السجادة ففرشت له في ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك انهم اصطنعوا صليب صغير من الذهب والجوهر واعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له ضعه تحت السجادة تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر به احد ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة واراد الملك الانصراف واخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فانكره وقال لارباب دولته ما هذا الامر فانه قد رئي هذا الصليب تحت جبهة الامام فقالوا هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وامر بقتله فلما مرت جنازته انشد بعضهم يقول

لو ان الله تعالى صالحنا [illegible] ... سفها عدلا وما قط انهم ... وابن [illegible]

كأنه لايدرى مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم

فالسلامة فى مداراة الناس وحسن الانطباع معهم بلطف الايناس وان يكون الشخص متنقلا فى اطوارهم دائرا تحت فلك دوائرهم كما صرح بذلك فى بعض الابيات

فطورا ترانى عالما ومدرسا * وطورا ترانى فاسقا وملموسا
وطورا ترانى فى المزامر عاكفا * وطورا ترانى سيدا ورئيسا
مظاهر انس ان تحققت سرها * تريك بدورا اقبلت وشموسا

ولنشرع الآن فيما وعدنا وما رمزنا به ورقصنا والشخص يغلب عليه علمه وفنه والزامر لايخبى ذقنه وقبل الخوض بحر هذا الكلام والمشابهة لمن جنس النظام نذكر ما وقع لعوام بعض اهل الريف ووصف طبعهم الكثيف واخلاقهم الرذيله وذواتهم الهبيله واسمائهم المقلبه وحروفهم المشقلبه وقصائهم المشرمطه واشعارهم المخلبطه ونسائهم المزعجات وما لهم من الدواهى والبليات فنقول اما سوء اخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم وملازمتهم لشيل الطين والعفار وعدم اكتراثهم باهل اللطافه وامتزاجهم باهل الكثافه فكانهم خلقوا من طينة البهائم كما قال فى ذلك الناظم

لاتعجب الفلاح لو انه * ناخة اربابها ضاعت ده
ثيرانهم قد اخبرت عنهم * بانهم من طينة واحده

فهم لايخرجون من طور الكثافه لملازمتهم المحراث والجرافه وهم تحوفهم حول الاجران وطردهم فى الملق والغيطان ودورانهم حول الزرع ونطهم فى الحصيده والقلع ودوسهم فى الجله والطين وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين اذا الواحد منهم لايعرف غير الحزام والبوت والنقر والبنوت والساقيه والقرقله وشيل الطين والجله والعياط والغنا والطبلة والزماره والحدوة خلف قفاه وهزراقه وهزرداه وحزام الليف والتبن والشنيف وخلقته المشرمطه وصورته المخلبطه وطربوشه الدنس وزره المفلس وطرده للغارات والدواهى والبليات ومشيه حافى فى الحر والحلافى وعياطه فى الظلام ياسعدا وياحرام فيجتمع عليه اللوم ويقع منهم على البلاد الهجوم وهم سعدا وحرام ويخرج اليهم الاخوان بالتمام فيقع بينهم الحرب والعناد وتخرب بسببهم البلاد وتقطع الطريق على العدو والصديق ويترتب على ذلك المفاسد وتمنع عن بلادهم الفوائد وكل هذا من قلة عقلهم وكثرة جهلهم وسوء اخلاقهم وعدم اتفاقهم اذ كلهم فى الظاهر مسلمون والقتل عندهم مثل الديون وايضا عندهم قلة الوفا وعدم الامانة والصفا لانه دون الغرض ولايعرفون السنة من الفرض ان عاملتهم اكلوك وان نصحتهم ابغضوك وان اقمت لهم

للشرع رفضوه وان المنت لهم الجانب يقتلوه العالم عندهم حقير والظالم عندهم كبير امورهم معاندة وليس عندهم فوائد عندهم قابض المال اعز من العم والخال سود الوجوه اذا رأوا معروفا انكروه كما قال الشاعر في المعنى

اهل الفلاحة لا تكرمهم ابدا ... فان اكرامهم في عقبه ندم
يبدوا الصلاح بلا ضرب ولا الم ... سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا قاموا افراح لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح وشدة الاضطراب والكرب وربما وقع فيها البطح والضرب وشاهدنا كثيرا من افراحهم وما يقع فيها من عدم نجاحهم وسيأتي كيفية افراحهم واعراسهم وعدمهم وهم مع جلا سهم واما اكرامهم للضيوف فهو هز الاردية والصفوف والجلوس على المساطب ونفش اللحى والشوارب وان جعل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيسار والكشك الحامض بالفول او نوع من المدامس والبقول ولو مكث الشخص منهم مدة في مصر ودمياط لم يكتسب من اللطافة قيراط وبعض اكابرهم المشار اليه والمعول في الامور عليه اذا طلع مصر لمقابلة الامير او قضاء حاجة من الوزير ترى عليه لبس محبوب ومع ذلك يمشي حافي بلا مركوب وامورهم ليس لها انضباط واحوالهم شياط وعياط وورده عند الاسحار التفكر في الغنم والابقار * وتسبيحهم في الظلام هات الثبوت والحزام وحط العلف وهات الكلف

قال الشاعر في المعنى

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة في القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف * علق لثورك جاء لك المحراث

فهم لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عورا تهم عند الاستنجاء على الماشي مكشوفة وثيابهم بالنجاسة مكشوفة يجمعون لحساب المال في المساجد وليس فيهم راكع ولا ساجد اولادهم دائما عريانين وتراهم في صورة المجانين الرحمة فيهم قليلة والرأفة متروكة ذليلة كأنه يكتب لطرد النمل بلا امر ارحل ايها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى (ومن وصايا الامام مالك) للامام الشافعي رضي الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وجاهك وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنى المدن فان المقت اذا نزل في بلاد الريف طوفان يكون في المدن كخلخال الرجل (قلت) واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت فير فالساكن في الريف معدوم اللذات لانه دائما في انقباض وطرد وجري وكر وفر وحبس وضرب ولعن وسب وهوان وشباط وشيل تراب وحفر ابار وخروج للعونة على

جهة السخره وتكتب شديد بالاجره واذا كان ذو فضل ضاع فضله اوذو عقل
ذهب عقله اوذو مال اغرو اعليه الحكام اوذو تجارة نهبوه فى الظلام فالحق عندهم
مضاع والباطل عندهم مذاع وحكم الله ليس له اندفاع فلنذكر طرفا يسيرا من
اسمائهم وما يكنون به فنقول اما اسماؤهم فانها كاسماء العفاريت اورقع
الثلاثيت فيسموا خنجل وجليجل وعفر ودغموم وزعيط ومعيط
وقسيط وشلاطر ولهاطم وشقلبط ونقليط وصفار ونهار وجماز وعمران
وشعوان وسمنتوت وبرغوت والعفش والنبش وكسبر وقندر وحنين
وبنين ومحمد بكسر الميم والحاء المهملة ومحمدين بكسرهما ايضا وغير ذالك من الاسماء
وان كانت لا تعقل فان اسماؤهم هذه تشبه التقليب وقد يسموا بالفال كما
اتفق ان رجلا ولد له غلام فسمع رجل آخر يقول يا اعمش العين فقال نسميه
عمش فسمي بذلك واتفق ان رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول
لاخر هات الزبل فقال لامها نسميها زبيله فسميت بذلك وزبيله تصغير
زبله وزبله تصغير فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من
الزبالة والزبلة على وزن نخله اوفخله اونمله اوقمله وقال بعضهم فى هذا المعنى

وورن زبلة لديهم نخلة * ونملة ورملة وفجله

وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم
ان زوجته ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لاخر دم الحس قفاك فسماه بذلك
ثم ولد له ولد ثان فسمع رجلا يقول لآخر شاربك فى الخرا فسماه بذلك ثم ان
دم الحس قفاك كبر وانتشى وكذلك شاربك فى الخرا بلغ من العمر عشر سنين
فارسلهما والدهما الى الكتاب فقرأ دم الحس قفاك القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك
فى الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق فى يوم من الايام ان دم الحس قفاك قال لاخيه
شاربك فى الخرا اقصد بنا يا اخى الذهاب لبحر النيل لنسبح فيه فقال شاربك
فى الخرا لك السمع والطاعة فتوجه دم الحس قفاك هو واخوه شاربك فى الخرا
الى ان اشرف على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس قفاك ماهر فى العوم واخوه
شاربك فى الخرا عومه قليل فسبق دم الحس قفاك اخاه شاربك فى الخرا
فضايق شاربك فى الخرا واشتد به الامر واشرف على الغرق فالتفت اليه
دم الحس قفاك فرأى شاربك فى الخرا فى شدة عظيمة فاقبل عليه ووضع يده تحت
الابط واسنده على ظهره ولم يزل يتلطف به حتى اوصله الى البر فلولا ان
دم الحس قفاك سبق والا كان شاربك فى الخرا غرق ومر رجل فرأى ولدا يضرب
اباه ويسخر به ويسبه فقال له يا غلام ان لابيك عليك حق

ان لاتنهره ولا تؤذيه وان تحسن الادب معه ولو كان كافرا فقال له ياسيدى
وانا الآخر لى عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له ان يحسن اسمى ويعلمنى القرآن
وان يرشدنى الى احسن الصنائع وهذا سمانى دبوس وعلمنى لسان المجوس وصيرنى
بين الناس ملبوس افلا اضربه واسخر به واسبه فقال له بل صكه بالنعال
فانه مستحق لاقبح الفعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فقال له ما اسمك قال تنور قال وامك قال شرارة قال وابوك قال لهب
قال وفى اى واد انت قال فى وادى النار فقال له رضى الله تعالى عنه اذهب الى
واديك فان اهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضى الله تعالى
عنه والاسماء تدل على لطافة المسمى وعلى كثافته وفى كلام اهل العلم والتاديب كل
احد له من اسمه نصيب (واما كناهم) فابو شعرة وابو بعرة وابو عفرة وابو دعموم
وابو شادوف وابو جاروف وابو مشكاح وابو رماح وابو بطاح وابو بقر
وابو مطر وابو هودج وابو بحذق النورج وابو صلام وابو شعر وابو قشقوش
وابو جربة وابو طعيمه وابو بليله وابو زقلول وابو سليسى وابو جاهل
وابو فصاله وابو زباله وابو بعبوص وابو نموص وابو لبده وابو زعيط وابو
معيط وابو زعيزع وابو شعيشع وابو متابر ولابو طرطر وابو عوكل وابو زغابه
وابو طريف وابو قدح وابو عريش وابو دشيشه وابو قلوط وابو كابون
وابو مقلد ويلقبون عمران القلط وعمير القرط وقنديه وشخير
وبعير وعنطوز الباب وشلاطه مقلوب وعجنا للكلاب وكسير الثقليه
وبربور الهبله وهاط الزبله ومشال الجله ومحمود لله كثير ولا غاية له
(ويجيبون السائل) بلفظ هاه وهيه وايش مالك واى ما لك وايها
مما هو مشهور بينهم (واما اسماء نسائهم) فمن معنى اسمائهم فيسمون زعرة
وبعره وهيلله وميكله واخطيطه وحويطه ومعيكه ودعيكه ودكيكه
وشباره وشراره وزراره وعلاره وعماره وشلباية ومطاية وعليوه
وحليوه وهدية وبلبية ولبه وعلة وشهر ولمه وبلمه وسروه وسروه
وفنوه وخربوه (ويكنون) بام جعيص وام معيص وام ريح وام مرام
وام زوام وام شقيرة وام صقيرة وام شواهى وام دواهى (ويلقبون)
بجلاية وكرساية وغاسوله وفاره وغاره وغايره فهذه اسماء
والقاب وجودها كالعدم وانما هى الفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم
ليطابق الاسم المسمى بعضهم اذا نادى زوجته يقول لها يا داهية تعول الهم
تجولك من الحيط كما اتفق ان رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته

عند الجيران فاباها يا داهيه يا داهيه فقالت له يجى لك من الحيط فقال لها تعالى اتعشى فقالت ابنك يخرى كل انت وقال رجل منهم لزوجته يا قطيعه قالت له يجى لك يا عنطوز * واما اولادهم فانهم مثل اولاد الهنود واولاد القرود دائما في شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم مكشوف غارق في الجله والساس ونومه في المدود وشربه من المترد واكله من الجله ولعبه حول الجله يشخ ويخرى في ثيابه دائما في سخامه وهبابه عمره في الدناسه وامه في نجاسه واذا درج في الحاره لا يعرف غير الطبله والزمارة والطرد وراء الثور والعجل وسخامه في الجله والوحل لا يلبس على طهارة قميص وعيشه دائما في تنغيص خالى من التنظيف وكلهم مخوف من قحوف الريف ❁ *

واما نساؤهم عند الجماع فانهن في حكم الضباع يدخلن الافران ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر لهم روايح الدمس حتى يصيروا في قلس ثم ينضجعوا على شئ من القش وما تيسر من القصل والعفش بعد اكلهم المدمس والبيسار حتى يصير الشخص منهم كانه حمار ثم يضم زوجته اليه وهى تتشقلب عليه فتظهر من بين الاثنين روايح الجله والطين وتغطيه رجليها وتنظر الى عمشة عينيها ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول احيه حبك داهيه احبك جتك مصيبه احيه جتك غاره فيخنقها بلبه ويجامعها بذيه وربما جامع الشخص زوجته في مدود الحماره او في الغيط جنب العباره وقد تمكث المراة منهن الجمعه لا تغتسل من الجنابه وكذلك الرجل يتحقق في اعظم الدناسه وعدم التوفيق * ❁

واما اعراسهم فانها مثل قيام الغارات او تعفير الكلاب في الحارات * يدوروا بالعريس دوره وهم في غاره او عوره وعايط وصراخات ودواهى وبليات وزعيق وعفرم وصياح وعفرم والكلاب تنبح والشعرا تمدح والطبل يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والاولاد تنط بالشلاتيت وربما كانوا في هزل صاروا في جد وربما هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين وتخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوره ويجلسوا على بخ او حصير او برش من ابراش البير ويأتوا له بالعروس كانها فحل جاموس منقشه بالحبير والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريت تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوفا من النظره وقد خلبطوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا وصارت بهذه الفعله * وهذه الحاله الجهرية بين الورى وجميع العالم مثله وهذا من اقبح افعالهم واتعس احوالهم اذ لا يجوز زهنا في الشرع ولا يقول

اصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها على شيء عال ويأتي اليها الطبالك وينشدوها
الاشعار بما هو مناسب لها بالاعتبار شعر (ياعروسه يا ام غالي * انجلي ولا تبالي
انجلي يا وجه بومه * زاعقه وسط الليالي * وجهكي بالنقش يشبه * وجه ضبعه
في الرمال لك مسخه شعر بربط * فوق راسك لا يحال) (تشبهي به ام مجبر *
دايره وسط التلالي ياعريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالي * وافرش
القفه زنامو * فوقها جمع الليالي واشخي له واضحي * بالدواهي والهبال *
تصلحي له ياعروسه * ثم امرك بالكمال ثم انهم يجتمعوا حول العروس وينادي بينهم
رجل فلفوص بيده شعله من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقى فلان
هاتوا يا ناسا يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذي يرى نصف
او نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كانها وجوه التيوس وينادوا
في والاشعير والاسمسم مقشور وغربس فان كان العروسه مليحه قالوا في زربع اسمسم
مقشور وان كانت قبيحه قالوا اشعير نبت فوق الجسور ثم انهم يدخلوها الى الفرن
او البيت ويسرجوا لهم بشيء من الزيت ويفرشوا لهم شيء من التبن او القصل
ويصنعوا لهم وساده محشوه من قشر البصل ويغلقوا عليهم الباب ويدقوا لهم
بالحجاره على الاعتاب فان اخذ وجهها هنوه والا جرسوه وهتكوه وقالوا له شرقت
البلاد وهتكتنا بين العباد فمنهم هتيكه وفرحهم مصيبه ووليمتهم الكشك
والفول ونوع من البقول والارز بالعسل يشبه الطين والارز باللبن يشبه
طعام الحايين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الدهكش حيث قال في القصيد

ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جو المساطح
نصفها بالسنط من فوق قتنا * وكان انهدم يا ما قشعنا فضايح
واخرجتها للصنو من الزريبه * بقا شي يقول مشعوش فالح
وصبحت تهنينا اكابر بلدنا * علينا تقال العيش مسلوسايح
هدا دبيه عبط على تقل ركبتي * وانا بلا لبده قليل الملايح
وجلس يجنبي ابن جرو وابن كلهرا * وابن العفير وانا اروح ورايح

اي جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم لان
الاعاده في ذكرهم ليس فيها فاده فقد افردت ذكرهم بمؤلف فراجعه ثم انهم
عند الصباحيه يجمعوا المشاه الظهريه ويجعلوا بينهم وبين العريس
حكومه لا قدرهم ولا قيمه ويجتمعوا مع بعضهم البعض ويرمحوا
في طولها والعرض ويقولوا حكمنا عليك يا فلان قوم هات العيش والمش ورطل
دخان وياكلوا وينطوا ويتسلوا ويحطوا ويأتوا بحجارة الدخان
مثل ارباع الكيل ويصيروا في عياط وشياط الى الليل ويسموا هذا اليوم

الهروبه وامورهم كلها مقلوبه وبعد ثلاثة ايام يخرجوا العروسه بالتمام * ويكشفوا وجهها تانى مره ويجعلوها للناس شهره وياخذوا ايضا النقوط من الناس واحوالهم فى انعكاس * (ذكر وقائعهم) * حكى ان بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث وعلى راسه لبده مشرمطه ولابس خلقه مقطعة ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسه وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدة البرد وهو فى حالة مكربه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له يا ملك هذا من عموم الريف ينشا الشخص منهم على التعب والنصب والهم والغم والطرد والجرى وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة والصلاة فيصير فى هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير الثور والمحراث فحكمهم حكم البهائم . قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا علمناه القرآن واشغلناه بالعلم والبسناه * ملابس الشعر يتغير طبعه ويرق قلبه ويخف ذاته وينتقل من طرف الكثافه الى طور اللطافه فقال الوزير ايها الملك اما سمعت قول الشاعر

لا يخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر فى ضرعه
من كان من جميزة اصله * لا ينبت التفاح من فرعه

وقال آخر

الطبع والروح فى جسم لقد خلقا * لا ينفذ الطبع حتى تنفذ الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه * (وحكى) * ان رجلا اعرابيا مر بقارعة الطريق فراى جرو ذئب صغير فرحمه واخذه الى منزله * وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى ان كبر فعدا يوما على الشاة فبقر بطنها وولغ فى لحمها ودمها فلما رجع الاعرابى وراى ما فعل انشد يقول

شعر

غذيت بدرها ونشأت فينا * فمن انباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا اديب

ومن ذلك ما حكى ان جماعة قصدوا صيد ضبعة فالتجأت الى اعرابى ودخلت منزله فخرج الاعرابى اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لهم لا تتعرضوا للضبعة فانه قد استجارت ففالوا يا هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون ابدا ولا اسلم لكم ابدا وجعل يغذيها اللبن فخرج الاعرابى يوما ليغتسل فلما ابصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت فى لحمه ودمه فقيل

لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف في غير اهله * يجازى كما جوزي مجير ام عامر *
اعد لها لما استجارت بقربه * من الدر البان اللقاح الدوائر
واشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانيابها واظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام علي رضي الله عنه قال لا تعلموا اولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اعتنوا بمذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم اجلاف غلاظ كانهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
هل في الانام رايتم * جلفا رقيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الاراذل خصوصا دنيء الاصل اذا ادعى العلم والفضل كما اتفق ان امراة ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهي متضررة منه وراغبة في فراقه فارسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى شيخ دنيء الاصل تعلم العلم فدبرها ان تدعي انها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي الى ان تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك منها وانها تابت ورجعت الى دين الاسلام واخذ على ذلك منها شيئا ففعلت ما امرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا ان لا يصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه وفي هذا المعنى قول الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فمن منح الجهال الخ وكذلك يا ملك الحكاية المشهورة وهي ان رجلا دنيء الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فراى رجلا يبيع الزلابيه فوقف قبالة دكانه سائرا فرق له قلب الزلابائي ورحمه وقال له ادخل لاغذيك لله تعالى عني فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابيه والعسل فاكل حتى شبع واذا محتسب المدينة مار ينادي على اهل السوق ويزن عليهم ويجد دراهم نقص للموازين وكذلك صناع الزلابيه ان ينظفوها ولا يبيعوها طريه فقام هذا الرجل الكثيف واخذ بعضا من الزلابيه وعجنها ببعضها وقال للمحتسب تفرج على هذا الرجل بياع الزلابيه انظر ما يفعله الناس من الغش قال فاخذ المحتسب صاحب الزلابيه وضربه ضربا مؤلما

فالتفت الى هذا الرجل ردي الفعال وقال له ماذنبي معك وانا اشفقت عليك
واطعمتك حتى شبعت ثم صدقت عني فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال وابوك قال
فلان قال وامك قال فربما انها جاريه سودا فقال صانع الزلابيه لا الومك ابدا
جاءك هذا الطبع الحبشي من جهة امك ثم انه اخرجه من دكانه ومضى الى حال سبيله
وفي هذه الحكايات يا ملك مواعظ واعتبارات كثيره فقال الملك لا بد من اخذه
وتعليمه ولا اركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فاخذ الفلاح وانعم عليه
والبسه الملابس الحسنة الفاخره وقيد له من يعلمه القران والعلم فحفظ القران
وبرع في علم الرمل والحروف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر
الملك ما قال الوزير في حق الفلاح ونصح الملك في عدم اخذه وتعليمه فارسل اليه
فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاح فانه الان بلغ على غاية من العلوم
وصار له براعة في علم الرمل والحروف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير يا ملك
اختبره وانظر طبعه وخلقه فارسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني انه صار لك
قوة في اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادي ان
اضمر على شي وتبينه لي فقال افعل فانزوى الملك وقطع خاتمه واطبق عليه يده
واتى اليه وقال له انظر ما في يدي فاقام الاشكال وقال في يده شي مدور
قال نعم قال وهو خالي الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة
زمانية ثم قال اظن والله اعلم انه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال
غلب عليه طبعه الاول يا ملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى
حالته الاولى وقيل التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر
احوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل في دار الحكم وتسمى عندهم دار المشد
اقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون واما منهم شيخ كبير قد طعن في السن
وبيده عصا يتوكا عليها فلما راه الملتزم وهو امام القوم اكرمه وقام اليه
واجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال في نفسه لعله من اهل الصلاح لانه ما في هذه
القرية اكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطانه
بالغرامه وان يجتهدوا ولا يلتفتوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند
ذلك قام الشيخ الكبير ووقف بين يدي الامير وقال له اني اريد ان انصحك
ايها الامير وارشدك الى شي تفعله فان انت فعلته فاقوا لانفسهم وسددوا
المال فقال له الامير تكلم يا شيخ فانه ما فيهم من هو اكبر منك سنا واعلى
قدرا فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم الجامع الذي في وسط
البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة الى يقولوا عليها الناس ويتركوا
مصالحهم فاذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسددوا المال ولو ان

طاوعتهم يا أمير وصرت كل يوم أدخل الجامع كان انكسر على مال السلطان وما
نفعني طول عمري ما أعرف دي الصلاة التي يقولوا عليها الناس ولا دخلت الجامع
أبدا قال فتعجب الأمير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له أنت رجل
طالت لحيتك وساء عملك ثم أنه علق في رقبته الأوطية وأركبه حمارا معكوسا
ونادى عليه حوالي البلد بعد أن ضربه ضربا موجعا وأخرجه من القرية على
أسوء حال (ومما يحكى) أن أبا نواس جلس هو والخليفة هارون الرشيد
في محل المداعبة فأحضر بين يدي أبي نواس صحن من المشتانات المحشو
بالسكر وصار يأكل هو والخليفة فقال الخليفة يا أبا نواس هل يمكن أن
أحدا من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوام الريف الفلاحون وأصلهم
فإنهم أناس نشأوا في أكل الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا
غيره من المأكولات إلا العدس والبيسار فقال له الخليفة لا بد أن تحضر لي رجلا
منهم في هذه الساعة وإلا قتلتك قال فقام أبو نواس من عند الخليفة متحيرا يمشي
في شوارع بغداد فرأى رجلا يحاكي سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف إلى
ركبته وقد اتسخت وتمزقت من سائر الجوانب وإذا أراد أن يتحزم عليها انكشفت عورته
وإذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى رأسه
لبدة من الصوف طويلة مثل القفص دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله
خلف قفاه وبيده رغيف ذرة يأكل فيه وهو ينظر إلى الحوانيت مثل المرتاب وهو في حيرة
لا يدري أين يذهب ويأكل وينظر إلى الناس مثل المجانين قال فلما رآه أبو نواس
في هذه الحالة عرف أنه قحف من قحوف الريف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وخبى
في نفسه ولم يعرف كلاما ولا سلاما بل ظن أنه يريد أن يأخذ الرغيف منه فخبأه
في عبه وقال له يا جندي أنا ما معي شيء تأكله غير هذا الرغيف وأنا ما أعطيه
لك فيقتلني الجوع وأنا عمري ما طلعت هذا الكفر وأنا بأنظر فيه جنادي كثير مثلك وودور
مثل دورنا وخايف من الجنادي لا يقطعوا راسي فقال أبو نواس في نفسه الحمد لله
الذي أوقعني في هذا فهو المطلوب الذي لم يعرف الكفر من المدينة ثم أنه لاطفه بالكلام
وقال له لا تخف ولا تحزن فما لي حاجة برغيفك ولا أنا جيعان ومرادي أعديك عدوة
عظيمة فقال له حياك الله يا جندي وأنا الآخر لما تغديني وتبيض
وجهي أزورك بأربع بيضات وإن فقست وزتنا أجيب لك وزة خضرا وأجيلك
صاحبي ولا تخلي أحد يقطع راسي لأن سعاية فارق الكفر بلا راس
قال فضحك عليه أبو نواس من جهله وخيانة عقله وقال له أبو نواس
امض يا هذا الفلاح معي في هذه الساعة لأغديك وأسرك وأضافك
قال فسار معه هذا القحف الريفي وهو لا يدري ما هو متوجه وإلى

ان يدهب حتى اقبل على ديوان امير المومنين هرون الرشيد قال فلما راى
الديوان وكثرة العسكر بهت وحار في امره واندهش وقال الله وكبر القيامة قامت
ودا المحشر لا كلام ثم انه اراد الهروب فقبض عليه ابونواس وقال له لا تخف ولا تخش
من شي وضمانك علي فقال له يا جندي اخاف العرض على ربي من الحساب يحاسبني
على ضرب البهايم ونيك الحمير في الغيط لاني ما خليت حماره في الغيط بلا نيك من
خوف لا اهجم على نسوان الكفر عسكر المشد يقطع راسي وباسمع الناس وهم
يقولوا كل من نكح دابة تجيه يوم القيامه وهو ماسكها وانا نكحت دواب كثير حتى
الكلاب ولا اقدر احملهم في هذا اليوم وانت تشفع لي عند ربي ليسامحني
في هذا اليوم ما فعلت فقال له ابونواس لا تظن ان هذا يوم القيامة وانما هو ديوان
الخليفة هارون الرشيد السلطان فقال له يا جندي انا ما رايت مثل هذا الحال
ابدا ولكن ما يكون الخليفة قال له هو السلطان الذي يقبض المال من بلاد
الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندي السلطان يقطع روس الفلاحين
ولا يخلي فلاح من غير قطع راس واراد الهروب فلما سمع الخليفة كلامه سال عن
القضيه فاخبروه بها فضحك وارسل يطلبه قال فاخذه ابونواس واقبل به على
الخليفة فقال انا في جيرتك يا رسول الله يا بوزعبل يا بوعنطوز يا مشايخ الكفر
خلصوني قال فامر الملك ان يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه
ثم انه نظر فراى الخليفه جالسا على الكرسي وعلى راسه التاج الكسروي فقال له
انا في جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفه وقال له يا فلاح من اي
البلادات فقال له انا من كفر ابوزعبل وانا شيخ الكفر وعندي بيت ملان
تبن وقصل وعندي عنز ومركوب احمر ونصبايه راس السامعين وعندي
فرختين وديك وشوشتين عظم وبخف طويل مثل بخفك دا يا خطيب فضحك
عليه الخليفة وقال له من احضرك عندي قال دا الجندي صبيك لا جزاه
الله خير وكان مراده ياكل رغيفي دا ثم انه اخرج الرغيف من
عبه واراه للخليفة فقال له الخليفه انت جعان فقال له ذلك البخف
يا خطيب صبيك اوعدني بالغدو قبل ان اجي الى هنا فقال له
الخليفه ما تشتهي قال العدس والبسار فهات لي عدس وشوية
بسار ورغيفين دره وانا اخلي ام خطيطه تدعي لك
فقال له الخليفة اجلس يا فلاح قال فقعد ومد رجليه
بحضرة الخليفة وحط النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه
وربطه في حزامه خوفا عليه ان يقع من وراء ظهره قال
فامر الخليفة الخدم ان يقدموا لذلك البخف الصير الذي فيه

الحشتنانات فقدموا اليه فلما راى الصحن قال يا خطيب المسلمين
اعطني من دا المزدكوره العب بها في الكفر انا وابو دعموم واولاد الكفر قال
فضحك عليه الخليفة وقال كل منهم كوره فقال يا خطيب المسلمين الكورة تتاكل
فقال له كل على بركة الله تعالى قال فاخذ الفلاح واحدة ووضعها
في فمه ومضغها فلما استقرت حلاوتها في جوفه صار ياكل اربع حبات
سواء ويحطها في يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو في
حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح ما يكون هذا الذي
تاكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين طول عمري اكل العدس
والبيسار والكشك بالفول والمدمس ما رايت مثل هذا ابدا الا اني سمعت
ام معيكة جدتي تقول نعيم الدنيا الحمام والله اعلم ان دا هو الحمام الي يقولوا عليه
الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبا بك يا فلاح كل واشبع
فقال له يا خطيب المسلمين وحياة وجهك لما اروح الكفر ازورك بحمل
جلة ومحلايب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات وانت الاخر ما تخرمني من
نعيم الدنيا دا لما احضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه وانعم
عليه واذن له بالانصراف ومضى الى حال سبيله * (ولقي)
بعض اهل الارياف صديقا له وقد اشترى بردة من الصوف فقال له دي
بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال له بدراهم كثيرة
فقال له تبلك وتبلى وليداتك في الشتا * (وجلس) * بعض اهل الارياف
بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكي وقال له يا ابويا فحل الفراخ
مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام الماضي ديك والعام دا ديك
احنا يا ولدي اصحاب الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه
عزوه وصار كانه مات له ميت (وولدت) لشخص منهم حماره فلقيه صديق
له فقال له حمارتك ولدتك فقال له وسبعت فقال له ما جاب الله فقال له
جحشا كيفك سوا بسوا فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الحياة * (وعطس) *
رجل منهم ايضا فقال له فقيه من اهل الريف يرحمك الله عطستك ولو شئت
لنطسك واخرج العطسة من قفر قفاتر الى خلفك فقال له الفلاح يا فقي لاعدت
تنسانا من دي السورة تقراها علينا في المسا والصباح واعطيك ايام
المقاتات اربع بطيخات وتقرا السورة لام معيكة وتهديها لابو زعبل فانه مات
من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله * (وجلس) *
جماعة من اهل الارياف يتحادثون في احوال الزمان اقباله وادباره فقام رجل
منهم يقال له ابو عزوه وسحب رداه واتكا على عصاه ثم ضرب بها الارض

فقال

وقال لهم يا شيوخ العرب والكفر زمن الفرج الى ولى وراح ولا بقى فى الدنيا خير
ولا عاد يجى زمان مثل زماننا الى كنا فيه وما تحصل ايام الاعياد والمواسم
فقالوا له الله عليك يا بو عفره احكى لنا على زمن الفرج الى شفته فقال لهم
رحت يوم عيد الله واكبر انا وابو معيكه وابو دعموم وكان عندى ابنى فرخ
الليل ولد صغير واحنا نجرى مثل الكلاب السعرانه وانا فتى وعلى ردا من
محار الكتان شريته بنص فلوس جدد الذراع وجبه صوف خدتها بخمس جدد
الذراع ولبده خدتها بعتمانى وانا مزوق على العيد كيف عنز الضحيه وتحزمت
بسير وسكين خدتهم من سوق هر بيط بارقه النصاص فلوس جدد وعلى
راسى شد مشنير خدته من سوق بيسثله بنصين فلوس جدد وبنوت
كنت سرقته فى زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ الكفر
كانت سرقته ام زعيل من واحد حضرى دخل دارنا الى على البركه بالامانه
يشترى بيض رحت انا والجماعه نشترى مصالح العيد على الطريق الى تطلع على
الكفر بتاع ابو عنطوز نمشى عليها كيف كلاب الغنم وكنا لقينا واحد يدبح
جدى بالتخاين خمسه ارطال لحم لو قفت انا واصحابى على راس صاحبه وهو
عمال يسلخ فيه فقال ما تطلب يا شيخ الكفر انت واصحابك فقلت له اسمع
يا عرص يا راس الدقاق وحياة ام زعيل ان كنت ما تكارمنى اليوم وتوصى بى
والا ما علت تدبح جدى ولا تكليه فقال لى يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا
السقط فقلت له اطلب السقط اقسمه بينى وبين اصحابى كل واحد ياخذ
تلته فاخذت منه السقط بعد عياط وشياط وضراط وحياة الحاكم يا اولاد
كفرنا بنص فلوس جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس وانا
شيخ وتورد على الجدعان اليوم المليح ولعرف وانا معود فى الكفر والا ما كان اعطانى
السقط وقسمناه لحنا التلاته كل واحد خد بجديدين ولكن واحد من شركاتى
غادعلى وخد رجل زايده وانا سرقت ودن من ودان الجدى وطلبت اسرق سنه
من اسنانه اعلقها لابنى عفره على راسه تمنع عنه النضره اتقلبوا على شركاتى
وقالوا لى يا ابو عفره لا تخون الامانه ان جات الاسنان فى حصتنا خد ما تريد
فتركت الامر وخدت حصتى فى طرف ردايه وكل واحد من شركاتى خد حصته
ولفيت بنوتى على كتفى وبقينا كيف الكلاب السعرانه وانا اعفر بين الكيمان
والكلاب تجرى ورانا على ريحه اللحم وكان خرقنى شخاخى وحياة الحاكم
ومن خوفى من الكلاب لا ياخذوا منى السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته
شخاخ ولما دخلت الدار شفت ام زعير حشا العيب قاعده فى جنب مدود

الحماره كيف كلبة المشد تحمل الجله عليها قميص من قطن مخطط كنت شريتها
من زمن الفرح بعشرة انصاف فلوس جدد وسرموج اخضر واحمر مصبوغ
بحنا وبرسيم سابل للخودان وفى رجليها حجل نحاس مطلى بقزدير وفى
يديها نبايل نحاس اصفر وفى اودانها حلق طارات فدخلت عليها متنغر بدقن
كيف دقن التيس وشوارب مطرطره كل من شافهم خرى على وجهه فقامت
امر زعبل ومسحت يديها من الجله ولاقتنى بالحضن لاتقول الا بقينا كيف
الكلاب الجياع وبعد ما لاقتها ولاقتنى ولاطعتها ولاطعتنى وعملت معها
ما تعمل الرجال مع النسوان يعنى ديك القضيه وانتم تعرفوا انى حدق وشاطر
ومايطلع من حنكى عيب وقتا انتم شفتم ايه من الفرح وبعدها ودا فانى
اغنى البهائم والحمارات التعلمت الغنا من ابويه وجدى وانا فصيح قوى فقلت
يا ام زعبل ربنا يخلى لى شلشولك وقامتك انا بانطح لقك بيشتم الناس
وهو مايل على اودانك وانا رايح اغنى عليه فقالت لى يا بوزعير وحيات
شاربك الى كيف شارب الكلب لا تغنى لان اوحشنا غناك وقصايدك
وعاد نا سمعنا قصيدك الى تقولها فى الحلق فنشت لها اقول صلوا على كم الرسول

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بالارطالات
تبيع الورد فى الصبحه قميصك زين الطرحه * عسى الله انضرك لحمه تجمع عندنا الجلات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
الايا بوقميص هربيط عسى الله انضرك فى العبيط * وادى لك قدح مخيط وادى لك شمال كرات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وامطى لك شمال خبيز واعطى لك قدح حميز * واجمل لك على ميز فطير دخن فى الصبحات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
انا احلك كما العجله وبازيك حد الجله * تعالى العبيط بلامهله وتفرج على الجلات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
تعا عندى وكل حمصيص وحياتك يا مليح حميص * وا قلى لك كما فى بيض بزيت حار جد الزيات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
انا اخشى ان اقل تعال تعاونى على الحالـ * تعال امشى وخلى بعال اروح بك دار نباتات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ودمسلك انا القر وبجيب لك فول من العصنبر * وكل واشرب كما انشربه تخليك تشبه العنزات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحطلك جنب مدودنا والاجنب جلتنا * وزريك بوزبقرتنا وهى تكرش من العصلات

الا

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وخليك كيفا بوبربر وتبلفش وتبنخر * وتشقلب وتنغدر وتبقى لى كا الكليات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وتعطيه لى وتبكه وحطوفيك وا تكه * وانا ابوعفرا بودكه ابيع المش في الحارات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ويا شاعر وشيخ الكفر نشدته قصيد كيف الفر * وقومى وارقصى بالعفر ودا اليوم عيد ولذ طنات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وحط اللحم والفتة على الكانون والكرشه * وتتغدى وتتعشه وتعزم دار ابو كرات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ونختم قولنا الا ياس نصلى على النبى يا ناس * ويشفع لى وجميع الناس وينقذنا من الهلكات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هى وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت الكر من على راسها وسمعوا الجيران لحونا وقالوا يا ابو عفره سمعنا القصيد سمعتهم اول وثانى وقالوا غدا يسمع بك نصارى البلد ويقربك وتبقى تجالس جداه ركبه بركبه ويقول لك يا عريس تقول له يا سيدى وان شاء الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطانى شئ انعمت عليكم فلما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت امرعير للسقط تطيبه فقالت لى يا ابو عفره بقى لك عليك البخور فقلت لها وحيات شلشولك ما بقى معى فلوس وانا قشلان فقالت لى من خلى شئ لعقب الزمان ينفعه انا خليت فى الصومعه اربع بيضات خذهم ولا تقل لحد فان الناس تحسدنا لناس ومخصنا اليوم عيد وانت اليوم يا بو عفره فى نعم كبيره هات لنا بيضه مرسلين وبيضه محلوج وبيضه نعناع وبا لبيضه الرابعه عصفر نعفر بها ثياب ابنك عفره واخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام عند نا والحمد لله عند نا شويتر زيت حار ادهن بها شعر راسى وتدهن بقيتها دقنك وشوار بك وتنط بين الجدعان وتبنط على شلشولك كيف شلشول العنز السمان فخذت الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقينا فى كرش الجدى شويتر فول مصحم خدته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت للطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشلد وجونى الشباب والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا بالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره لقانة طعام فاكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمراد بينهم وكان يوم ما حاد

يجي مثله نقا لو اله اصحابه زمانك يا بوعمزع ولى وراح وماتت الناس وجاروا
علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يورد لاستاده المال فانزله في محل
فيه طاقه مفتوحه تشرف على حريم الامير فلما جاء الليل قال الفلاح في نفسه يا ترى
يا ابو معيكه الاماره لما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا ولكن انظر كيف ما يفعل
استاذك مع امرأته ولما تروح الكفر احكى لام معيكه تعمل داك العمله مثل
ما تعمل الاماره وتحضنك ام معيكه بداك العمله ولابد ما يرطنوا على بعضهم
البعض بالتركي وانت تتفرج لقيت ما يعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان
انا بقيت مثل الاماره وتبقى ام معيكه مثل امراة الامير استاذ البلد ثم
انه صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقه قال فرايت
الامير جالس على سرير من قفص والاعاج الى يقولوا عليه الناس وعليه الفرش يلمع
وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام ما يرفش
بيقولوا ايه شرد مر بردم بالتركي ومره بالعربي الى اذ اشتهى منها قضاء الحاجه
فخد من جنبه ورده ورماها بها فجت له بحسنها وجمالها على احسن حال واتم سرور
وعملوا داك العمله وكل واحد منهم نام على سريره ثم لما اصبح الصباح اخذ
الفلاح خاطر استاذه وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته ام معيكه
ومعها زلعه ملانه ماء من البحيره فسلمت عليه وجلست هي واياه في منادمة
مثل منادمة القرود وبربرة الهنود الى ان سألته عن المدينه وعلى استاذ
البلد فقال يا ام معيكه المدينه مليحه والاستعير الشباخ فيها لانهم
لا يشخوا الا في نقره د ... بينه كيف دارنا ولا مليح كان الامراة استاذنا
تشن وترن وعليها خلقان ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم احمر واصفر
وعلى راسها خف مثل خف الحا البسه في ايام العيد الى شريته ايام الفرح بنص فضه
جلد وفي ايديها اساور صفر الله اعلم انهم من سباط النخل ولابسه قميص احمر
محزنه مثل الزكيبه الى يغنى فيها الفول الاخضر وفي سيقانها حجل كيف حجل
ام دعموم الى شريتها بنصف فلوس جدد ولابسه شاش خضرا والله اعلم
انها صبغتها ببرسيم ويا حسنها وقت داك العمله الى يعملوها الرجال مع النسوان
فخاطر عينيا ام معيكه تعمل لي مثلها حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا
ابو معيكه مثل الاماره فقالت له يا بو معيكه احكى لي على الى شفته من امراة
استاذك فقال لها لما رحت المدينه وطلعت للاستاذ حطني في مطرح فيه
طاقه تطل على الحريم وعلى المطرح الى ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل
وبقيت الخنس كيف التلب فرايت الامير استادنا قاعد على خشب سود

مربوطه بشراميط لها اربع رجلين كيف عريش المغات الى نخمله ايام البطيخ فى الغيط
وقعدت امرأته على خشبه كيفها مثل جرادة الغيط وربما يكلمها بكلام الجنادى
يقول لها شلبصم بلصم تقول له شقلب مقلب حتى اشتهى منها ذلك العملة فحذفها
بنواره حمرا مثل نوار ابو النوم فقامت تشن وترن حتى جت الى عنده وعملت بها
العملة فقالت له امعيكه وحيات شاربك الى مثل شارب التيس لاعملك
مثل عملة الاماره وتنفش على مشايخ الكفر اصبر لما يجى الليل تبلغ مرادك قال
فصبر الفلاح حتى دخل الليل فقال لها اقعدى فى مدود الحماره وانا اقعد فى مدود
البقره فصادك ففعلت وقعدت فى المدود وعليها الثلاثيت والشراميط
واثار الجله فيها وفيها الشخاخ ايضا قال فلما خطر للتعيس لنا صبه قضاء الحاجة
بعد ان صار ينادمها بكلام مثل نبح الكلاب شياط وعياط وسوء الانتن البقره
وعن الجله والشوك والجله وغير ذلك اراد ان يرميها بشئ مثل ما فعل الامير فحط
يده على المدود فرأى قالب طوب محروق فخذه وحذفها به فوقع فى وسط راسها
ففلقها وسال الدم فصرخت باعلا صوتها فاقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم
الخبر فاقبل هو وطائفته وسأل عن القضية فاخبروه بها فامسكه وضربه ضربا
موجعا واحضروا للمرأة جراحيا فقطب راسها ومكث يعالجها شهرا كاملا الى
ان برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله الخسيس كيف ظهر من ملاعبته
لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات فى البلد (واتفق) ان ثلاثة انفار من مخرقة
الريف ارادوا الطلوع الى المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب
الراى منهم اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادى وعسكر يقطعوا الروس واحنا
فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركى والا قطعوا روسنا فقالوا
له اصحابه يابو عمر احنا ما نعرف شئ بالتركى ولا غيره فقال لهم انا تعلمت
التركى زمان من مدة ما كنت اقعد حدا المشد والنصرانى دكبه بركبه حتى تعلمته منهم
فقالوا له اصحابه علمنا التركى فقال لهم اذا طلعنا المدينة نروح الحمام الى
يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقره غويطه
يشحطوا ويخرطوا فيها وبعد ما نخرج من نعيم الدنيا نقف ونلتف فى بردنا ونتم
امرنا اقول لكم قرداش محمد قولوا هاه نوار اقول لكم معاكم شئ برمنغار قولوا
يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادى غرب يقطعوا الروس
ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى فى مصر مثل الاماره ثم يشيع
خبرنا عند الكفر اننا امارة نرطن بالتركى فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى
لهم علينا كلام ابدا فقالوا له اصحابه دى شوره صواب يا بو عمر قال

فساروا حتى وصلوا مصر وسالوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابط
ورموا البرد والشلاتيت وصاروا عرايانين مثل ما يفعلوا فى البرك والابيار
فقال لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فارادوا ان ياخذوا بردهم ليستروا بها
فمنعهم صناع الحمام فوط قدم من جميع الحمام فربطوها على عوراتهم غصبا عنهم
وصارت عوراتهم فى الغالب مكشوفة فرايوهم مدليه ودخلوا الحمام مثل فحول
الجاموس والمعزا والتيوس حتى بقوا داخل الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ
والسخام وغطسوا فى المغاطس مثل الثيران والجديان وخرجوا مع بعضهم
البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم فى حالة الاثوار وصور الابقار حتى لبسوا
الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف وارادوا
الخروج بالاخلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجرة يا عرصات
فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش محمد فقالوا هاه ثواد فقال لهم معاكم
شئ برمنقار يعنى جديد فقالوا يوق يوق يعنى ما معنا شئ فقال لهم
صاحب الحمام اى وقت يا تيوس تعلمتم التركى المعكوس وتقيم اماره وما هذا
التركى الذى يشبه الخرا اقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجرة
بزياده قال ثم انه امر اصحابه بمسكهم وضربهم واخذ البرد منهم وخرجوا من
عنده وتداركوا بالاجرة وقد اقترضوها من اهالى الكفر وخلصوا بردهم
وتوجهوا الى حال سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد ينادى
فى الاسواق على رجل يستحق القتل فظن انه ينادى العونة يا فلاحين ففر
هاربا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينة فقال لهم
لا تطلعوا المدينة فانهم ينادوا فيها العونة والسخرة فقيل انهم مكثوا ثلاث
سنين ما يطلعوا مصر خوفا من العونة والسخرة فانظر الى قلة عقولهم وخساسة
رايهم (وطلع رجل منهم) قرية على شاطئ النيل يوم الجمعة فرأى الناس قاصدين
الصلاة الجمعة فاعتقد انهم ذاهبون الى ضيافة او الى هرهوبة صنعها لهم امير البلد
فذهب الناس الى ان دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس فى بعض الصفوف الى ان
اقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاح ينظر اليه وهو مرتاب وخائف
ومتحير الى ان فرغ الخطيب واقيمت الصلاة وسمع ضجيجهم بالتكبير والتهليل
فاعتقد انها هرجة وقعت بينهم قال فصاح الفلاح يا السعد يا الحرام
الله وكبروسحب النبوت وخرج هاربا وهو يقول خدولك القوم يابو
كنكوت ولم يزل فى خوف وكرب حتى وصل الكفر فلاقاه اصحابه وسلموا
عليه فرأوا احواله متغيرة فقالوا له ايش اصابك ودهاك يابو كنكوت

فقال لهم ياما قاسيت في دي السفره كانوا القوم مرادهم ياخذوني ولولا اني
سحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا قتلوني فقالوا له ايش الخبر يابو كتكوت
فقال لهم وقعة هرجة كبيره ولاسلمني الا الله والشيخ ابو طبل فقالوا له احكي لنا على
ما جرى عليك فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فريت ناس كتير رايحين زي
قطايع الغنم فقلت لابد ماهم رايحين لضيا فراوطهم وبهم فرحت معاهم حتى دخلت
دار كبيره فيها حجاره طوال منقا مرزي الدعايم بتوع العريشه الي نعملها في الغيط
وعليها قناطر مبنيه زي قناطر الصابون وفيها حبال مدليه مثل حبال التيرانه
في كل قنطره حبل وفي جنب حيط من حيطان الدار خشبه عاليه لها سلالم زي سلالم
الغرفه الي نعملها على البيوت من الكرسح والطين ونلطخها بالوحل من اولها
لاخرها والخشبه دي لها راس كبيره زي الناطور الي نعمله في المقات وقصادها
عريشه صومعه زي العريشه الي نخرص عليها الدره والحمص في الغيط ولها سلالم
فطلع فوقها جماعه وقعدوا فيها ساعه وقام واحد منهم وحط ايده في ودنه وقال
كلام ما حد يعرفه الا ولهم وخرج من حاصل في جنب الدار عليه عمامه كبيره الله اعلم
انه قاضي ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم بقلب قوي ووجه كاشر
زي وجه تيس لوسيه وماصال طالع على السلالم سلم سلم حتى قعد على السلم الاخراني
وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق راسه ونظر للناس الي تحته وبهت فيهم
وكشر عن انيابه وهو ساكت غضبان كل من شاف شواربه شح على روحه وحيات
الحاكم ولا عمري شفت اقوى قلب منه ولا استدخيل ولولا انه راس صايبه ما كان
عمل دي العمل وطلع وحده وسحب السيف على القوم وبعدها واحد من الجماعه الي على
العريشه قصاده قام بقلب قوي وصار يشتمه ويسبه ويقول له كلام كتير
فانحق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا في بعضهم البعض شتم وسب ولعن
وبعدها نزل الراجل الي على الخشبه وهو ساحب السيف يعارك في الناس الي تحته
قاعدين فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكم
وقامت العيطه وكنت انسحب بنوتي وخرجت هارب وما سلمني الا الله وبركة الشيخ
ابو طبل فقالوا له اهل الكفر والله يا بو كتكوت لولا عمرك طويل ما سلمت من القوم
وكانوا قتلوك وانت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه
فقال لهم يا شيوخ الكفر ما عدت اروح بلاد البحر طول عمري فانظر الى قلة
عقل هذا الفلاح ومن جهله وصقاعة ذقنه لا يدري الصلاه ولا الجامع من قيام
المرجه (واتفق) لثلاث نسوة من عوام مصر خرجن يتفرجن في ازقة
المدينة فلقين رجلا من تخوف الريف وهو في حالة رذيلة وعلى راسه

قفص ملآن من الفراخ يريد ان يبيعها ويسد بثمنها مال السلطان فقالت احداهن
للاخرى ما تقولى فى الى ياخذ الفراخ من الفلاح ده فقالت الثانية وانا اخذتها بر
وقالت الثالثة كل ده ما هو شطارة الشطارة الى تبيعه مثل بيع العبيد او المعداوية
او الجرافه (قال ثم ان الاولى) التى التزمت باخذ فراخه اقبلت اليه ورغبته بزيادة
فى الثمن قال فمضى معها الى ان اقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له باب ثانية
من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتى واصبر حتى اجى لك
بالفلوس ثم اخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها من الباب الثانى ولم
يزل الفلاح جالسا على الباب ولم يات احد ورأى الناس داخلين خارجين من
ذلك الباب فتحير فى نفسه وقال لابد ان دى دار كبيرة وسال عن المراة التى اخذت
الفراخ فقال له الناس يا سقيع الذقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس
رجاله ونسوان داخلين خارجين قال فتمشى الفلاح فرأى درباً كبيرا نافذا من
الباب الثانى فاحتار وصاح ولطم على وجهه واقام الصراخ فبينما هو فى هذه الحالة
اذا اقبلت عليه المراة الثانية وقالت له ايش اصابك ودهاك يا مسكين وانت
رجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك دى العاهرة واخذت منك الفراخ
وتركتك فى دى الحاله فقال لها الفلاح وحياة عيونك يا مليحه ما معى غيرهم
فقالت له امش معاى حتى اوديك بيتنا واعطيك شئ من الدراهم صدقة عنى
فقال لها الفلاح الله يجزيكى خير وانا لا اخو لما اروح الكفر ازورك بحزمة
ملاح وحزمة بصل وشوية قرلة تبقى صاحبتى وان شاء الله اجيب لك كمان
عشرين قرص جله قال فاخذته وسارت الى ان اقبلت الى بيت كبير عالى
البنيان فسالت عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه
هو وطائفته الى بعض المنتزهات قال فدخلت البيت فلم ترفيه احدا
سوى رجل كبير بواب فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرات فيه بئرا
من الماء مملأ منه الحريم قال فوقفت ونظرت فى البئر ثم انها ولولت وصرخت
وبكت بكا شديدا فقال لها الفلاح بتبكى ليه يا مليحه فقالت له يا فلاح
كبدى مشوم وقعت اساورى الذهب فى البير فقال لها ما تخافيش
انا انزل واطلعهم لكى من البير فقالت لم تعرف تغطس فى الماء فقال لها ادى
صنعتى وطول عمرى فى الهم والغم وخصادى السنه الاخرى فيها الضعف والقوى
ثم قال لها اربطينى فى حبل البكرة ودلينى فى البير ثم انه قلع ثيابه التى كانت
عليه ودلته فى البير الى ان وصل الى الماء فارخت الحبل عليه واخذت ثيابه
وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان منها واما ما كان من الفلاح فانه لم يزل

يغوص في الماء ويفتش في قعر البير حتى كل ومل واسود جلده من برد الماء وكانت ايام
شتاء ولم يرشيا قال فلما اشتد به الامر صار يصيح وينادي المراة فلم يجبه احد فبينما
هو في هذه الحالة اذ اقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح يصيح في البير وينادي طلعيني
يا صبيه طلعيني يا مليحه دا ما هو مليح منك ودا عيب عليكي وانا مت من الصقيع والبرد
فقالوا له الجن دا انت انسي ام جني فقال لهم والله يا وجوه الخير ما انا عفريت انا راجل
فلاح وحكى لهم قصته قال فدلوا له الحبل فتعلق فيه فلما راه الجند وعلموا انه انسي
قالوا دا حرامي وقع في البير فنزلوا عليه بالضرب والصفع وطردوه وراح يجري وهو
عريان بردان جيعان عطشان وهو لا يعرف اين يذهب قال فاقبلت عليه المراة
الثالثة وهو في هذه الحالة وقد صارت الاولاد تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها
على ظهره ومسحت وجهه بمنديل كان معها وسترته بفوطه وقالت له امرك الى الله
يا مجنون يا حزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك في دي الحالة وانت
رجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها يا مليحه وحيات
شلشولك خدوا فراخي وثيابي وحزامي الليف وشدي ومركوبي وما عدت اصدق
كلام نسوان ابدا فقالت له لا تظن انني من عواهر مصر انا عمري ما خرجت من بيتي
غير النهار ده ولما رايتك في هذه الحالة شفقت عليك ومرادي اعمل معك جميل واخذك
الى بيتي والبسك لبس مليح وخليك شلبي ظريف واعطيك حلوك وجوز المشخص
في حزامك وعلمك التركي وتبقى تقول شندي بندي على تلاص بعاص فقال
لها الفلاح انا في عرضك يا مليحه تعلميني شندي بندي وتعلميني التركي وانا على الحلال
من ام شعير كل من عاد يقول لي كاني ماني في زماني قطعت راسه ولو كان ابو عو كل
شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى قال فسار معها الى ان اقبلت
الى منزلها فادخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فاكل وشرب وارتاح في نفسه
ثم انها اتته بماء ساخن وغسلته بالليف والصابون والبسته قميص وزبون
وشخشير جوخ وقاووق قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصه وخنجر في حزامه
ومشطت لحيته وشواربه وجعلته حلوك حليق واعطته بابوج سد... وخرمه في
حزامه وقالت له اذا كلمك احد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا لح
عليك احد في الكلام بالحماقة وشدد عليك قل له كرته هرف بولد
عيد ولا تزيد عليه غير ذلك فان الكلمه دي اصل التركي
اذا عرفتها ما يمضي عليك شهر من الاوان صنجق ويبقى لك طبل
وزمر فقال لها الفلاح انا في جيرتك يا مليحه تخليني اتجي صنجق ويصير لي
سطوة في الكفر وكل من قال لي كل خره اقطع راسه وابقى ان شاء
الله ازورك بربع كشك وعشر طوز كعك من الكعك

الى تعمل ام شحيبر واعمل لك قاعم واكبسها لك بالوحل والجلة وافرشها بالتبن و
القصل وتبقى تناجى فيها ويبقوا يقولوا الجدعان ابو شحيبر طلع المدينة فلاح
ورجع جندى يقول شندى بندى ويقطع الروس قال ثم انها اخذته
ونزلت من منزلها تمشي وهو يمشي خلفها الى ان اقبلت على سوق خان الخليلي
وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده
انواع الاقمشة من الحرير والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت
له اريد منك كذا وكذا مما يساوى الف دينار فاحضر لها ما قالت عليه وربطته
فى بقجة كانت معها وقالت يا سيدى يكون المملوك ده عندك رهن حتى اروح
الى بيت الامير واعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر
توجهى على بركة الله تعالى قال فاخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس
(هذا ما كان منها) واما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تأتِ المرأة
فضايق والتفت الى الفلاح وهو فى هذه الحالة فقال له ستك بطت علينا
فهز راسه حكم ما اوصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز راسه اول وثان ولم
يتكلم فتضايق التاجر من عدم الكلام وقال لجيرانه من التجار ما هذه البلية
فى هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كانه ما يعرف الا بالتركى قال فبينما التاجر على
هذه الحالة اذ اقبل عليه رجل عسكرى فقال له التاجر بالله عليك يا سيدى تكلم
لنا هذا المملوك بالتركى وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندى بالتركى فهز راسه فاغتاظ
منه وسل عليه السيف واراد ان يضربه فلما رآه يريد ذلك واشتد عليه الامر صرخ
الفلاح وقال له كرته هريف بوك يعد قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب
فصار الفلاح يتكلم ويصيح بكلام الفلاحين ويقول انا فى جيرتك يا بو زعبل
فضحك عليه الجندى وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا
انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعراه واخذ جميع
ما عليه واراد بيعه للقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الجاهل سبيله
عريان محلوق اللحيه وهو فى اتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت
لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للقداف بعشرين دينار
ومكث سنة كاملة وتخلص روحه بالهروب ليلا انتهى *(وطلع)*
رجل من الارياف الى المدينة فحصره البول والغائط فسأل عن محل يخلى
فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة
فرأى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف
يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال
عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذى فى الكنيف

وقبض على طوافه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دى نقرة عويطة طويلة
اخرا انا واياك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى
حاجته على عجل وقام يجرى من غير استنجا والناس يضحكون عليه حتى غاب عن
اعينهم ﴿وطلع﴾ رجل من الارياف الى المدينه فادركه الغائط فتحير ولم يعرف
له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكا الى ابن مصر حرسها الله تعالى
وقال له تضايقت من البول والخرا كلما اردت ان اشخ قدام دكان يمنعونى
الناس ويشتمونى فقال له يا فلاح المدينة ما يخرا فيها احد الا بفلوس
ان كان معك فلوس دليتك على عطفة او نقرة تخرا فيها والاخرا على روحك
فقال له وحياة دقنك ما معاى الا نصين فلوس جدد كنت بعتهم ببيض
خدهم ودلنى على محل الخرا وابقى ازورك بعشرين بيضه وجانب كبير قال
فاخذ منه النصفين ودخل به الى الجامع واتى به الى بيوت الاخلية ووقفه
على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقره
عويطه شخ واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله
يخرا ويقول قطن قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته
فظن فى نفسه ان الشخص فى مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا ان قال
هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الزرق الشديد فاكدت مع الفلاح
وكان السبب فى تكرير هذه الكلمة التى يكررها الرجل فى بيت الخلاء هو ان زوجته
لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا قطن وكان كثير النسيان فصار يكرر
اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه
الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح
وجلس على كرسى بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل
الرجل فبينما هو فى هذه الحالة اذ اقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح
فقال الفلاح قطن قطن فتضايق الجندى وتنحنح له اول وثانى وثالث
والفلاح يقول انا ما بقول قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح
والجندى يقول له يا نجس الفلاحين ايش قطن قطن وانت فى بيت الخلا
ولم يزل يضربه حتى اقبل الناس عليه وخلصوه منه ولم يزل يجرى حتى خرج من
المدينه ودخل بلده فلاقاه اهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال
المدينة يا بو دعموم فقال لهم المدينة مليحة الا انك تخرى فيها بنصين وتاكل
فيها بجديدين وان قلت قطن فطقوا عينيك من الضرب ﴿وطلع﴾ اخر للمدينه
فصادف رجلا من غلمان استاذه فعزمه الى منزله واحضر له سمكا صغيرا مقليا
يسميه اهل مصر بسارية له لذة فى الطعم قال فصار الفلاح يسف منه ولم يعرف ما هو ثم قال
فى نفسه داشى عمرى ما اكلته ولا رايته ولا بد يا بو قريطم اظن انها الكنافة التى يقولوا عليها

تطلع في المدينة وياكلها الامارة وبعدا نطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجيعانا
ويسلموا عليك وتقعد انت واياهم على كوم عنطوز تمشش العصوف وتبقى زى
الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تخصص زى تيس الوسيه ويقولوا لك يا بوبريطم
قل لنا ما اكلت في المدينة من الطعام الى ياكلوه الامارة تقول لهم اكلت الكنافة
فما يصدقوك ويقولوا تكذب يا عرص فالصواب انك تاخذ لهم عضمتين من عضامها
وتحطهم في مخلتك وبما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه سطل في مخلته
شيا يسيرا حتى طلع الكفر فاقبل اليه مشايخ الكفر زى الكلاب المسعورة وهم
دندوف وشحيبه وزعيبر وتروفر وقنافد وزراره ونياك الحماره
وسلموا عليه وقالوا له يا بوفريطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينة وما اكلت
فيها فقال لهم المدينة مليحة قوى وفيها سنادى كثير قوى وفيها الخبا ز الاصفر
خذت منه بجديدين وخذت بجديد مقسلي وخذت من الى يقولوا عليه الحمر
كرشة الى يبيعوها على المنشيه العاليه العريضه زى الجرافة واكلت وتنعمت و
اشبرقت حتى خدت كمان وسياة الحاكم بجديد ترمس مملح واكلت فول سار فقالوا
له يا بوفريطم كسرت علينا مال السلطان وعيالك ذى منطلى رزق وانت عمرك بتقتر
ولا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر واقول لكم كيف اني
كلت الكنافة الى بتاكلها الامارة قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه
فقطع مخلته من على راسه واوراهم عضم السمك فلما راوه صدقوه وصدقوا
كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا حوله وعفطت النسوان وقالوا له يا بوفريطم
بقيت زى الامارة وغدا استاد الكفر يتسلق عليك ويقول بقى ابوفريطم سعيد
وياكل ما تاكل الامارة ومتى ما بلغه الخبر شيعلك الى المقداف او الجرافة وانت تكتم
السر ولا تقول لا لقريب ولا لغريب اكلت الكنافة ابدا فقال لهم يا شيوخ الكفر انتم
تكتموا الخبر وتحلفوا الى على الشيخ ابو طبل في لفوا كلهم ان لا احد يبيح بهذه
القضية فانظر الى قلة عقولهم وشدة جهلهم (وطلع رجل منهم الى المدينة)
يبيع بيض فاشتراه منه رجل جندى وقال له امض معى الى المنزل
خذ الفلوس فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى في طريقه كنيفا فدخله
ليقضى حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطا عليه فدق عليه باب الكنيف
فتحنق الجندى فصاح الفلاح وقال له اعطينى حقى يا جندى
ما يحل لك من الله تاخذ بيضى وتخليني واقف على باب بيتك كلما اكلك
تتنحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فاقبل اليه الناس
فخرج الجندى وهو قابض على سراويله ومسك اطواق الفلاح
وصار يضربه بالجرة التي فيها البيض حتى كسره

على راسه وسال على لحيته وشواربه والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفرهاربا
(وطلع) آخر المدينة يبيع تين فاشتراه منه رجل واعطاه الدراهم فاراد ان ياتي
الى رجل صيرفي لينقدها له فسال عن دكانه فدلوه عليه فاتى اليه فلم يجده فسال
عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال للولد بالله عليك دلني
عليه فاخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على بيت الخلاء والصيرفي من داخله
فاقتحم الفلاح على الصيرفي وفي يده الدراهم وقال له خذ دي الفلوس وبين لي
منها المقصوص من النحاس لاني رجل فلاح وعلي مال السلطان ودلوني
علي بيتك ده فاندهش الصيرفي واقام وهو قابض على سراويله يضرب الفلاح
والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة فانظر الى عدم ذوق
الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره (ومما اتفق) ان قيم الشام
في عدم الذوق سافر الى مصر ليزور قيمها في عدم الذوق ويفتخر عليه بعلو حكم
باتلعيا ولاد الفن قال فسافر حتى وصل الى مصر واجتمع بقيمها في عدم
الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد يا قيم الشام قال اريد ان العب معاك
في عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس
بذلك يكون قيم مصر والشام فقال له حبا وكرامة في غداة غد ان شاء الله
تعالى نجمع اصحابنا عديمين الذوق ونلعب انا وانت في عدم الذوق
بحضرة قيم الشام وقالوا له العب واجتهد في عدم الذوق قال
فذهب قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها شوك وسلط وحملها على
اكتافه وشق بها بين الناس في الزحام فصار الشوك والسلط يشتبك
في ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى ان تم ملعوبه
واتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر
بقا شي عندك من عدم الذوق غير ذا الفعل قال لا فقال له دي ما هي
شطاره لان الناس استعدموا ذوقك لكونك آذيتهم وشوشت عليهم
وانا افعل اعجب من ده وهو اني اخلي الناس يستعدموا ذوقي بالورد والنسرين
والريحان واشباهها فقال له قيم الشام هذا شيء لم يجد طيبه وزي
ما تعمل فقال له بكره تشوف ما اعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر لقيم الشام تعال معي
وانظر ما اخبرتك عنه البارحة قال فمضوا جميعا حتى اقبلوا على بتاع الزهور فاخذ قيم مصر
منه شيأ يسيرا من الورد والنسرين والريحان ومعه هو وقيم الشام والطائفة حتى
اقبلوا على ميضاة المسجد والناس في ازدحام وقت الصلاة في بيوت الاخليه
فصار قيم مصر يدخل على كل رجل وهو جالس في بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين
والريحان ويقول له يا سيدي خذ شم الورد وغيره يبقى بها رك مبارك واعطني

ماتيسر فتضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستقدم ذوقه ويقول له ما اعدم ذوقك انظر انا في خرا والا في نيا ز وصار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك اقر قيم الشام على نفسه انه عديم الذوق تحت حكم قيم مصر وتحت امره واخذ خاطره وتوجه الى بلاده ونظير ذلك ما اتفق ان ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه والعي والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فاخذه الى منزله ووضع بين يديه الماكل والمشرب ثم انه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة ايام حتى اكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخي اخبرك بما حصل لي في الطريق وهو اني سافرت مع القافلة فعدمنا الماء في بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرأيت في جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابي ونزلت فيها ولم ازل نازل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل في الاكل والشرب مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقي عندي شيء تاكله واخبرني ولك يا اخي ما فعلت في البير فقال له فلما انتهيت الى قاع البير وجدت فيه جرطاحون فوضعته على كتفي ولم ازل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام امسك ما معك انت مكثت مدة ثلاثين يوم وانت نازل في البير من غير شيء فكيف طلوعك وانت معك حجر طاحون اشهد لك انك قيم الثقلاء في مصر والشام وانا من تحت يدك وانصرف عني قال فاستنطا طره وانصرف بعد ان كتب له محضرا بذلك انه قيم مصر والشام في الثقالة والرذالة وعدم الذوق * واعلم ان اهل الثقالة على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات

(قال الشاعر)

وثقيل قال صفني قلت ايش فيك اصف كلما فيك ثقيل حل عني وانصرف

وقال آخر وثقيل تبسما اصبح الكون مظلما حط في الشرق رجله مالت الارض والسما

فمن كان فيه هذه الثقالة ويحوي هذه الرذالة ينبغي الرحلة عنه والفرار منه

(قال الشاعر)

لارحل عن بلادك الف عام * مسيرة كل عام الف ميل
ولو كانت بلادك الف مصر * ويروي كل مصر الف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * شفتا من ديارك بالرحيل
وانشد في فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بارض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى بعض الفلاحين) رجلا الى القاضي وادعى عليه انه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيما لدابته فاحضر القاضي الرجل المدعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا انه ضربني وشوش علي فقال القاضي للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح انا بيك يا قاضي تور وانت اذا انزلت غيطي يا هلتري اضربك اكسر قرنك والا اخليك تطلع سالم والا ترعى غيطي فقال القاضي اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذي تشبهني به ثم انه طرده ولم يسمع له كلام * (ويقرب) من هذا المعنى ان رجلا فلاحا دخل على الامير حماد بن بقر وانشد يقول

يا ابن بقر ما انت الا تور والناس حداك عجاجيل
لما تهز بقرونك هاش يولوا الكل بعنا فيل

ومعنى هذا الكلام انت ايها الامير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل اي مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولوا من هيبتك مثل ما ان الثور اذا التفت بقرونه وهاش في العجول ولت من بين يديه فانشد هذا الفلاح على حسب ما لائم حاله وناسب جهله وهباله اقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الازرق والناموس الابلق واستعملها في هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف موالیا

رايت ام زعابه في المعازيل تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل
وسوها شفت سربه من عجاجيل وهم ينطوا وهي تلعب حناجيل

والعجاجيل جمع عجل كما ان الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من التحنجيل وهي لغة ريفية فانهم يقولون فلان يتحنجل اي يجري جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام اني رايت محبوبتي هذه وهي ام زعابه في منزل من المنازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه ايضا وسوها العجول يلعبوا وينطوا وهي الاخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم فنزح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشي منجذب اليه * (وطلع) رجل منهم المدينة لقضا حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا كيف حال المدينة فقال لهم المدينة مليحه فقالوا له يا بو عوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقة مليحه والشبرقة التي يقولوا عليها الحصة خدت منها بجديدين وسمعت واحد ينادي في المدينة حلو وبارد يا تين فخدت منه عشرة [illegible]

جديد وحطيتهم في منزد وغمستهم بيدي وشربت عليهم جرة موية من البحر
فقالوا هنيا لك يا بوعو كل لكن تضيع وتحرق ولا تخلي فلوس واحنا
خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله
يا ما ضيعنا وصرفنا فصاصي وجدايد (وقال رجل فلاح لصديق له)
يا فلان عملت السنه كعك في العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير
فقال له حطيت فيهم ايدام كثير فقال له حطيت جديدين فقال
له افقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقي شي
عندك منهم قال بقي عندي واحده اغمس بها الجاره من كفر دنديط
الى كفر هربيط (وارسل بعض الامراء) غلاما له فلاحا بنصف فضه وقال
له اشتري لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فاخذ النصف فضه
واشترى باربع جدد كعك واربع جدد زعتر من غير دق ووضع الجميع
بين يدي الامير فلما راوه الحاضرون ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده
وتوجه الى بلاده * (وارسل بعض الامراء ايضا غلاما له فلاحا) *
وقال له خذ دي الدراهم واشتري لنا دبة يعني بطة جلد يوضع فيها
السمن والعسل فتوجه الغلام الى الرميله وسال عن بياع الدبب
فدلوه على القرداتي فاتاه وراه بالقرد والدبة والكلب فتصبر عليهم حتى فرغ
من لعبه فتقدم عليه وقال له مرادي تشتري للامير دبة مليحة فقال له
القرداتي عندي واحدة مليحة رح بنا نفرج الامير عليها قال فمضى الغلام
هو والقرداتي ومعهما القرد والكلب والدبة حتى دخلوا بيت الامير الذي ارسل
هذا الغلام وكان في ذلك الوقت الامير جالسا هنالك وعنده جماعة
من الاكابر جالسون فلما راهم القرداتي قام يدق في الطار وجعل القرد
والدبة والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتي
ان خدامك دهناني واخبرني ان مراده انه يشتري دبة يجيك بها والقرد
والكلب تتفرج عليهم وتشتري ما تريد قال فضحكوا الامارة وامر
الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين
كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فاطلقه وطرده من
عنده وتوجه الى بلاده واحسن الامير للقرداتي وامره بالانصراف
فانصرف * (ورايت رجلا فلاحا) * يتكلم مع صديق له
ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا فقال له ايوه فقال له
فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك انها واو فقال دلني
عليها النقطة التي فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لا هو الك

* (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ماقالوا العشاق فقال له ما قالوا يا بو عمر فقال شعر مفقص لا له اول ولا آخر لقد اقول

جنيتش خلوت به انت   منزلة باطالعة القمر وشن

فقال له داكلام موت فقال له داكلام هارب الرشاه الى وقع في الحب لقفه التمساح نزل عليه الوحل في جامع الطيلون الى نار برد وسلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى ابن ابي طالوب جرى له زي ماجرى *

* (وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرا الفاتحة حط يده على راسه وقال آه يا راسي فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له انا ما باشكي لك انا باشكي الى ربي وجع راسي ثم انه ركع وصلى واتم صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف * (وصلى رجل آخر) من الفلاحين فاحرم بالصلاة وقال يا رب خلي لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلع لنا زرعنا وخلي لنا ولدي عنطوز فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح انا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدي قبل موتهم * وصلى آخر فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا ابويه النقس روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخد شخيبر يحطها في المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة * (وصلى رجل آخر) فلما جاء للتشهد جاء ولده وركب على اكتافه وصك على قفاه وامسك لحيته بيده وفيها الوحل والجلم فقال له يا ولدي انزل عني حتى اتم صلاتي ثم انه تشهد واتم صلاته فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح سمعنا ابويه وجدي يقول حديث عن امام زمانهم جدتنا القديم من لا يسمع ذقنه ما يربي ابنه واولاده الصغار مثل اولاد المعز وابوهم كيف التيس يطلعوا عليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجد وامثاله ثم تركه ومضى * وصلى رجل منهم * فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معيكة المجنون جيتلك يارب بجبيني وحلقي وقفاي ومركوبي لاتردني يارب خايب لامن رجيلك ولامن رجالك الله وكبر وركع واتم الصلاة الشروية * (وصلى آخر) فلما قرا الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ابدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطل وخلي الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد * ۞ *

(وصلى) فقيه ريفي بجماعة فلما قرا الفاتحة واتى الى آخرها قال ولا الضالون فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت قال له سكل انت كفرت فانه ورد في حديث زعيطهم ام معيطهم ام شلاطه عن ام خراطه الخطرطه بنت خرا الحس وجهها كل الخنفس قالت اذا ضرط الامام طرزت المصلين وجبات راسلت (وحكى) ان رجلا من جهلة الاعراب صلى باخر فقال هذا اللفظ شتنتير كيف ينتير جماعه راكبين فيل

جتهم طير ابابيل يغلبهم مثل الفطير ثم ركع وركع الآخر واتما صلاتهما التي لا فيش ولا عليش
(وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته عقرب فضرط من شدة اللدغه
ثم رفع راسه بسرعه وقال يا رب انت تعلم اني ما ضرطت بخاطري الا غصبا عني
سامحني يا رب ثم انه تشهد وسلم

* * * * *

وصلى آخر فلما سجد رأى بختة اخفاها بجبهته فاب فرص جله ووضع تحت جبهته
واتم صلاته عليه (وصلت امرأة من نساء الارياف) فلما تلبست بالصلاة جاء كلب
واخذ من جانبها رغيفا فامسكته وقبضت على اذنه وشتمته وهزته وخلصت
الرغيف من فمه واتمت صلاتها

* * * * *

وكان بعض الاولاد يقرأ في الكتاب فجاءت امه واشتكته للمؤدب وقالت له يا سيدنا
الولد هذا يؤذيني ويشوش علي وانا اصلي واذا ركعت شلح ثيابي وشخ علي فقال له
المؤدب حق ما تقول امك قال نعم يا سيدنا فقال له ما السبب في انك تؤذيها وهي
في الصلاة فقال له يا سيدنا لان عبادتها لا فيش ولا عليش لكن اسالها انت
ما تقول في صلاتها فقال لها المؤدب انتي تحسني الصلاة فقالت كيف لا احسنها
وانا اعرفها من ايام جدي وجدة جدتي فقال لها اقري الفاتحة فقالت
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اذا جاءك البح نصر الدين افتح لم الباب
يدخل ولو كان طوابا فقال لها المؤدب قاتلك الله ما هذا قرآن ما عدا البسملة والحمدلة
فقال الولد اسالها يا سيدنا ما تقول بعد الصلاة فسالها فقالت اقول
زي ما كانت تقول امي وجدة جدتي سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال
فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرت يا ملعونة ثم انه التفت الى الولد وقال له اسرتك
ان تخرا عليها فضلا عن الشلح ثم انه زجرها وطردها وهربت من عنده ❀
وصلى رجل فلاح فلما كبر واراد ان يقرأ دعا الافتتاح قال وجهت وجهي للذي
شرح السموات والارض لا انا لا حنيفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال
له رجل عارف فمن اي ملة انت قاتلك الله الا بعد فقال انا من بني عقيل فضحك عليه
ثم تركه ومضى (واما) لمواهم فمشهورة وامورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم)
وما يقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط في الدين ونحو
ذلك فنقول

(سئل) فقيه ريفي عن تفسير قوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
ما معنى اقلعي فقال هذا الجاهل اي سيري مثل المراكب المقلعة (وتولى بعض فقهاء الريف
عقد نكاح) فقال للولي قل انكحتك بنتي خطيطة البيضة اللون الشقرة
الشعر الي عينها اليمين حولا وعينها الشمال بالعمول بشرط ان تكون
في طاعتك وتفيق لدارها وتلزق لك الجلة وتفرش لك فراشها

وتنيم

وتبرج لك فتبلتها على عينيك ثم قال الخاطب قول قبلت نكاحها وصراتها وفراشها وفرشتها (وقال شيخنا العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبي نفعنا الله به) زرنا سنة من السنين سيدنا احمد البدوى عمت بركاته ونفعنا الله به فى الدنيا والاخرة فلما رجعنا من الزيارة ادركنا المبيت فى قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر فيه اثار الجلة والوحل وهو مفروش بيسير من الحشيش وبجانب منه خال فيه بعض عجول بقر مربوطة فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن العجول نتذاكر فى العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافى الرجلين من غير مركوب وعلى راسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقهاء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القران قلنا نعم فقال اسألكم على سؤال قدام مشايخ بلدى ان قلتوا الجواب عليه وزديتم حولى عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد قال فقيه البلد واماميها وخطيبها وما عرف حد غلبنى ولا عرف سؤالى قال فضحكنا عليه وقلنا اسأل عما بدالك فقال يا فقهاء الازهر الصلاة لها كم عنصر ومين عنصرها الاولانى وعنصرها الاخرانى قال الشيخ عفى الله عنه فقال له رجل من اتباعنا الصلاة لها ثلاثة وستين عنصرا الاولانى من عناصرها رجليك والتانى ايديك والتالت طيزك والاخرانى ذقنك قال فسكت ولحتار فى امره فقال له اهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يابو عجول فقال لهم طول عمرى اسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ما شفت حد عرفها وبين عنصره الاولانى والاخرانى والا والله ... لكم يا مشايخ البلد الحق انهم غلبونى قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله واحضر لنا فتة دين ابن دشيش وخبز دره فاكلنا ونمنا فى مكاننا الى ان اصبح الصباح فحضر عندنا ورحب بنا واخذ بخاطرنا وتوجهنا والحال اننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وما عرفنا هذا الكلام غير ان تابعنا لشدة حذقه لبابه من معنى سؤاله واعطاه كلاما فهما ذكاه * * * *

(وسال بعض الفلاحين) اخانا فى الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدبيجى رحمه الله تعالى فين هى قبلة طيزك فقال له لم ذقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون جميعا * * * * * * * *

* (قلت) ونظير ذلك ما حكاه شيخنا ان مما اتفق فى بعض السنين انه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها واخبره انه من علماء العجم ولا احد يقاومه فى العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده فى منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك

قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم اسالهم بحضرتك سوالا فان اجابوني
وانا من تحت امرهم والا يكون لي القفا عليهم قال فارسل الوزير الى علماء الازهر
فلما حضروا بين يديه وغص المجلس باهله عرض عليهم الامر فقالوا يسال العجمي
عما بدا له فقام العجمي بين ايديهم وسالهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ
به فقالوا له يا وزير الاشارة لاتكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال
لهم لابد ان تجيبوه عن سواله والزمهم بتلك المسئلة ليسلم للعجمي وعتبه
له فقالوا له امهلنا ثلاثة ايام حتى ننظر بقية مشايخنا فامهلهم الوزير ونزلوا
من عنده فقالوا لبعضهم كيف الراى ودفع هذا العجمي ورده مقهورا الى بلده فقال
رجل منهم الراى عندي اننا ننظر لنا رجلا من اجلاف الريف ونخوفهم لا يعرف
السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا ونلبسه
لبس العلماء ونمشيه قدامنا ونمشي خلفه ونطلع الى الوزير ونقول له هذا شيخنا
وهو الذي يجيب العجمي ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط الكلبة على الحتريين
قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة فوجدوا رجلا من
اجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الشفايف كبير اللحية على راسه
لحف وعليه جبة من الصوف لركبته وهو جالس في حانوت ياكل بيض مسلوق
فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة واحدة فلما راهم ظن انهم يريدون
اخذ البيضة منه فاخذها ووضعها في لحفه من داخله واراد الهروب
منهم فدخلوا عليه فقال لهم انا في حيرتكم يا شرايف فقالوا له لاتخف يا فلاح
ولا تخش من شي فقال لهم انا خايف تاخذوني للاستاذ يبطح راسي
وانا عمري ما انشحت ولا طلعت مصر غير السادي وانا كنت جيعان وجبت معاي
اربع بيضات شويتهم اكلت ثلاثة وفضلت معاي واحده خفت منكم
وشلتها في لحفي وانا على مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا له احنا
مرادنا نعمل معك خير وان طاوعتنا اعطيناك القرشين الى عليك
وغديناك وبسطناك فقال لهم انا لا اخسر كل ما امرتوني به
فعلته من امر خير او هد حيط او شيل طين او عمل عملتها لكم في ساعه
وان كنتم في عركة على عشكم وها توا الى نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا
الف رجل اطحنهم فقالوا اما مرادنا الا نعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمي
يسالك تجيبه على سواله وتغلبه ولكن لا تتكلم ابدا الا بالاشارة حكم
ما يكلمك بالاشارة فقال لهم خدوني للعجمي ده وان
طلبتم اضربه خبطة واحدة بلكاميه قتلته ولو كان عند السلطان
والوزير وانا يا ما قتلت ويا ما سرقت وانا على مال السلطان وعلي الى ارد

الى

البجي ده مغلوب قال فاخذوه والبسوه لبس الفقهاء وعمموه على قفه عمامة مدورة
وسقط البيضة من داخل عبه فقالوا له شلتها هنا لما ترجع فقال لهم وحياتكم
لم اشيلها لانها بيضة فرختي واو ابيضها وليلما اسعى اكلها فقالوا له خليها معك
معك ومضوا على حالهم حتى اقبلوا على الوزير فلما راهم الوزير قام اليهم واعظم
منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذي يجيب البجي في سؤاله قال فجلس البجي
متأدبا بجلوس طلبة العلم وجلس الفلاح عند رجليه لم يقبل من حضر كانه قاعد
في زريبة بقر فلما راه البجي على هذه الحالة استعظمه وقال في نفسه لولا
انه من العلماء الاجلاء ما احتقر الناس ثم ان البجي اشار اليه بالسؤال يريد منه
الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى الفلاح فاقام الفلاح له اصبعين
اثنين ثم رفع البجي يده الى السماء فوضع الفلاح يده على الارض فاخرج البجي
من عبه علبة وفتحها واخرج منها فرخا صغيرا ورماه الى الفلاح فاخرج الفلاح
البيضة من عبه والقاها الى البجي فعند ذلك هز البجي راسه يتعجب منه
وقال للوزير ولبقية العلماء قد اجابني عن سؤالي الذي اشرت به اليه واشهد انكم
افضل من تلامذته ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء
اكراما زائدا وانصرفوا مسرورين منشرحين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح
بعد ما نزلوا الى منازلهم ما عرفنا حقيقة السؤال والجواب فاخبرنا عنه فقال
لهم الفلاح يا خسارة عليكم انتم فقهاء ولكن ما تعرفوا ترد والناس جواباتهم
انا لما قعدت قصاد وجهه رايت عينيه احمرت وزاد به الغضب كانه يقول
لي اصبعي لنغسك والاخرقت عينك بصباعي ده فاشرت له انا الاخر اقول له
ان لم تصبع لتغسك والاخرقت عينيك بصباعي دول وزغتهم له فرفع يده الى
السماء كانه يقول لي ان لم اطيعك والاعلقك في السقف فحطيت ايدي انا الاخر
على الارض اقول له ان اردت تفعل بي ما تقول لاعملك في الارض حيط تلطعه
صفار ريتك فلما راى غلبته وظاهر عليه اخرج لي فروج نصاح صغير يعود بي انه ياكل
كل يوم فراخ وانه متنعم في الماكل والمشرب فاخرجت له من عبي انا الاخر البيضة
المصلوقة اوريه اني متنعم في اكل البيض المصلوق في كل يوم فغلبته برد سؤاله
قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى البجي وسالوه عن الجواب فقال
لهم على شرط اسال العلماء هذا السؤال وانا اخاطبهم فاعرف اسلم على ايديكم
هذا فقالوا له اخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم انت له اولا اصبعا
اشير اليه يقول لي ان الله واحد احد فاشار الي باصبعين يشير الى انه ليس
له ثان فتعجبت له بيدي اشير اليه انه رفع السماء بغير عمد ثم حط يده الى الارض
يقول لي وبسط الارض على ماء جمد فاخرجت اليه علبة فيها فروج صغيرا

اليه انه يخرج الحي من الميت فالخرج الى البيضة يقول لى ويخرج الميت من الحي
فاجابني جوابا شافيا فما رايت اعلم منه فعرفوا ان الهجي كان في مقصد والفلاح
في مقصد آخر على صدق قول القائل

* سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة * (كما اتفق) *
ان رجلا امسك لحند فضرط حماره فقال صادفت النكتة

وخطب فقيه من فقهاء الريف فقال ايها الناس الى كم تلتهوا في الحصيدة
وفي الزرع والقلع وعذابكم اللوم وتحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم
بالمزاريق فما لكم عند الله عذر ولا تعويق * واعلموا يا اهل الكفر الى وراه عدو
ما وراه هدو وقواكم الله يا قوم فدامكم جيش حرام فانتم تحترسوا الا يجيكم
العدو من جنب الترع فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصره وقولوا يا حنان
يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا ٣ ميتين فقالوا آمين ثم نزل فصلى بهم
صلاة فشرقية لا فرض ولا سنه *

وخطب آخر فلما صعد المنبر قال اعلموا يا اهل بلدنا ان عندكم قمح كثير وتبن
وشعير وانتم في خير من رب العالمين فانتم تنفقوا الزرع الوسيه والا يصيبكم
الكاشف بداهيه وبليه فغدا تشربوا القهوة والسحر وفيقوا الغنم
والبقر والخنزير ابياركم دقوا الدوركم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس
والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجروا بلا سبب
الله * الله * قولوا لا اله الا الله * من وحد الله ما خيبه الله آمين
والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم *

وخطب آخر فلما شرع في الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط
في حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا الخطيب
وعدوا انه كلب ينبح *

(وتوجه فقيه) هو وجماعة على انه يسرق واياهم فول اخضر من الغيط فذهب
معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من القرية واخذ كل واحد منهم عن كبيره من
الفول واخذ هو عزين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة
وقال ايها الناس قال له رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل
مالك ومال الناس ما كنا واياك في السرقة اخذ كل واحد منا عمر وانت اخذت
عزين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من
البلد لما ثبتت سرقته *

* (وسأل فقيه ريفي) بعض العلماء وقال له مرادي اقرأ الاجرومية على

مذهب الشافعي فضحك عليه من جهلهم وطرده (ودخل على العلامة الحميدي رضي
الله تعالى عنه) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان
الشيخ الحميدي شيخ الصحافيين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى
انظره لك فجلس عنده واذا برجل اقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدي
مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لابي جمرة وطرده من عنده
قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال
لهم انا فقيه الريف اقرئ الاولاد في الله ى القرآن وقد ثقل عليهم
لطوله فقلت لعل احدا اختصره فيكون اسهل على الاولاد ويحفظوه بالسرعة
فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله * (وسعى رجل) *
من الاكابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة
في بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتني به فلما حضر بين يديه قال له
القاضي هل تحفظ القرآن قال نعم ابقاه الله مولانا القاضي وعندي مصحف
مليح بخط المؤلف فتحقق القاضي جهله وعرف وضحك عليه وطرده
ودخل بعض فقهاء الريف الجهال على ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ورجل الامام
ممدودة لوجع اصابه فلما رآه الامام في هيئة حسنة وثياب فاخرة لم رجله
وكان الامام يقرر في مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس
ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال
الامام آن لابي حنيفة ان يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه * *
واتفق ان اثنين اختصما في آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم
يتفكرون وقال الاخر لعلهم يتشكرون فبينما هم في المشاجرة اذ طلع عليهم
فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم انه يحفظ القرآن هل هي يتفكرون
او يتشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى اننا نأخذ من كل كلمة
نصفها ونجعلها لعلكم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك
الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل من علماء المسلمين)
قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس في مسجدها ويخبط خبط عشواء ويحدث
يروي حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث في اي كتاب فقال له في كتاب عندي
يسمى الدلهمة والبطال فقال اضعفت حين اسندته ثم قام عليه وابطل التدريس
ومضى (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت
في نفسي اسأل عن فقيه البلد وانام عنده قال فسألت عنه فقالوا لي انظر على الكوم الذي
في وسط البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده ويبيعه
فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب

ويمنعهم عن جارة الميت حكم ما ذكر لي اهل بلده وهو في حالة رذلة وثياب
دنسة حافي القدم تعيس الناصيه فسلمت عليه فرد علي السلام بتكلف وهو مشغول
بما هو فيه وهو يقول اخص جر زوج يا مشئوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو
في كرب كانه يغازي القوم قال فجلست ساعة انظر في حالة واذا برجل اقبل
عليه من اهالي قريته وقال له يا سيدنا انا قلت لامراتي انت طالق بالثلاثة
وسالت فاحد ردها لي وقالوا لي ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وانا
خاطري تردها لي وتخلصني من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه
وقال له ان كان مرادك اخلصك من اليمين ما اخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك
ما تطلب فقال له خذ امراتك في وقت السحر وروح بها بركة الماء الى في المحل الفلاني
وخليها تشلح ثيابها وتخوض في الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها
حتى يدخل الماء فرجها فان الماء يحلك ولذلك ذكر فصدق عليه انه ينكحها قال الله تعالى
وهو الذي خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله هذا الرجل اخذتني الغيرة في
دين الله تعالى وقمت عليه بالسب واللعن وقلت له قاتلك الله وعلك وتربك
ونهيت السائل من هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاثة ولا يجوز
لك ان تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت اني لا ابيت في هذه القرية
لاجل هذا اللئيم ثم مضيت الى بلد اخرى وبت بمسجدها الى ان طلع النهار
وتوجهت الى سبيلي

* *

(وقال بعض فقهاء الريف الى تلامذته) قد ظهر لي في القران بحث وهو
قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك انه وجه ضعيف لانه حكي بقيل *

(ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر بنواحي
الجبل فراى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع
فجلس يقرا سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية يسمعوا
قراءته الى ان وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة
رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ تحسبت القران كلام الله ما فيه كلاب
وانت تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك
قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل
الى فقي بلدنا الحاج مخالف الله ونسأله فان قال لنا القران
فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال فارسلوا خلف
هذا الرجل فحضر شخص كانه سارية الجبل من طوله او عامود من عواميد
الصوان من غلظه وثقل اذانه وزوجته تقشعر منها الجلود وهو ملفح بحرام
ابيض دنس لا غير فلما احضر وجلس اخبروه بالقضية فنظر عينا وشمالا

وقال اسمروا احقق ابين لكم وا كشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا
على الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه اقام بسرعه
عريانا مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو السماء
وهو في وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتفت اليهم وجلس وقال لهم طلعت العشر
سماوات التى خلقها الله تعالى فرايت اول سما فيها بقر وثانى سما فيها جاموس
وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها تيران وخامس سما فيها كذا وسادس
سما فيها كذا وصار يعدد اصناف فيها من الحيوان الى ان قال وشفت السماء العاشرة
مليانة غنم وانتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم تحوز الكلاب ولا يفارقها وراعى
الغنم لا بد له من كلب يحرس غنمه فخلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين
ذرة قال فاخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هولاء الجهلة
(وكان بعض فقهاء الريف) يدرس فى قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة
اجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف فى الجواب لشدة جراءته فى الكلام من غير
معرفة الى ان حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه فى
المسائل واتيانه بكلام ليس فى كتب الفقه الا ان فيه رائحة المناسبة فقالوا امر هذا
المدرس عجيب فقال رجل منهم انا اختبره لكم وابين لكم صدقه من كذبه كل
شخص منكم ياخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها
فقالوا هذا الراى صواب فاخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم
جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا راينا فى بعض الكتب
لفظ الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى ارض
الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم واراد يذكر حديثا باطلا فقالوا له امسك ما معك
قبحك الله اما كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك فى الكذب عليهم
واما الكذب فى الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وابطلوه الدرس
قلت ولهذا ذكروا ان العلم امانة وان الشخص لا يجوز له ان يتكلم الا
عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول
ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام * (فقد سأل بعضهم) رجلا من اهل
العلم عن وصف كلب اهل الكهف فقال لا اعرف وان والده وكان من العلماء
فقال له انى سئلت اليوم عن وصف كلب اهل الكهف فقلت لا اعرفه ولم يبلغنى
فى وصفه شئ ثابت فقال له ابوه لاى شئ توقفت فى الجواب كنت تقول لهم صفته
ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك للجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا واصبح

ينادي عليه في الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدي فانه رجل كذاب مدلس
وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة * (وأوصى لقمان ابنه) فقال له يا بني
اذا سألك الناس فقل لهم لا ادري فانك اذا قلت لهم لا ادري لا يسألونك
حتى تدري وان قلت لهم ادري سألوك حتى لا تدري (وقرأ بعض جهلة فقهاء
الريف) واذا بطشتم بطشتم جبارين يريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرأ)
آخر منهم ولله ميزاب السموات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذي ينزل منه
المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقلها انقسم
ظلما في اي سورة فاطرق ساعة ثم قال في سورة الدخان (واشتكى رجل) ولده
للقاضي وقال له اصلح الله مولانا القاضي هذا ولدي يشرب الخمر ولا يصلي
فقال له القاضي ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فاني اصلي ولا اشرب الخمر فقال له ابوه
انه يزعم انه يقرأ القرآن وانه فقيه البلد فقل له يقرأ شيئا منه فقال له القاضي اقرأ يا غلام
فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا يرى فيه ارتيابا

فقال ابوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضي وانا الآخر
كنت احفظ فيه آية اخرى وهي قد رأى البعد عذابا ثم قال القاضي للرجل خذ ابنك
فانه ماهر في القرآن فانظر ايها المتأمل الى جهل الغلام وابيه وتعجب من جهل القاضي
الذي لم يفرق بين الشعر والقرآن * (وقال بعض العلماء) * كلما سئل عن مسئلة
يقول من جهله فيه قولان فقال له رجل افي الله شك فقال فيه قولان فكفر
بحسب عبادته وبعضهم اجاب عنه ان فيها قولان من جهة النحو (ودخل)
بعض العلماء قرية من قرى الريف فكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلي
فرأى اهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص
وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وفار ميت معلق في عنقه فتعجب من فعلهم
وقال لا بد لي ان اسأل فقيه البلد عن ذلك فبينما هو متعجب واذا بالفقيه
داخل المسجد ليخطب وهو ايضا مثلهم حامل قفة فيها مغرفة الخ ومعلق في رقبته
فار ميت ورآهم يصلون جميعا بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وسأله عن هذا الامر
ومن امر اهل القرية بهذه الفعلة فقال له انا امرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل
والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال الحديث رأيته في كتاب عندي واسمه
كتاب التنبيه ولفظه حدثني يحيى ابن يحيى عن سفيان الثوري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة
وقال فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالتنبيه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة نظيفة بقفة

وسكينة تصحفت بسكينة وخشية تصحفت بخشبة وسرقة تصحفت بعرقة
ووقار تصحفت بقار واما سند الحديث فهو حدثني يحيى ابن يحيى عن سفيان
الثوري تصحفت مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى اهل القرية
في ابطالهم هذا الامر وسعى في خروج هذا الفقيه الجاهل من البلد لعدم معرفته
وجهله وقلة عقله فاخرجوه من البلد بيد امير البلد وطردوه *
ودخل بعضهم قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين
بل يقول وانتم يا اهل هذا البلد تشهدون ان محمدا رسول الله قال فتعجب من ذلك
ودخل المسجد فراى الناس مزدحمين على شيء يباع فيه فاذا هو خمر قد صب في اناء
ويناول رجل منهم للناس ويقولوا هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذه اعجب
ثم مضى الى المحراب ليسال الامام فوجده قد اقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى
مرفوعة واقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته ساله عن القصة
وعن رفع رجله في الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم يا سيدي ان المؤذن
الذي سمعته لا ينطق بالشهادتين نصراني اصطفينا اليه لمرض اصاب المؤذن
ورايناه صيتا اقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين واما الخمر الذي
رايته يباع في المسجد فان المسجد لم كرم عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير
عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقين وارباب الوظايف واما رفع رجلي التي
رايتها فقد اصابتها نجاسة وانا داخل المسجد وادركتني الصلاة فقلت ارفعها
ولا اصلي الا على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لاني خشيت من المشي عليها فيحصل
التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل واتى الى القاضي فدخل عليه ليساله
عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط به فتحير في امره وقال له ما هذا يا مولانا القاضي
فضيلتك اغرب مما رايت واعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعي اهله انه بلغ
الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فاخذته لاختبره فعرفته وقلت ان فعل وانزل المني
فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرايته قد انزل المني وتحققت بلوغه
وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله انتم وقريتكم
جميعا وحلف ان لا يعود اليها بقية عمره *
(وتولى) بعض فقهاء الريف الجهال القضاء فارسل الحاكم ولاه هدية
وارسل معها مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الا فندي ان الواصل
لكم هدية خروفين وسرموجتين للافندي خروف وسرموجة والنايب خروف
وسرموجة قال فلما وصل الى القاضي مكتوبه امر بعزله وتحقيره واخراجه من
القرية * (ونظيره) مكتوب فيه الذي ذكره سيدي علي بن سودون
في ديوانه الذي ارسله الى اهله من الصعيد قال في عنوانه انه يصل ان

شاء الله تعالى الى دربنا المحروس الذى خشبته سقط ولقمة ويسلم لبدا اهل بيت
فنيت وفى داخل المكتوب السلام عليكم بعدد مافى النخيل من الاوراق سلام لا يسع
طبق ولا طبقين ولا اطباق اطول من مقود زرافة ولو كان طاق او طاقين او طاقات
من كل بد وسبب وفى هذا المعنى اقول لكم كان شعر

ان كان ابى ما مات وامى تعيش * فبلغهم ياريح عنا السلامات
وروح قول لهم الدمع الناشى البلد * ويا ما جرى لى من بعدكم نكبات
وانكم فى غفلة كبيرة عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الاصيل تنهيمات

والذى نعلمكم به ان كنتم لسع طيبين بالحياة انى ارسلت لكم صحبة القاصد على جوز وزفقس لصيف من ذلك الوزه وايضا خروف ابلق وخروف بلا بلاق وسبحان الله تبقوا تتكلوا اخراف ارسلتم تطلبوا لحبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم لنا على عرضه وارسلتم تطلبوا اكشك وانا ان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحة وان طبخته ما يوصل لكم حتى يبرد وطلبتم بيده وما قلتم لى بنسل او بلا شى وطلبتم قليلات والفلاحين ما يزرعوا الا نوع طويل فيكون ذلك فى خاطركم من سقفه وبلغنى ان امرأتى حبلة من بعدى فلا تخلوها تولد حتى اجى وان ولدت قبل ذلك لا يكون الا صبى وسموه دار المنطيب فانى دخلت دار المنطيب ورأيت فيها شى من الطعام كثيرا عجبنى وجرت لى فيه حكاية ولكن ما تقولوها لحد ابدا تبقى فضيحة وذلك انى اكلت يوم بطيخ وعنت حشاكم العيب فى بيت الفلاحين فنسيت فى تبانا وانا معذور بزياده فان البطيخ يكثر الشخاخ فغسلت قميصى ونشرته فى السطوح فقام بالامر المقدور ضربه الهوى فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسببه منى رجفة خلتنى ضعفت ضعفا ولو سمعها غيرى كان مات وعرفت انها ماهى بشارة خير وانها تدل على موت ابى وابويه والحمد لله الى كان وقتها انا ووافى صليت وجعت لله تعالى الى ما كنت فى قميصى ولو كنت فيه كنت انكسرت فقلت سوالينا ولا علينا ولكن من الرجفة وجعتنى عينى الى تبقى ناحية المقعد ولو كان وقت ما اخرج من دارنا والذى نعلم به الوالد زوج الوالده انى دخلت يوم البستان انا والخولى فرأيت فيه نخل شى طويل وشى قصير وشى ما يشبه شى فقلت له دى ايه قال نخله ورأيت يا ابويا نخله كل عرجون وكل ورقة قدر الصفة الى تقعد فيها امى فقلت ودى ايه فقال لى موز فعجبنى قوى وقلت له الموز يطلع فى البستان فقال لى ايوه فقلت له والجبن المقلى يطلع فين قال يطلع فى طاجن الجبان وانا كل يوم اجى واطل من الطاقة وعمرى ما شفت فى طاجن الجبان جبن مقلى فوعدت الخولى وراهنته من ان انى للجبل

لامرأته الى بلاوصيل بانه يعمل امرأته يوم وانا اعمل امرأته يوم فلا تخلوه يغلبني وباخذ مراتي وابقى يتيم وكاني وودني الشيطان مسدوده اصبحت كتبت لحضر وأخذ خاطر الجيرانه ما رأوا القلم سجين مثلي في طاحن البيان والذي نعرفكم به انى لما طلقت البلد ولقيت الصابون غالي فبعت الحاره البيضة واشتريت له حاره سودا على شان ما تتوسخش وكان كلام كثير فاني لو كتبت لكم الذي في خاطر اكان كلام يجي من عندكم لعندي وبعد السلام على اهل الحاره والحاره كل واحد باسمه كثير كثير تاريخ صبيحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا السابع والثلاثين من جماد الاوسط سنة ما اعرفش الذي يقولوا عليه بالاماره سطرت المطرح واهل البلد بجرنؤاذ المدن (و نظير هذا المكتوب كثير لا تحصى) * فقد ارسل بعضهم الى الريف مكتوبا سنة سبع واربعين والف يقولوا فيه السلام من الفقي ابو عليه الى اسمه محمد على بعض سلطينا المعطا لي في القرآن ذي ما يطلع الزرع في الغيطان ويتكلم بالنهاية وبا ما لم يطينا شهامه المبيع الكتب المنظوم من الكلام ذي قصة الجاريه والتودد والورد في الاكمام حاوي الكتابة في السطور ومن يعرف كتاب الفق والمسئول وانا في شوق واشتياق لا يعلم حمل ولا ناقه ولا حمار ولا حازين ولا بغل ولا بلبين ولا زرافه في هذا اللفظ اقول لك كلام كاني *

السلام عليك يا سيدي والرحيم سلام من هو لا يا كل بعد القمحة

الانسايم عن الزاد وهو بلا اهم وانا قصدي اشوف وجهك ولوفي الحلم

وانا كنت اريد احبك وحياتك راسلك ما حوتي الاسروحتي مقطعه وانا اعوزلك شئ لي كتابه كنت شفته مرة زمان وسمعت به أنه عليم وبا ما قالوا لي عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وما جرى فيها من العجايب وانا البارح كنت رايح اشيع لك الكلام افتكرته وعاود نسيته الله يسامحك وبسامحني الله الله لا اله الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جنبك على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب ابو علي واسمه محمد وكتب عنوانه توصل دي الورقة مع ابو عماره الذي يبيع في بلدنا الغزل والمشو والزيت الحار يوصلها لمولانا وحد يعطي يوصلها لسوق الكتب الذي يقولوا فيه سوق سراج فانظر الى شدة هذا الجهل والجمهل الكلام الذي يشبه الوحل واشباه لهؤلاء الجهال كثير ولقد احسن الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي حيث قال * تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس

* فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس

* لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

* ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم *
* واجعل على الراس طيلسانا * واعقد على للكتفين واختم *
* واجلس مع القوم في صياح * لا بالبخارى ولا بمسلم *
* الا صياحا ونقض كم * ولا ولم لا ولا نسلم *
* وان لقوا الوقف ياكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم *
* ثيابهم بيض واريا * وقلبهم بالسواد مظلم *
* فان ترى في الورى فقيها * فصح وقل يا سلام سلم *

اى اذا رايت فقيها على هذه الحالة فاسال الله السلامة منه والبعد عنه نسال الله العفو والعافية في الدين والدنيا والاخرة * ذكر شعرهم ورثائهم *
قيل مر بعض اهل الارياف بجماعة من الظرفاء ينشدون الاشعار في معنى العشق فقال لهم زيد وابا معشر القوم من ذى القول المليح فقد ذكرتموني نشيد مليح قلته وانا احرث في الغيط الحمى عشقت ام معيكه وكنت رايح اموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة انشدنا ما قلت في ام معيكه فانشد يقول مواليا

ماضال قميصي يشحطط ورا الجراب * حتى انني صبيت زايهم بتاب
فقلت يا ام معيكه ارحمي من مات * قالت انا رايحه لعزا وليبك جبنيا

اقول هذا الكلام من نمط الغزل الرائق الذي ليس له اول من اخر وقائله ابلد البشر ومن اعظم البقر وتفاعيله باسياط متخبط متخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندرية لرشيد وعرضه باسياط من الصعيد لدمياط ومعناه الذميم ومبناه البغيم (ماضال) هذه الكلمة يستعملها اهل الارياف ووردت في القاموس الازرق والناموس الابلق واصلها مازال فيبدلون الزاى ضادا لاعوجاج السنتهم واشتقاقها من الضل والضلال او من الضئيلة وهي الحية قال الشاعر

فبت كانى ساورتنى ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع

ومصدرها المشهور ضل يضل ضلالا فهو ضال ومضلول قميصي على وزن حريصي او جعيصي واشتقاقه من القمص اى قمص الحمار بمعنى نط وتسمية القميص لها بمعنى القمص ومصدرها قمص يقمص قمصا فهو قامص ومقموص والقميص مايلبس من الكتان وغيره (يشحطط) ماخوذ من الشحططة او من الشحوط اى يسحب ويجر على الارض يقال شحطط اذا انجر على الارض وهذه من لغات الارياف قال شاعرهم * شحطط صبيك ورخص الف فرقله * واكويه بالنار حتى يلتقى عقله *
* حتى يلين ويبقى فرحى بمجلسه * ثم اطعمه عدس وبصاره *
والشاهد في قوله شحطط صبيك وشحططا على وزن ضرط بتشديد الراء

وضرط فيها مناسبة من وجهين الاول الوزن والثانى اذا شحطط وجر على الارض
او فى جورة او فى نقرة ربما ضرط من شدة ما يحصل له من المشقة ولما اتضح
فكان المعنى ظاهرا * (وقوله من وراء المحراث) * اى من خلفه ووصف قميصه
بانه صار يجر خلف المحراث لاحد امور اما لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحر
والتعب فخلع كمه من يديه كما يفعله الحراثون اذا اشتد عليهم التعب فيفعلون
ذلك لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا اكابر الحراثين واما غيرهم فانه فى الغالب
لا يحرث الا عريانا او عليه شلقة مقطعة لا تستر العورة فهذا يدل على انه كان من
اكابر الحراثين ويحتمل ان قميصه كان منشمطا فصار يجر خلفه ويتشبك فى الشوك والحلفا
او يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين فصار يجر خلف المحراث ومن شدة تعبه
من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى احد ولم يجد له مروة يلمه من الارض حتى جاء تم
تلك المصيبة * (والمحراث) * آلة معروفة عند الفلاحين ويجمعها محاريث ومن لوازمها
المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال الشاعر

تضنى بعمرك يا محراث تاعب جاعلك * الى اليوم الحشر ما انت مفارق

فالحراث دائما فى تعب شديد وهم مزيد وليس فى الفلاحين اتعب منه خصوصا اذا كان
فى معاناة البلاد السلطانية وهو اقل عقلا من غيره لانه فى النهار رفيق الابقار وفى
الليل رفيق النساء فى الدوار فلم يكمل له عقل ومثله فى قلة العقل مؤدب الاطفال
فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال
قبول شهادة القاصر على البالغ وان شتمه ولده ولدا اخر ويجيء المشتوم الشيخ الى المؤدب
يقول له يقول لى الولد ده دم الحسن فقال له يا سيدنا والولد الاخر يقول له يا ابن القحبه
يا سيدنا ويقول لى دم ابحرق عيشك يا سيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ
وقد وجد عند مؤدب الاطفال طبله وزماره وفرقله فسئل عن ذلك فقال اجمعهم
بالطبله وافرحهم بالزماره واضربهم بالفرقله *
ورايت فى بعض الكتب ان مؤدب الاطفال كان يعلمهم القران فى غرفة له فاتفق الاولاد
على ان يبنوا على باب الغرفة حائطا ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلا
ولما اصبحوا جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشد وسطه
وعدا فى طلبها وما زال فى البرية يمشى حتى قارب الليل فلم يجد شيا
فراى صومعة فيها راهب فساله هل رايت غرفة فيها الالواح والدوى فقال
الراهب فى نفسه انه احمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وانت لا تلحقها
ولكن بت عندى الى السحر وانت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد
هلك من الجوع والعطش واضره التعب فاحضر له الطعام فاكل وشرب
حتى شبع ثم اسكره ونومه وقام اليه وجرده من ثيابه التى كانت عليه

ولبسها الراهب والبسه ثياب الرهبان وشد له زنارا وتركه فلما كان وقت السحر
نبهه وقال له ويحك ان الشرفي رجعت الى البلد قم وادخل البلد فلما دخل البلد قام
ومضى الى البلد فرحا مسرورا فلما رآه الناس قالوا له انت صرت راهبا قال
لا والله الا اني بت عند راهب وقلت له نبهني وقت السحر فايقظ نفسه وتركني
قال ثم انه رجع الى اصحابه وصار يقبل الارض ويقول لهم بالله عليكم يا راهب نبه
نفسي حتى ارجع البلد وخذ نفسك اسحطل مكانها عرق عتق يحق المسيح قال
فصار الراهب يضحك عليه حتى آيس منه وانصرف فانظر الى هذا من قلة عقله وشدة جهله
«وكان ايضا بعض مؤدبي الاطفال» اذا وقف يصلي وركع اخرج راسه من بين
رجليه وقال لشقفك يا ابن القحبه رايتك يا ابن البسيس ويشتم الاولاد ثم يكمل
ويتم الصلاة (وقوله حتى انثني صبيه) اي انه نزل على هذه الحالة السيئة والعيشة
الذليله والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار في الليل والنهار
حتى مرت عليه هذه الصبيه وهي بنت العجوز وصبيه على وزن بليه او رزيه مشتقه
من الصبوة على وزن اللبوة او من الصابون او من مصيبه فشغلت بحبها وفتنته
بجمالها وسباه هواها لاسيما وهي من ملاح الريف خصوصا اذا كانت في وقت
جمع الجلة وشيل الزبل وهي متضمخة بالنجاسة وتلك الروايح (وهي اخذة بنبات تين)
اي والحال انها مروحه من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين
انهم يسرحوا في الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع ولقيط الجلة النا ستغتم
والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم آخر النهار او في نصف على قدر عام اشتغالهم
ليجدوا العدس والبيسار والمدمس قد طاب امره وحسن طعمه فياكلوا ويتمتعوا
ببناتهم على الافران ومداود البقر واشوان التبن وعرف الجلة ونحو ذلك
(فقلت يا ام محكة) اي انه لما اشتغل بحبها عند ما اقبلت عليه وهي مروحه
من الغيط كما تقدم نظرها فاحبها والعين تورث القلب اشد
مايكون من الحب والغرام والوجد والهيام وتجرح تركه الدمع بالانسجام
قال القائل شعر

عيني نظرت وشكيتي من عيني * ما يقتلني الا سواد العين

وقال الشاعر

نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين مني بل صداها
فاها كيف تجمعنا الليالي * وآها من تفرقنا وآها

فاحتاج ان يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من انهم يتذللون
لمن يحبونه ويبذلون لهم الارواح فضلا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله
لان احداق الملاح تذيب اسباب العشاق وحلاوة الجمال تزيد في الاشتياق

ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب ولله در معن ابن زائدة حيث قال

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ * ـل على اننا نذيب الحديدا

وتراناعند الكريهة احرا * را وفي السلم للغواني عبيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بام او باب كما هو مقرر ومعيكه تصغير معكه وهي على وزن ركه او حكه او دكه او لبكه وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علما عليها لكثرة ما كانت تمعك شعرها على حدور الشجر عند اشتداد اكلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد اكلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصا في زمان الصيف وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس ايام الشتاء لان الشعرتين اذا التقتا تتولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر اسود كالزنجي

فقلت لها ما ذا الذي قد رايته * فقالت لمواشي كاتب الدخل والخرج

وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فاسفق ايا هذا بجهد بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك مثل هكا فهو ماعك وممعوك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء اهل الريف مواليا

تومي معكي يا عطيطه شعرتك بالخيط * لما اجيب لك هدير طورتين مخيط

واعطيكي وحيات راسي نحل من هربط * واجي لعندك وشيل رجليك حوالاميط

ومقوله القول ارحمي من مات اي تعطفي بالرحمة والشفقة على من اشرف من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت او بالجنان في المستقبل وهذا على حد قولهم حزين ووباعي لانه مع كونه في حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وتراكم الهموم والغم حصل له هذا العشق الذي يفضي الى الموت فكانه يقول انا يا ام معيكه قد اشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقي لحالي وانظري ما انا فيه من معالجة اخواني الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وانت صبية نضيفه وتكرهي الشعر المتوفر فاسمحي لي ببعصتين فيما بين الحلمتين وازور الشيخ ابو قبه ولو اخذت البشت والجبه والا يحصل من تجبرك وغرامك الموت فلما فهمت من حاله هذه القضية وابتلت بهذه البليه ورات الذي لها مثل الذي عليه وشبيه الشئ منجذب اليه قال الشاعر

رايت مجذما في قاع قبر * وآخر ابرصا يخرا عليه

فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشئ منجذب اليه

ابدت اليه العذر الذي اوجب لها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهي في تلك المشقة العظمى والداهية العميمة وهي حدورة الخرا عليها بلا انكار

ومكابدة دفع المشقة والاضرار لانه ثقيل في الصرم خفيف في الكرم اذا ادرك الشخص بين ناسه نحري في لباسه قالت له على سبيل الوفاء بالوصل ولم تدعه يقاسي الم الحب والنكال انا رايحة اخرا وفي رواية خاطرها اخرا والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الاولى اولى لتاكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارئ لها ايضا والمعنى ان مرادي افرغ نفسي من هذه القضية في نقرة اخرا فيها مثلا او فوق سطح او في جنب شجرة او في الغيط او نحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المراة منهن تجلس في قضاء الحاجة وسط الزريبة او في وسط القوم خارج البلد واي نقرة وجدتها بالت وغوطت فيها لان دودهم ليس لهام حيض يخروا فيها قال الشاعر

سالت بني الارياف ما لبيوتكم * مراحيض قالوا الامراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمها اياه حالها وغرضها كانها تقول له اني اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما تضايقت من هذا الامر المزعج ودائحته عليك تفوح ولكن عند ما ازيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكوره او في بالوعد والحر الشنات واجيبك بتبات اي بامر ثابت محقق * واجابرك فيه واصله بالثاء المثلثة غير ان هذا من الفاظ الارياف فكانهم يقولون في الميراث ميرات بالتاء المثناة الفوقية ووقع في رواية اخرى اجيك وابات لكن يكون فيه الابطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلا شيء فعلى الرواية الاولى يكون المعنى انا قولي ثابت في المجيء اليك والبيات عندك والبيات ماخوذ من بيات الفراخ لان نساء اهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بتبات وتبات الجناس المحرف او المصحف على اللغة الاصلية ويمكن ان يكون قوله رايحه بتبات اي هذه الليلة وقولها اجي وابات اي الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثاني وان كان هو عينه في بادئ الامر هذا نتيجة الفرق بين تبات الاول وتبات الثاني فان الاول منسوب لقول الرجل والثاني لقول المراة ولعلها ارادت بتاكيدها في البيات منعه عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شان من يريد الوفاء بالوصال ويكافئ في العشق بلذة القرب والجمال وقالت هذه الصبية في نفسها هذا المحب لا يرضيه مني الا ليلة ملي كما انها يتملى بتلك المقابح ويتم للذه

الروايح وهي اثار جلة الغيط وارقدا ناوا ياه في الفرن او في مدود الحماده او على الجرن اوفوق الجله الناشفه لان النهار كله في المحرات والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه في كد المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال الشاعر

قالت نسا فريا فتى * ونفارق الوجه الحسن
فاجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن

وتاكيدها في البيات يفيد ايضا انها تريد من هذا العاشق انه يهيا لما يستحضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول والمدمس ونحو ومصدره بات يبيت بياتا وقولها السابق اخرى لفظة الخرا فيها لغات ذكرها صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه الغائط والعذره ونحو ذلك انتهى ومن اشعارهم الغشروية

وقلت لها بولي على وشرشري * عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذي عرضه من الحسينية لبركة الفيل وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلام الثقيل ولفظه الهبيل ان هذا القائل لما تولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج ان يتذلل لجمالها وان يتمتع بمحاسنها وان يتحمل منها المشاق والدواهي والبليات كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من الافلاس فهو في اشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حك الجوع جسمي حك * وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من له الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك

فالعاشق يحتاج الى ثلاثة امور ان يكون اجرى من كلب واوزن من صير في وذل من يهودي وعشق الفسقة على اقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حذقة وعشق علقة فهي اربعة اقسام ونحن نوردها على اخواننا المناعيس على التمام فاما عشق الشفقة فهو ان يميل العاشق الى الولد الجميل او المرأة الجميلة ويكون معه او مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح في محبوبه والشفقة عليه حتى يصير عليه احن من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرات ويتحمل من اجله البليات ويكون حريصا على امواله شفقا على حوايجه مسرعا في قضاء اوطاره حتى يقضي منه المراد على اتم حال قال الشاعر

لقد سرت فراشا لحبي وسائسا * زمانا الى ان نلت منه مراديا

واما عشق النفقة فهو ان يكون الشخص صاحب مديرة واموال فهو لا يحتاج

الى تعب في جلب محبوبه بل كل محبوب الظهر الدراهم يحضر عنده على احسن حال واتم منوال قال الشاعر

نحن العشاق يا من عشقوا * ذهب ينثره او ورق
واذا باب الرضا قد اغلقوا * يفتح الدرهم ما قد اغلقوا
هكذا قد قال في تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا

واما عشق الحدقة فهو ان يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطمعه يشير اليه انه مسكين وعاشق وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله اطال الله بقاك ادام الله جمالك اسعد الله ايامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له ان مراده الوصال لما يراه من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظر اللواحظ الا افراسة * وما تحت ميني العلق الا مينجم ثم

فيعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

اني اجد وجهًا مليحا * الق في الغضة خضر
واجد هـذا وهـذا * لم اجد في الحي غرفه
او اجد ها تيك جمعا * الق في الحارة زفه
فلهذا طول عمري * تائب من غير عفه

واما عشق العلقة فهو ان يكون العاشق عديم الذوق سيئ الخلق كثيف الطبع والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع او حكم بالقتال لا يرجع عنه ولو عرض عليه انواع البلاء والقاه في اشد المصائب لا ينفك عنه ولا يخلص منه الا بمراده كرها لا رضا قال ابو نواس

اذا رقد الندامى خل عنى * ومن كان يصلح للدبيب
الذ السك ما كان اغتصابا * بمنع الحي وخوف الرقيب

وليس الناظم عن هذا القسم بدليل قوله بولي على وشرشري ان محبوبته لما رأته على القابها كعلوق النار في الحطب والزنبور في الخشب علمت انه لا يفارقها الا ان يقضي مراده منها العدمه وقد وصقاعة وجهه ولم تقدر ان تمنعه بصك ولا بشي نجس فلا حيلة ان ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها واوهمته انها تريد البول عليه او على لحيته حتى تماكرها ولكنها في هوسه وحيرة فاكد عليها بالقول وامرها ان تفعل فقال (وقلت لها بولي على وشرشري) اي اني لا ابالي بما تفعلينه معي من النجاسة ولا اتكدر من الخساسة لاني عاشق

مشوق

مشوق وقليل المدام والذوق وفي هذا المعنى يقول القائل

احبكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فوق بالله اعذروا العاشق الخراعديم الذوق

فلا ابالي بالبول على وعلى لحيتي لاني (عريض القفا) وتخينه ومن شانه عريض القفا

وبليد الطبع ان يكون للنائبات صبورا وان لا يضجر ولا يقلق من البول

وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائب لشدة بلادته وعدم ذوقه وقد قال الشاعر

يعرض قفاه للهموم جميعها وذاك لسوء الطبع فهو بليد

وقوله بولي مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهي شيء يعمل من الخوص والحلفا يحملون عليها الزبل وربما يكون فيها الحلة والوحل فسميت باسم ما وضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف او المحل باسم الحال ومصدره بال يبول بولا ومبالا ومبولة ومبلة ايضا وهي ما يبل وينقع فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاي شيء اكتفى الناظم بقوله بولي على ولم يصرفها فيقول بولي على بولا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب المشروى عن هذا الكلام وهذه الاشكالات المشكلة وهو ان كلمة بولي فيها تكرار اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروج من قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان فصده ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولي او يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف

قال الشاعر

بالت على مبالة ومبلة * حتى اكتفيت ببولها وانا ابول

اي وانا ابول عليها ايضا ليناسب بولها بولي لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت انا الاخر عليها بيقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

مليكة الحسن جودي بالفا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذا

افسدت قلبي فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

اي اذا دخلوا قرية افسدوها وقوله على اي بوله على ذاتي جميعها حتى يشمل البول شواربي ولحيتي وما جاورها بحيث لا يبقى في منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا وباطنا وقوله وشرشري معطوف على بولي وهي من لغة الارياف وقد وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق وهي مشتقة من الشرا ومن الشرور اومن اولاد ابي سرعه بشروهم جماعة فلاحون او من الشرشرة وهي آلة محددة تعمل من الحديد يصنعها الفلاح في حزام اذا سرح في الغيط يحش بها الربيع للبهائم وفي شرشر جناس مذيل وهو مطمر شر

واكد على محبوبته في القول بلفظ شرشري لكونها انثى ولو كانت ذكرا لكان الانسب ان تقول له بل على وطرطر لان المرأة اذا بالت شرشرت بمعنى ان بولها ينزل من فرجها مشرشرا كحكم اسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان اير ضيق المنفذ فكان المناسب انه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق في الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال ذكر فهو في الارض يخرق

وفي رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا ان عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف اهل قبيلته وهم بنو عبس من العدوان يدهمهم على حين غفلة ان شعروا بموته وكانوا على اهبة سفر فاتفقوا ان يجعلوا ابنة عمه مكانه ويزيوها بزي رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت امام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا في كونها عنترة وتحيروا في هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأى وفراسة فقال لهم انا اكشف لكم الامر وهو اني اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق في الارض فهو عنترة وان كان مشرشرا فهي عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجده عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة مشهورة في محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم تخطر عليه ببالك

فصوره في وسط الكنيف بفحمة * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صفيع اللحا وعريض القفا مشتق من العرض او من العرضيه وهو ما يلف على الراس بلغة الريافة ويسمونه ايضا الكرة او من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو الغمام لان قفاه صار متعرضا للبول والصك وغيره كتعرض الغمام في افق السماء والقفا مشتق من القفوة اي قفوة الانكشارية التي يلبسها ملازموهم او من القفة او من القفقولة وهي بوشة صغيرة يطبخ فيها اهل الريافة طبيخ البيسار وقيل هو من تقفوت الشيء اذا تبعته لان القفا دائما تابع للراس ولا يفارقه ابدا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال الشاعر

الراس يتبعه في السير اربعة * وجه وذقن واذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليد الجنان الفلب قال الشاعر ما دبابك يا بحر الوفا وقفا فعاقه عنك نطع واقف وقفا وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهي ما ينوب

الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا اتتك مصيبه

فالليالى من الزمان حبالى * مثقلات تلدن كل عجيبه

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبور وقيل بمعنى صابر وعلى هذا ايضا يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر او من الصبارة التى تعلق على ابواب البيوت وقد تدنت فى بعض المقابر فهى لشدة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك فى مطلع قصيدة قلتها فى شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر تاتى على خطر * فاحذر وقوعها تنجو من الكدر

واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمى من الشرر

الى آخرها هذا وقد اتى لفظ العبرانية بمعنى العبور فى نظم الشيخ بركات وسبب قصته انه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق انه سافر الى بلاد الروم ووصل الى المدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له مارا فى بعض شوارعها فسلم عليه وساله عن حاله وحال الملك فقال له يا شيخ بركات قد اجازنى بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لابد انا امدحه انا لاخر واثنى عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فمنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك فى قديم الزمان انهم لا يمنعون احدا عن ابوابهم فخرجت اليه امراة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سياتى فى نظمه وقالت له ما تريد فقال اريد الملك فقالت له تاتى اليه فى وقت غير هذا وان كان ولا بد فعرفنا حالك نخبره به فاخذ دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرانيه * جا يسلم ما قدر شى * من عجوز خلف دار * كالاسود الضاربات

وطواها واعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة فى يد الملك وقرا البيتين امر باحضاره فلما مثل بين يديه وراى خباثته وبلادته وثقل نظمه ورقة لحيته ضحك عليه فقال له ما تريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم اجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه البسه برذعة حمار وامر ان يجعلوا فى فمه اللجام وعلى ظهره الثفر كعادة الحمير ثم امر ان ينادى عليه فى المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه

الالفاظ ثم انعم عليه بعد ذلك وامر باخراجه من المدينة قلنا ولهذا ذكروا
ان الشاعر لا يهدي قصيدة لملك اوغيره حتى ينظر في الفاظها ثم يهديها
او يعرضها على ارباب الخبرة من اهل الذكاء والفطنة لئلا يقع في محظور مثل هذا
ولنرجع الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عبرايه)
جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر او من بركة الجمل وقوله
عبرايه اي يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله جا يسلم ما قدر شي
اى اتى يريد السلام ما قدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة
في شعره كالاسود اى السباع الضاريات العاديات التى تعدو على الانسان
وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المراة الكبيرة اذا انحنى ظهرها
وشاب راسها فيصير قربها هم وجماعها هرم لا على من يميل الى عشق العجائز
ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

ويقرب من هذا المعنى انه وصف لابي نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول
الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا يختبر فصاحته حتى دخل مصر وسال عليه فدلوه
على حانوته فوقف عليه وسلم فرد السلام فانشد ابو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله في رجل * اضناه حب عجوز بنت تسعين

فاجابه الحداد بقوله

يبكي عليه فقدا وذي المحبة * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له ابو نواس مثلك لا يكون الا نديما لامير المؤمنين فقال له ما لي
ولامير المؤمنين انا صنعتي تكفيني ولا حاجة لي اليه فتركه وانصرف
وقد تطلق العجوز على الخمرة العجوز اذا عتقت وطال زمنها وقيل لبعض
الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى
حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام في حق الهدهد لاعذبنه عذابا
شديدا قيل اراد ان يزوجه بعجوز وقال سيدنا علي كرم الله وجهه اياك ومجامعة
العجوز فانها تاخذ منك القوي وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة
والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا ان اصل حرب البسوس
من امراة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها فضربها
كليب بسهم فقتلها فذهبت الحماسة والفت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا
ووقع الحرب بينهم اربعين عاما وذكر بعضهم ان فتنة التتار التي لم يوجد
في الاسلام اعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امراة عجوز ا

واما

احيلهن فى القيادة وجمع النساء منهن للمفاسد فانها اغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز الشوم لا يرحم صباها * ولا يعقرها فى يوم موت
تقود من السياسة الف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكى وتنوح فقلت لها ما الذى دهاك فقالت لى يا سيدى وقعت لى اسورة من ذهب فى هذه البئر قال فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابى ونزلت البئر فى طلب الاسورة فاخذت ثيابى وانصرفت وتركتنى عريانا ففتشت فى البئر فلم ار شيأ ثم خرجت من البئر فلم ارها فسرت الى منزلى عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغى التحرز منهن والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهى والمصائب فان قيل لفظة قدرشى فى نظم الشيخ بركات التى تقدم ذكرها بمعنى قدر فلاى شئ لم يكتف بها مع انها اقل حروفا من قدرشى فكان حقه ان يقول جا يسلم ما قدر وكان هذا اولى واحصر فى اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطّع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشى ابلغ من لفظة قدر وايضا ربما اختل النظم فراعى فى ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر واما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالبنا بها لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى ومن اشعارهم القشروية البيتان الآتيان وسببهما على ما قيل ان جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شئ من الحلوى والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم والحزن على وجهه قد لاح فلما رآهم فى هذه الحالة انقض عليهم بلا محاله وقال لهم ذكرتمونى زمان العشق والملاح وقطع عليهم بلا مزاح واراد ان ياكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لا بد ما ارمى عليكم النقاض اى الالغاز بلغة شعراء الريف ثم انشد يقول

والله والله العظيم القادر * هو ما لما بسرايرى وخبايطى
ان عاود القلب المشوم ذكركم * لا قطعوا من مهجتى بصوابعى

هذا الكلام من بحر الهلفطة والمعانى المشرمطة وتفاعيله متخلبطة متخابطة وعروضه ببقين من زنجير الشربين وطوله باحتياط من السرو الدمياط واما شرح معانيه المسخمطة وحل مبانيه الملخبطة فقوله والله والله العظيم القادر يريد القسم فيراه لم يقع للموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة امثاله من اهل الريف فاختل المعنى فى ذكر الصفة وان كان الموصوف الذى هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هو ما لما بنصب الما مع انه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا ان لسانه لم يساعده على ذلك لان السنة اهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من بابة عجرفة الكلام المناسبة لهؤلاء الاقوام وقوله بسرايرى وخبايطى السراير جمع سريرة وهو ما يسر الانسان

منه خيرا وشرا والخبايط جمع خبيطة على وزن عسيطة فخبايطي على وزن عبايطي مشتق من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا القاه على الارض او من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط انسب بالمقام بل هي اولى قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله

ان عاود القلب المشوم ذكركو * لاقطعوا من مهجتي بصوابعي

هو جواب القسم والقطع هو فصل الشيء وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه والقلب مشتق من التقلب قال الشاعر وماسمي الانسان الا لنسيه ولا القلب الا انه يتقلب والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة ايضا واسماؤها الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهي خمسة بيقين ولا شك فيها ومعنى الكلام ان هذا البليد اقسم بالله العظيم القادر على كل شيء العالم بسرائره وخبايطه اي ماسره من الافعال القبيحة والنيات الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والبط في الدور وقرط الزرع وسرقة الجلة ومو السترة على زرع شريكه واخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التي يفعلها هو وغيره من اراذل اهل الريافة وقوله ان عاود القلب المشوم اي ان رجع الى محبتكم بعد ما قاسى من همومكم وتركم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح لكم في الغيط في الحر ويملا حكركم بالزبل ويسرق لكم الجلة وترسلوا له الغفرة علاها خرا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان الناس من زرعكم وبطيخكم وانتم تشتغلوا بغيره وتتركوه ولا تعرفوا الجميل الذي يفعله فهو الاخر ان عاد قلبه المشوم ووصفه بانه مشوم لانه وافقه على محبة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم اي حرك بذكركم بعد هذا كله لاقطعوا من مهجتي اي انزعه منها بصوابعي وفي رواية بضوافري والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو في حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم قلنا الجواب ان هذا قطع معنوي لا حسي بمعنى انه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صوروا بين يديه وخالفه القطع بصوابعه او بضوافره كما تقدم ومن هذا قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

يا قلب لا كويك بالنار وان كنت عاشق لا زيدك يا قلب جلتني العار تريد من لا يريدك

وقوله من مهجتي فيه شيء فان القلب ليس في المهجة وانما هو في الصدر مما يلي الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له ادنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول خبايطي والثاني صوابعي وضوافري وهو غير الوضع العروضي ولا يساوي قشرة بيضة وناظمه الكلب

من

من حجارة الميضة غيران قائله من ارباب الحروف المتقاويه وللمناسبة مطلوبه

(مسئلة هائلة) لاى شئ ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين او الموسى اذ من شان القطع ان يكون بآلة محددة وكون القلب مما لا يحتمله قطعه بالصوابع ولا بالضوافر قلنا الجواب الفشروى ان يقال انما ذكر القطع بالصوابع لكونه اخف فى الالم من السكين اولان الحركة والعمل لا يتاتى الا بالاصابع اذ لا يمكن ان يقطع الشئ الا بيده واصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع فيكون فى الكلام حذف والتقدير لاقطعو من مهجتى بسكينة قابضا عليها بصوابعى ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اى حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك او لان السكين اذا قطع بها قلبه يمكن ان يقال فلان جرح نفسه بسكين او قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفى عن نفسه الريبة او انه من باب خلبطة النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعوا من مهجتى بصوابعى وسكينى لكان اولى للجمع بينهما اى الصوابع والسكين الا ان الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا المعنى التقيل فافهم الجواب وبان الصواب ومن اشعارهم موالِيا

هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك وجبل طور ابن خالى كيف مدلاتك

يا من بجنتى قلبى فى وحيلاتك يا ريتنى قرص جله بين اديالاتك

هذا القول الحكيس والنظم الخسيس والمعانى الغلسية والالفاظ الهبالية من خرافات الاسرائيليه والتشابير التى خرجت عن الاوضاع وتمجها النفوس والطباع وهى ان ثبتت اوزانه وتلخبطت اركانه فهو على اربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله بانفاق من الخانكه لبولاق وعرضه يسقاين من باب زويله السويقه السباعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهية الجارح للقلوب عند سماعه فكانه يشبه الوزنه وهذا من العجب العجاب ان هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الانسب لها واعتقه اياها وشبيه الشئ منجذب اليه ولطيوب على اجناسها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لا يكن فى بلده اكبر منه ولا اكثر هبابا وان غالب نساء الكفور يخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا اوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمه ولم يقل غربى لكونه كان فقيرا لا فرن له الا بالتصحيف وهذا من قبيل التغزل الفشروى لانه لما عشق هذه المليحة ورآى الكحل فى عينيها اراد ان يشبه تشبيها يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية فتطلع ببلادة طبعه فلم ير شيأ اسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا التفت لحاله ما يرى

كل ما فيه حسنا وكذلك اذا الف شخصا لا يراه الا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا الا ويلوح له ما يفيد عذره ويشفع عنده في قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال آخر

يقولون في البستان للعين نزهة ... وماء نمير صفوه غير آسن

اذا شئت ان تلق المحاسن كلها ... ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وعادة نساء الارياف انها تهوي الافران لاجل تدميس الفول وطبخ البيسار وتقمير البتاو وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحب تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبخ فشبه كحلاتها به لكونه دائما في هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام بهباب ثم انه لما شبه كحلاتها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها انها تفهم من ذلك انه محبها ومصر على عشقها اراد ان يشبه مدلاتها ايضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وان يكون التشبيه من ماهية ما سبق من تشبيه كحلاتها فقال (وحبل طور ابن خالي كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره ان مدلاتك في الطول تشبه حبل طور ابن خالي والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل في آخرها جلاجل من فضة وورق ونحو ذلك وتسمى ايضا مضنات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل هذه) نحو من ذراع او اقل منه وحبل الثور ربما يكون اكثر من ذراع او ذراعين غير ما يكون ملتفا على اذنيه فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو في الشيء والتفنن فيه لانه لما عشقها ورأى هذه المدلات مرخاة على ظهرها وصدرها ولم يعرف بلده احسن من ثور ابن خاله ولا اطول من حبله شبه مدلاتها به واتى بهذه الاستعارة الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظم المتليس والما كونه حرم نفسه من ان يقبل كلامه عند محبوبته التي خاطبها باستعارة ثور ابن خاله وحبله وكذلك فرن ابن عمه وهبابه ولم يذكر شيئا يدل على المال حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله انه عاشق مفلس فليس له دونه غير الصك بالنعال كما قالوا في هذا المعنى مواليا

الى معها لو طلب الثريا نال ... والى بلا مال صكوه الملاح بنعال

وان كان معك مال هات تبلغ الاما له ... ما كان معك مال الطرد ولك الملاح في الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشلوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالي بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة في الثور بالطاء او بالطاء المثناة فيقولون طور وتور (يا من بعشق قلبي في وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبته قلبه بين الوصل والطين عقب المطر

يعنى انها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر فى الزريبة
واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلونه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة
والوحل بيقين ويسمونه مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد
عند اهل الريف ثم انهم يجعلونه جواليس ويلبسوا به بيوتهم وافرانهم وربما جعلوا
منه مذاود للبقر وغير ذلك مما يحتاجون اليه فلما رآها فى هذه الحالة اخذت قلبه
وعجنته برجليها فى هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيها لها على انه لا يجوز من المحبوب
ان يتملك قلب المحب ويعجنه ويدوسه فى الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به
ويرق له ثم انه استشعر من ذلك سؤالا كان قائلا قال له المحب ليس له تصرف فى
نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو انها الفلك وزقلك وقلبتك فى الخرا فضلا
فضلا عن الوحل لا تلمها فتمنى ان يكون قرصا من الجلة بين يديها واضاف الوحل اليها لانها
مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة انها كانت تعجن الوحل فى محلها حتى يكون
ملكها وان الوحل كان فى زريبتها بيقين كما ان الجلة والزبل فيها ايضا وقوله وحيلاتك
تصغير وحلاتك (وقوله ياستى قرص جله بين اديالك) حينئذ تأكيد وبيان ان
المعجنة التى كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله
ياستى قرص جله الى آخره بابدال اللام راء فى رجلتى من لغة الرياف واصلها ياليتنى
وقد وجدته فى القاموس الازرق والناموس الابلق والمعنى انى اتمنى ان اكون بين يديها
قرص جله من هذا الوحل الذى تعجنه واكون وحلة ووحلاء ووحلا بطريق التمنى وان وحل
بطريق التشبيه فانجه الجواب عن هذه اللغة القشروية ونزل نفسه منزلة قرص جله
وهو شئ خسيس اشارة الى ان العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا
التشبيه الحقير المتشابه للجلة النجسة وتمنى ان يكون قرص جله بين يديها وهذا
هو الانسب لمحبوبته لانها دائما فى عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهى دائما فى هذا الامر
فاتى لها بما يناسب حالها وما تحبه واعز ما يكون عندها الجلة والوحل فما اخص هذا العاشق
وما ارذل هذه المحبوبة وقوله بين اديالك هذه لغة اهل الريف والمعنى انى اتمنى ان اكون
قرص جله تقلبيه بين يديك من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلى فى قرص الجلة حتى انى
التذ بكونى مرفوع فى يديك وتمس ذاتى اصابعك فحصل لى الراحة ويزول عنى
الم المشقة ولو انه صورتى انقلبت قرص جله فانى لا ابالى من النجاسة ولا اسأم من
الخساسة لما فيها من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك ويقرب من هذا المعنى قولى

وهيفاء للجلة تعجنها حين جلبها   تمنيت انى مرطها وثيابها

لكن هذا تمن ظريف فى محبوبة لطيفة (مسئلة هبالية) لاى شئ اقتصر فى
العبارة على الوحل وكان حقه ان يضيف اليها ايضا الجلة والزبل حتى يصير فيها
مجموع الثلاثة (قلنا) الجواب القشروى انه اذا كان الوحل ثابتا بيقين

فيكون الزبل والجله فيهما من بابه اولى فلا اعتراض على الكلام واتجه الجواب بلا محال وقوله هباب على وزن تراب اوكلاب اوسراب مشتق من هبوب الريح اومن هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما رأتني كلابها ... فقلت مجيبا قد علا لى هبابها

(وهبهب) واد فى جهنم (وفى الاحياء) للغزالى فى كتاب ذم الكبر والعجب عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثنى عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم واديقال له هبهب حق على الله ان لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه ومصدره الهباب يقال هب يهب هبابا وسمى بذلك لكونه يهب من الافران (وقوله ابن عمى) العم اخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ اب وهو مشتق من العمى اومن العموم ومصدره العم يقال عم يعم عما هذا وجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذى هو ضد البياض وهو اقبح الالوان (كما اتفق) ان بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لا تليق به وهى عبد اسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته واوجز فكتب اليه اما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا اقل من واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد ماخوذ من السودد وهو العلو والرفعة ونصر بنفسه ساد يسود سودا وسوددا (وقوله) كحيلا لكه الكحل مشتق من المحلة اومن الكحال اومن تذكرة الكحالين قال الشاعر

رجال الكحل تفنيها المراود ... وكنز المال تفنيه السنين

وفى الحديث اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يحد البصر والسنة الاكتحال به وترا عند النوم (وقوله) وجل طود ابن خالى الجبل مشتق من الجبلى اومن الجبالين والطود تقدم معناه وهو مشتق من الطود او من الطارة التى يصيدوا بها السمك واما بالثاء المثلثة وهى اللغة الفصيحة فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث فانه معد لذلك والساقية ايضا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون مواليا

* الثور والبقرة ذى العام ومن قبله ... فى مصر والشام مع غزة مع الرمله
فذى بتحبل وتولد عجل اوعجله ... والثور فى الساقيه ياكل بغرقله

وقوله ابن خالى الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخيلاء اومن الخيل اومن الخلخال اوخيال الظل ومصدره التخيل يقال خال يخيل خيلا ويطلق على الخال الذى يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال ابو نواس

يكون الخال فى خد قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا

وقوله كيف مدلاتك المدلات واحدتها المدلة على وزن مبلة او المدلة مشتقة من الدل والدلال قال الشاعر

له دلال ودل زانه غنج * سبحان من خصه بالحسن في الناس

او هي من التدلية لكونها تدلت على الصدر او على الحوران او الاكتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلي يقال تدلت تتدلى تدليا فهي مدلاة وقوله عجنني العجن مشتق من العجنة او من العجين قال الشاعر

والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان باليقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) في وحلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل ايضا وهو مشتق من التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال يا وحل شلاي بن طبعهم وخصا له تشبه الوحل بخسة خبيثة (وقوله) يا ديتي قرص جلبه القرص هو الشيء المدور مشتق من التقريص او من القراصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجلة فيها ايضا وهي مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين ادياتك جمع يد وقد ورد هذا اللفظ في القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر

جاءت لنا باديات تشير لنا * تمشي اليها سعرا بالرجيلات

(وفي نسخة اخرى) يا ديتي قرص جلبه بين رجيلاتك والمعنى واحد في النجاسة وعلى القول الثاني تكون الرجيلات جمع رجل وهي من الترجيل او من الرجلة قال الشاعر

اذا اشتقت الرجلان فهي كرجلة * والافرجل كالترجل اذ ورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفي الابيات من انواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كحيلاتها وطول مدلاتها بهباب الفرن وحبل الثور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من فرح * كما تلاعبت الاشبال في الاجم

(ومن اشعارهم ايضا مواليا)

سالت عليه قالوا اشت ملتابه * مسحت دمعي بكرسايه وبيلايه

وشلت وجهي لربي قلت مولايه * جاب لي رغيف وعجوه وقتايه

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس النظام وهو من بحر زبل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستقلن تاقلن مستقلن ثاقل ومعناه الذميم لا يهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سالت عليه قالوا اشت ملتابه) يريد به انه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره

وصادداثما لايفارقه طرفة عين فان من احبّ شيا اكثر من ذكره ولوانه في اعظم المشقات واصعب البليات كما قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج اعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) ان رجلا ازداد به العشق فمرض فاتوه بطبيب فاخذ يجس نبضه ثم قال الطبيب لغلامه غات الفرجية فتحرك نبض المريض فقال الطبيب انت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجيه فقال له نعم ياسيدي فقيل له من اين عرفت ذلك فقال امسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرك فعلمت بالفراسة انه عاشق ومحبوبته اسمها فرجيه ومن هذا المعنى ماذكرته في بعض القصائد من قولي

شكوت ما بي فقال الصحب جمعهم * انظر طبيبا لقد امسيت في وجل
فرحت نحو طبيب كنت اعرفه * يدري رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يارعاك الله خذ بيدي * وانظر لحالي ودا والقلب من علل
فجس نبضي وقال الحب فارقكم * فراتضي وفؤادي صار في خجل
وقال انت سقيم في هوى قمر * بديع حسن زنا بالاعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا اراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وان يعلم محله ومنزله ويسال عن حاله وفي اي مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله ان محبوبك الذي تسال عنه شت اي ذهب وراح من النايه وهي محل يجعله الجماسة على شكل دائرة او نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه اواني اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسمونه النايه فيقال ناية الجماسه وناية الغنامه ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله في زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطخوها بالجلة والوحل ايضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها ناوي هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجماسة او الغنامة الذين هم رعيان الجاموس والغنم بدليل انه سال عنه الجماعة القاطنين بهذه الناية فلما علم انه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وادركه البكا والنواح عليه بدليل قوله (مسحت دمعي بكرسابه وجلابه) اي حين علم ان محبوبه قد شت من الناية ولم يعلم خبره وكان ذهابه من الناية لاجل امور اما انه انكسر على ابيه مال السلطان فهرب لئلا ياخذوه عنه رهينة او انه راح في طلب عجلة او بقرة او ثور فشت في البراري لينظر ماذهب منه فلما لهذا العاشق الطعن عن هذا المحبوب الفلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هي عادة العشاق

في اسلوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه ايضا (كما اتفق)
ان بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

* اذا ما ذكرتك يا مشتهي * يسيل المخاط على لحيتي *
* وليلك عندي اذا ما خربت * يكون لسانك في نقبتي *
* نشيلك عطل ماء السما * واورثني الكسر في ركبتي *

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعي بكسر الدال المهملة جريا على اللغة الريفية أي لما حصل لي هذا الامر مسحت دمعي السائل مع المخاط الذي هو من لوازمه بكرشايه فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه ايضا بجلابيه اي انه استعارهما مسحتين عوضا عن محرمتين وهذا انما يناسب عشقه لهذا المحبوب وايضا فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما في قطع الكرش وشيل الجلة وعجنها ولتها وكذلك المحبوب فالنسبة علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذ لو قال مسحت دمعي بمناديل او محرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور ان يكون له محرمة او منديل الا نادرا لان الظريف من اهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده في كمه او في لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا اللفظ ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك في وقت سؤاله عن محبوبه لانه سأل عن اهل النابة وهم دائما في حالة رذلة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو ايضا في حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم في النجاسة ورئيسهم في النجاسة ولا يتصور ان يكون مع احدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماعة في الغيط ذقونهم واطراف اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده في قرص جلة او في القلقيل او في الحشيش او نحو ذلك فان قيل لك لاي شيء مسح دمعه بكرشا وجلابيه وكان الاولى ان يمسحه بكمه او بطرف كمه او بشيء كان عليه من ملبوسه قلنا لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط او كان عريانا كما هو دأب الفلاحين في غالب اوقاتهم الكثير منهم عليه ما يستر العورة لا غير فربما كان وقت سؤاله عريانا في حفر بئر او قناة او شيل زبل او جلة او نحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل او انه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتفطن ان الكرشا والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بها او انه من الخضوع المشروع والتذلل لمحبوبه او انه اراد ان يفهمه اذا رجع واجتمع به انه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرشا او بجلابيه ليتحقق انه يحب له وانه تعاطى لاجله اخس الاشياء والاولى ان يقال هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين حين ينشأ من حين ولادته الى ان يموت في الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك وان جلس لا يجلس الا على

النجاسة وربما اكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا ولا دخرا فكان مسحه بالجلة والكرتنا فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب الثايات واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وافاق لنفسه لما تيقن ان محبوبه يطول رجوعه اليه وراى نفسه جيعان ولم ير احدا يرسله الى داره و ليأتيه بشئ ياكله من خبز الشعير والجبن القريش والبيصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين فى الغزما كولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا الفلاح لاسيما اذا كان فى حالة حفر البير او شيل الطين او تحت قناة او شيل الوحل وتراكمت عليه الدواهى والتعب من عقب حفر البير او شيل الطين او العشق الذى هو فيه وزياده على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه وقد ابطا عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وسلخت عليه نفسه لانهم يقولون الجوع كافر (وعنه) بعض الفقها ولما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا فقالت انت انت وانا انا فسلط عليها الجوع وقال من انا فقالت انت الله الذى لا اله الا انت فكان الجوع على النفس اصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة * (وقال بعضهم) * كل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير كما قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى سعيدا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا اقل اكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر اخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه * * (وشلت وجهى لربى قلت مولايه) * اى لما طال على الزمن فى حالة بكائى وفى مسحى الدموع واشرفت نفسى على الهلاك من السم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهى لربى اى رفعته وهذه لغة ريفية وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه اى رفعه وقوله لربى اى لخالقى ومربينى ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء الندا لضرورة النظم واما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه انه قال اطلب منك يا ربى ومولاى ان تيسر لى ما آكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذى اذهل عقلى واجاع نفسى واسال مخاطى ودمعى فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار بقوله * (جاب لى رغيف وعجوه وقتايه) * اى سخر لى انسانا اعطانى مجموع هذه الثلاثة واكلت وسددت مجاعتى وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم فان قيل استجابة الدعاء لها شروط ان ياكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح فى وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرتنا والجلة وفى وقوفه ايضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرفعه من الحدث او الجرن وايضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو

الرغيف وما معه قلنا انما عجل له الله هذا من باب الاستدراج او من باب ما ورد ان الرجل
الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه
اليه وقد قيل في قوله تعالى في حق سيدنا موسى وهارون عليهما السلام قد اجيبت
دعوتكما اي بعد اربعين عاما * (مسئلة هباليه) ما الحكمة في ذكره في الابيات الكرس والجلم
والرغيف والعجوه والقتاية وهذا لا يناسب ذلك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن ان
ياكل القتاية والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره فما يناسب فما فائدة ذكر
ذلك مع ان فيه انواع المجانسة * (قلنا) * لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه
نوعا من البديع فالكرساية واحدة الكرس والجلة واحدة الجلة والقتاية والعجورة
كذلك وذكر القتاية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى
الجناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبالة واما حل هذه
الابيات واشتقاقها فقوله سالت عن الحب السؤال هو ان يسأل الشخص عن شئ
وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من السيل او من السولية او من السالة
ومصدره السؤال يقال سال يسال سوالا والحب مشتق من المحبة او من الحبوب
وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء وسمعت امي وانا صغير تقول يا شي من شي بطني على بطنه
والمدلي يعمل شغله ولم افهم الا بعد مراجعة اي مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب
يقال حب يحب حبا وقوله شت مشتق من الشتات او من الشيته التي تستعملها النساء
لعمل الكحك والناية مشتق من المزهان او من وادي التيه وقوله مسحت من المسحة على
وزن المرهم او من المسيحة على وجه دبغة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلا
كذلك من معناها والكرسا من التكريس او من كرس الزريبة وقوله شلت مشتق من
الشالية وهو من جمع الشيل والشالية التي يوضع فيها اللبن او من الشلف الذي
يشال فيه التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والعجوة
من العجر او من العجيرة وهي حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر
يعجر عجرا * والقتاية مشتقة من القت الذي يربطوه الحصادين من الفلاحين
ايام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفي البيت من انواع البديع المقابلة لانه
قابل وجهه بالكرساية وقابل لحيته بالجلاية وقابل بطنه بالرغيف والعجورة
والقتاية وهذا يدل على انه كان مشغولا ببطنه اشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه
الطباق المعنوي ايضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على
ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم القشروي من غموم وهموم ومعان
عليها الخير اطموم لا يعرف الا بالذوق ولا يدركه الا بالشوق
ومن اشعارهم مواليا
رقاص طحونتنا يشبه لخالك * ورحينا في الزريبة قالت شمالك

الا وكلاوف يقول لى ياصبى مالك * طورابن شيخ البلد حالم كاحوالك
والعجاجيل فى الغيط بترعى لك * للحشيش و البرسيم الاخضر الحالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على اربعة اضرب من التخابيط وتفاعيله مستفعلن لاهطن مستطعن لاهطن وطوله من غير حصر من مشرق لمصر وعرضه مع المصيبه * من باب النصر للصليبه ومعنى الفاظه للعويطه وحل معانيه العبيطه ان قوله * (رقاص طاحونتنا يشبه خلخالك) * اى رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقزدير كما تفعله نساء الارياف او من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذى شبه به صورة خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقاص ولهذا عرفوه بانه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لوكان المشبه به نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامه الا على تقدير مضاف اى صوت رقاص طاحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا انها كانت تلبس فى كل رجل حجلا كاملا لاجل ظهور الصوت فان قيل ان رقاص الطاحونة له حس مرعب عند دوران الحجر وله فرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله الطحانون لاجل معرفة الناس ان هذا محل الطحن فيأتون اليه للطحن فيه او لاجل دوران الثور والفرس فانه مادام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فاين المناسبة بينه وبين الخلخال لمن الفضة فان الشئ انما يشبه به ما كان مثله فالجواب ان هذا المطلع لم ير الخلخال اصلا ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه ان صوت هذا الرقاص لم يكن فى الدنيا احسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته لا سيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس او الحديد فانه اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب فى السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف والطف ما سمعته فى طحانة هذان البيتان

طحانكم قد زهى جمالا * فما يطاق السلو عنه
ورق خصر افليس عندى * بكم يباع الدقيق منه

واحسن ما سمعت فى محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال يا اهل الفتوة
كلي اضعف خصري * فاعينوني بقوة

اقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان افعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر ان هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فدهش فاتضح الجواب وبان الصواب ثم انه اضاف الطاحونة الى نفسه لكونها كانت ملازمة له وقاطنا فيها ويحتمل انها كانت ملكه او ان هذا من باب بني الامير الجدار ثم ما كفى هذا القائل للخبيث الطبع الرثيث الوضع الذي لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه للخرا ماذكره من النظم الركيك والمعنى الذي يكاد حتى قيل له ان الرحا تخاطبه بالمقال وانها تفهمه عن شرح الحال فاخبرنا وقال ولا ريحنا في الزربيه فالكتا شيها لك يشعر هذا الكلام بان الرحا خاطبته وانها سألته عن حاله وقالت له ما مالك اليوم يا مسكين وقد وصلت الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له واما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها ما هي فيه في هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التي قبل حرف الروي مضمومة كان الخطاب له وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصح وسيأتي ان نصب اللام وخفضها لا يضر في الشعر ويفهم من قرائن المقام ان محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا في الزربيه فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا اي لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من اهله ثم انه لما علم من حالها انها شفقت له ورقت لحاله حيث خاطبتها الحجارة وانه يريد منها ما يريد الراهب من المسكاره اراد ان يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما يتفق لبعض اصحابه واخوانه من الانوار من نزول جسمهم من ضرب الفرقلة وتعب السواقي والحرث ونحو ذلك لاجل ما ياتي به ويشتكي حاله فاتى باداة الاستثناء فقال الا وكلاف يقول لها يا صبي ما لك ونفى نفسه بدل ما لك والك بالواو (طوراي شيخ البلد حالم كاحوالك) اي ان هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار ايضا وهو الذي يكلف البهائم والانوار ويتعاطى خدمتها لما راى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من اجل محبوبته وقد صار في حالة رذيلة شفق عليه عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار واذبله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى في فؤاده * اذا ما راى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وايضا راه في حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله

وشاهد ماهو فيه من الحمول وشدة النحول قال له ياصبي مالك او والك على الرواية الثانية لغة
عند اهل الريف والمعنى واحد اى ماحالك هذا الذى انت فيه وما سبب مقاسات ك
للخطب وانما خاطبه بلفظ ياصبي لكونه اعترته الصبوة اى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها
او انه كان من صبيان البلد اى من شجعانها وفد اذله الحب واخله الغرام والمعنى انك لست
مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك واصابه ما اصابك
وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو اعظم الاثوار واكبرها فان الحال بتاعه مثل حالك فقد نحل
جسمه واصفرت ذاته مما قاساه من التعب وما كابده من النصب وما اكله من الضرب
على اضلاعه وما حصل له من شدة اوجاعه وهذا من باب التسلية والتأسي بالغير كما سبق
واراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح فى الغالب لا يضرب الامثال
الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر الات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه
كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك
فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك واتى بهذا
التشبيه للجنيس المبنى على غير تجنيس لينا سب عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانا لسائر
يخرج تشبيهه عن ماهية ماهو فيه لانه دائما فى معاشرة البهائم والاثوار وكذلك
محبوبته فاتجه الحال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول
الرجال وقائله اثقل من الجبال واما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص
طحونتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة فى عود
من الخشب او من الحديد فاذا دار الحجر وقعت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص
لانه مشتق من الرقص على وزن القميص او من قربة فى البحر الغربى يقال لها مرقص
ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص والطاحون على وزن
المأبون والمحون مشتقة من طحن القمح او من الطحين ومصدره الطحن يقال
طحن يطحن طحنا فهو طاحن له ثم مطحون والخلخال مشتقة من الخلخلة او من
الخيلاء او من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة والرحى
جمع رحى وهى حجران صغيران احدهما مركب على الآخر الاعلى يدور على الاسفل
وفى وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثانى يقال له القطب قال
ابن دريد رحمه الله تعالى فى مقصورته

* فان سمعت برحا منصوبة *
* للحرب فاعلم اننى قطب الرحا *

والرحا بضم الراء واحدتها رحى كما تقدم وهى مشتقة من الراحة او من
السروحاء محل بأرض الحجاز او من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها
الرحا يقال رحى يرحو رحا

قال

قال الشاعر

* له راحة مشتقة من ريحانهم * تروحني لما اروح الحارضي

والزربة مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها ويعلفوا فيها وربما بالوا فيها ايضا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربا والكلاف مشتق من الكلفة او من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الامرد او الجارية بعد بلوغها ودليله ان هارون الرشيد مر يوما بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها وانشدت الجارية تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هارون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف او بلفظ الثوار فيكون مشتقا من الثيران ومصدر العلف يقال علف يعلف علفا وقوله يا صبي مالك بنصب اللام والبيتان الثانيان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاق الصبي من الصبوة او من الصابون او من قاطر الصابون وتقدم تعريف الثور لغة واصطلاحا

(مسئلة هالية) لاي شيء اتى في النظم بالثور فقط وكان من حقه ان يأتي بالعجلة ايضا او بالبقرة حتى يكون الناظم في مقام الثور والمحبوبة في مقام العجلة او البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التي هي ابلغ في النظم (قلنا الجواب) المشروي انه يفهم من ذكر الثور ذكر العجلة او البقرة كما ان ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض على الناظم في غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلس ابن فلطس الذي قاس البحر على المغطس

(فان قلت) لاي شيء خص الناظم الرجي في الزربة مع انها ليست معدة لذلك وانما هي معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم انهم يبولوا فيها ببقين فان البول فيها لا يدوم ولربما كانت جوانبها سالمة من البول فيجعلوا فيها الرجي لاجل الطين او يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المرأة منهن اثوابها دائما متضمخة بالجلة وغيرها في غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا المبال

ومن اشعارهم مواليا

* رايت حريفي بفرقلة يسوق تيران *
* لو كرا صفر على راسه كما اللبسان
* يا ريتني كنت لم حدوه من الحدوان *
* او كان لي شلق فوق راسي من الكتان

هذا المواليا من بحر التخريف ومعنى التخريف بالتقدير من سمنود لابي صير ولما معناه للخارج عن الادراكات للبارح لقلوب ذوي المروءات الذي يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت ولا ربع فان قوله (رايت حريفي بفرقله بيسوق تيران) هذه الرؤية بصرية اي شاهدت ببصري لا بيدي وحريفي اي محبوبي وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريفي اي صديقي او صاحبي او محبوبي ويقول له فلان تعال يا حريفي او لاقيني يا ابو وسعه او هارشني يا ابو عريضه او جارفيني يا مليحه او يا بو كاره او يا بو كره ونحو ذلك من هذه الالفاظ وسنأتي كيفية لقشهم على المرد والنساء في الارجوزة الاتيه في اخر الجزء ان شاء الله تعالى وقوله بفرقله بيسوق تيران يريد به التفنن في وصف المحبوب حيث جعله سواقا بفرقلة لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التي هو فيها من لبس او صنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقا له كما اتفق ان بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فرءاه يوما وهو يضربه فانشد يقول

رايته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبي ضربا بالنواقيس
فقلت يا نفس اي الضرب يعجبك * ضرب النواقيس ام ضرب النواقيس

فانظر الى دقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا لها لكل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغني الفلاح عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقلة ايضا والفلاح عنده التيران في مقام الاولاد كما ان السواق عنده الفرقلة اعز من اسمه وولده ولهذا تراها دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يالفه ثم ما كفى هذا العاشق الماسخ والهم الراسخ ما وصف به الحبيب من انه متعاطيه الفرقلة واشتغاله بسوق التيران وانه عنده من اكابر الريفيا ومن اعز السواقين الاعيان حتى وصف ما على راسه فقال (لو كرا صفر على راسه كما اللبشا) هذا على حذف مضاف تقديره ان هذا المحبوب كرل وهو الشد الذي يلفه على راسه يشبه في لونه نوار اللبشا وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بان لو كرا صفر على راسه يشبه نوار اللبسان وانه متميز عن غيره من السواقين والريفيا بهذا الكر فقل انه يلبسه احد من جنسه وان فرض ان احدا يلبسه لا يكون كله اصفر نوار اللبسان بل ربما تكون اطرافه فقط معصفرة او معصفرة كما يفعله اهل الريافة لاولادهم فان قيل لاي شي شبه كر محبوبه بنوار اللبشا ولم يشبهه بالزعفران او العصفر ونحو ذلك (قلنا الجواب واضح) وهو

انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من المصنعات وانما يعرف
ما تظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لا يعرف
الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بفرقلة فكان الانسب ان يشبه كرة
بما يعرفه والا لو فرض انه شبه الكرة بشئ لطيف او وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية
الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال من
وجه هذا الاشكال ثم لما علم ان محبوبه دائما يمشي بحدوة في رجله اذا احتاج
الى حرث الارض او حصاد الزرع او الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى ان
يكون حدوة في رجليه من الحدوان فقال (يا ريتني كنت لُه حدوة من الحدوان)
اي يا ليتني فابدل اللام راء على لغة اهل الريف اكون دائما حدوة في رجليه ولو كان
بها النجاسة حتى اتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف فانظر الى قلة
عقله وصناعته بحيث عمل نفسه حدوة من الحدوان بل هو جدي من الجديان
واردل من هذا التمني في هذه الابيات قول بعضهم في المدرجات

يا ليتني كنت له سنداسا * او كنت في اقدامه مداسا

فتمنيه في الشطر اشنع من تمني هذا الفلاح لان السنداس اشنع من الحدوة لانه
محل الشئ المستقذر نعم الشطر الثاني من قبيل ما نحن فيه ثم ان هذا الفلاح لم يقبل
ولم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى ان يكون محبوبه
مرفوعا على راسه فقال (او كان لي فوق راسي شلق من الكتان) الشلق يطلق
على قطعة حبل من الليف او الكتان وربما سمى اهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا
وهذا من باب التذلل للمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من
الحدوان في رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه لاجل ما يعصب راسه
به اذا اشتد وجعها من الم الصداع والضارب او الدواهي والمصائب وهذا من
عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله فان قيل اذا كان هذا العاشق قصده ان
يكون محبوبه في صورة شلق من الكتان يربط برأسه يكون على هذا التقدير محبوبه
دائما في تعب منه مع ان العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب
التواضع المنشور للمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائما فوق راسه مرفوعا
لان الراس ما دا سره وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق احد من
العشاق في التواضع او انه من قبيل الاشتغال به بربطه على راسه على الاحتمال
الاول حصلت هنا المقابلة لراسه وللحدوة التي في رجل محبوبه فكان هذا من
باب التدلي وعكسه فناسب لامر واتضح المعنى وهذا كله من تمني ما لا طمع فيه
على حد قول بعضهم (الا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب)
(مسئلة تهبالية) لاي شئ تمنى هذا العاشق ان يكون حدوة ولم يتمن ان يكون

وطابع انه المناسب ونما كان الطف واظرف من الحدوة واغلى ثمنا والحدوة فيها
يبس وعجرفة اكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصا فى ايام الاعياد
ونحوها والمحبوب لا يليق به الا الشئ النفيس فما الجواب قلنا الجواب عن هذا
البحث الفشروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحرات لا يليق به المشى
فى حالة الحرث الا بالحدوة وايضا هى اكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها فى الارض
المحروثة فى سروحه ورجوعه وفى شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها اكثر
والقذارة اوفى واوفر فتكون بمقام انسب واوفق بحاله من الوطا واقرب وايضا
هى المعهودة والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح انه لا يسرح ويروح الا
والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل فى نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا
العاشق ان يتمنى ان يكون له حدوة لانها عند المحبوبة المالوفة فهى احسن من الوطا
وايضا العاشق من شانه انه يحب ما يالفه محبوبه ويهواه ومن شانه التذلل
للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لا ئق بالمقام كما قال بعض الملوك فى جارية
وكان مغرما بها ومشغوفا بحبها

ايا ربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال انت لا بد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال هارون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيان
ما ذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطان

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق الناظم
ان يقول (اوكان شلق فى وسطى محزم به) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان
او الليف والحبل لا يكون معدا الا للحزام او لربط شئ ونحوه واما وضعه على الراس
فنادر فما الحكمة فى ذلك قلنا الجواب عن ذلك ان الشلق وان كان معدا
لما ذكر الا ان الغرض للناظم خلاف ذلك وهو انه يريد رفع محبوبه على راسه حتى
يصير فى اعلا مكان واشرف منزلة وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وايضا يمكن
الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلقوا على رؤسهم الحبال اذا كانوا
فى شغل دق الكتان او قتل الحلفة فيجعلونها مقام الكرويه يلوون بها رؤسهم
ويحطون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم واما اذا جعلنا الشلق
بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق راسى
من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب *
(شرح لغات الابيات) قوله حرابى مشتق من الخرفة او من الحرافة

اى هرون الرشيد كما فى تزيين الاسواق
ع

اومن حروف الهجاء اومن حرف الماجور قال الشاعر

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح فى القاموس الازرق انه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة اومن الفرقال على وزن المثقال او عبيد الزبال ورايت فى القاموس الازرق والناموس الابلق ان الاصل فى وضعها الطراشة التى تلعب بها الخلابيص فى السامر وجملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها فى الاصل فرقيصة وان الذى صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل واضافوا اللام وهاء الضمير الى تقييده واقاموا الضمير المذكور مقام هاء التانيث وجعلوا مجموع ذلك علما على هذه الحالة المقتولة وقالوا فرقلة كما قالوا مثل ذلك فى بعلبك ومعدى كرب ونحوهما من المركبات المزجية فان قيل اذا كان اصل الفرقلة الطراشة فلاى شئ ترك الناظم الاصل واتى بالفرع والاصل اشرف من الفرع الا فى بعض مسائل ذكرها العلماء قلنا انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلوص ولكن المقام لايناسب الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقا للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب الفرقلة كما تقدم ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة وقوله سوق على وزن فسوق مشتق من السواق اومن الساقية اومن السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة قال الشاعر

سوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وسقس لقدره

والكر ما يلف على الرأس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة على وزن الخرخرة اومن الكراويا اومن الكرب اومن كر الشئ اذا حله يقال حل عرضية فلان اذا حلها من على راسه ومصدره الكر يقال كر يكر كرا وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض ياخذه اهل الريف وينزعوا ورقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويبقوه زمانا يسيرا ويا خذوا قوامه ويسمون مجموع ذلك كبر باللبن وسياتى ذكره فى كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه اصفر وزهر الكتان ازرق قال ابن سودون

زهر الكتان مع اللبسان هما لونان ولا كذب
كيهود فى دير خلطوا بنصارى حركهم طرب

وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نوارة بنبات آخر غيره يسمى هذا الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة

وبتشديد الميم وربما اشتبه ايضا بنبات يسمى قثاء الكلاب وورقه ايضا يشبه ورق
اللبنا وقثاء الكلاب فيه بيقين منافع مذكورة فى منافع النباتات او من بئر
اللبسان وهى بئر مشهورة فى ارض مصر يطلع فيها نبات يدخل فى علم الصنعة
الالهية ويقال ان هذا البئر هى من باب الكنز الذى تاتى اليه الحبشة وتاخذه
فى اخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا والحدوان على وزن
الجروان واحده الحدوة وهى جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكها
ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقات واذهاب الحفا والعيا عن الرجل
ونحو ذلك ومصدره الحدو يقال حدا يحدو حدوا وقيل مشتقة من الحداية وهى
طائر معروف من الفواسق الخمس التى جوز الشارع قتلهن (فان قيل ان الحداية
من شانها الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها قلنا
هناك ادنى مناسبة وهو ان الحدوة اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا
والحجر اذا اسرع صاحبها فى المشى فكان هناك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه
(فائدة) ذكر صاحب القول المعاب فى وصف الغراب واقعة عجيبة وهى ان بعضهم
افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيئا فعبس فى وجهه فخرج
من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فمرغ وجهه على الارض ودعا الله
تعالى واذا بحداة القت عليه شيئا فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير
وفيه جوهرة تساوى جملة من المال فاخذه واتجر فيه وصار فى يسر الى ان مات
فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه ورايت فى
القاموس الازرق والناموس الابلق ان الحدوة مشتقة من الحدادى
واستشهد على ذلك بشاهد فشروى فقال

والحدوة اشتقاقها صححوا * من الحدادى فاستمع ما رجحوا

والحدادى على وزن الجمادى جمع حداية والشلق مشتق من الشلوق او من
الشلقة او من الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال
شلق يشلق شلقا والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية الذين يتعاطون
تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان
قيل لاى شئ تمنى ان يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص او حلفة
او نحو ذلك قلنا لعل شلق الكتان اقوى من شلق الخوص والحلفة او لعله من
باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر
فهما لا يعرفان غيره فاتى بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدى لناسب
ان ياتى بشلق الحلفة لكون الصعيدى يالفها ولهذا يقال صعيدى مصاص
حلفه او كان خواص لناسب ان ياتى بشلق الخوص فاتضح الجواب

وزال

وزال الاشكال وتم المقال وقد انهينا ما اوردناه من شرح بعض كلامهم ودشهم وفتارهم وحل لغاتهم بلا مرا وكشف معناها الذى عليه الخرا الذى لا يعرف الا بالذوق ولابد ان ناتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل ويقول الشعر وهو ذاهل (فمن ذلك) ما اتفق ان هارون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف اخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا عارفا فى النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدرى النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدى اشعر من اخيه واقوى جراءة واشد فكرة ومعرفة فى النظم والنثر وان شاء الله تعالى فى غد اقول له ينظم الشعر ويعرضه على ابى نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة فى غد ان شاء الله تعالى لنسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين واخبرته بالقصة التى وقعت بينها وبين ابيه والزمته بنظم الشعر وان يعمل ابياتا ويعرضها على ابى نواس فاجابها لذلك واعتزل فى محل خال من الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته الباردة حتى عمل ابياتا يأتى ذكرها تشبه رص القلقيل ثم انه اتى الى امه واخبرها ففرحت وارسلت الى ابى نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدى الامين فقد صار ماهرا فى الشعر بارعا فى النظم فقال له ابو نواس اسمعنى ما قلت فانشد يقول

نحن بنو العباس * نجلس على الكراسى

فقال ابو نواس نعم وانتم لذلك اهل ومحل وانتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فانشد يقول

نقاتل الاعادى * بالسيف والمزراق

فقال له ابو نواس تلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وامر بسجنه فسجنه اياما فتفقده الخليفة فقيل له هو فى السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فاحضره واحضر الامين وساله عن السبب فاخبره بالقضية كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا انه رأى فى شعرك خللا ما عابه فقال انظم غيره واقوله قدامك حتى تنظر نظمى وتباهى فيما انظم فقال له افعل ما بدا لك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجوارى ولم يبق احدا عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل ابياتا ثم اتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك ابو نواس فقال لهم اسمعوا شعرى فقال ابو نواس تكلم بما قلت فانشد يقول

يا قاعدا فى الاربع * ما مثلك فى الابلد
شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل

والسمن فوقك سايح * مثل الحصان الابلق

فلما سمع ابو نواس هذا الكلام قام يجرى فقال له الخليفة الى اين فقال الى السجن يا سيدى ولا اسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فتحققت والدتر زبيبه بلا دبتر وسكتت (واسمع من هذا النظم) ما قاله مرجان الحبشى وكان اميرا بثغر سكندريه وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه ايضا وها انا اسرد لك هذا النظم الخسيس مصحوبا بالتخميس وهو

يا رسول الله قل من الناس المعروف
اصبحت بينهم مثل الطير المنتوف
بعد ما كنت مثل الخروف آلمعلوف
يا رسول الله اغثنا اغاثة الملهوف   لقد اضرت بنا اشعار من الكلماء
يا رسول الله ما عاد فى حد خير
يا رسول الله ما بقوا يوقروا صغير مع كبير
يا رسول الله كن لى منهم نصير
يا رسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير   وهم يسوقونا بالعصاء
يا رسول الله احنا من رعيتك
يا رسول الله احنا من جملة امتك
يا رسول الله احنا فى جيرتك
يا رسول الله بحق صحابتك   اجرنا من النار لطا شعراء
وانا امدح نبى ربه اختاره وعزه
يا ما غزا الكفار بعسكره وغزه
ومن صلى عليه ربه لم يخزه
وقد عرج به ربنا وعزه   وقد رأى من آيات ربه الكبراء
ضاهيت بها همزية الابوصيرى
والفرق بينهما يلوح للنحرير
وانظر الى الصبر هو مثل البورى
والا جبل مصر مثل الطور   والا الصقر الصايد مثل البوماء
انا انتخب الفاظها من القاموسا
ومن عارض نظمى فى نكيد يلقى موسا
ومن له فى الادب رتبة او ناموسا
لا بد ان يميز بين الجاموسا والناموسا   واولاد الحلال ما هى مثل اولاد الزناء

نظمى

نظمى هذا ما هو مثل نظم الناس
نظمى هذا مثل درة فى الكاس
ومن يستمع نظمى يقول دهاس
قد فقت فى النظم ابو النواس   انا مرجان والحبش لى اباء
انا مرجان والى اسكندرية
وادرى بحورا النظم بالكليه
ومن عارض نظمى يلقى بليه
انا اصبحت مثل الشمس المضيه   ونظمى مثل نظم ابو العلاء
نظمى مثل درة فى حق
لهنى على فتى عارف من حق
هو ابن المخاض مثل بنت الحق
ولا النمل السباعى مثل البق   وانا اصبحت مثل القط اسطاذ الغاداء
انا اصبحت مالى فى نظمى نظير
ولا مناهى قولى لا كبير ولا صغير
وانا اعطانى ربى الخير
انا مرجان الحبشى الامير   استخرج الدر من البحراء
واختم قولى بمدح طه الزين
يا سعادة من زاره فى حنين
وقبل حجرته وشاف بالعين
وقال له يا جد الحسن والحسين   اشفع لمرجان ينجو من النار اء

فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله تعالى به وظن هذا الغبى البليد ان نظمه فى غاية البلاغة واستحكام الصناعة مع انه اجهل من الحمار واجمد من الاحجار ورايت له ايضا نظما اثقل من الحجارة وانجس من ماء الخزارة قد حكى فى ترتيبه القليل فى الرمل وفى ركوبه ذقن العرص عارض به لقلة عقله وسود جهله خمرية القطب الربانى والهيكل الصمدانى سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته فى الدارين (سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها) (كمستمن الكرم ختامها مسك) ودارت علينا سقاة فى يدها كوثر * كل ساق منهم يحكى لبجة الفلك وربما شفنا من خمرتنا ورايناس سكرتنا * امور محتبكات ومرتبكات ربك وشاهدنا العجائب ورايناالغرائب * واندكت جبالنا من اطوارنا دك مدامتنا هذه تعلو على مدامة الفارض * واين الثريا من الثرا لحمر بعيد من الدك

مدامتنا ما مثلها فى الكون مثـل * ولا عند الرهبان والقسوس وابناء الترك
مدامتنا هذه من ذاقها فى كاسها * قال من طعمها هذه مثل المسك
ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر * لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يبكوا
ومن اوصافها كان ان شربها ضعيف * طاب لوقته ولم يعد قط يشكو
ومن اوصافها ان مرض كوم على ديرها * وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شك
ومن اوصافها ان صب فى قارورة صبا * تتاكل الايام وراح الطرف من حسنها يحكو
ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم * لترجم بكل لسان مثل سنا الملك
وقد شرب منها مرجان شربة * فاضحى بها هائم فى الكون بلا شك
فدونك مدامتنا لا تحول عن شربها * ففى شربها يا خالى البال الحك والدك
وفى شربها فى حانها وسط مجلسها * من يد ساقيها السعد والملك
واختم خمريتى هذه بصلاتى وسلامى * على نبى عربى جاه الجمال يشكو
وعلى آله واصحابه كلما خطوا الحجاج * عند سيرهم الجمرك وفكو

فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخمرية وفرمنها لكون ناظمها قلب طورها فى عرضها وقد اتفق ان بعض القضاة من الاروام قال لنائبه نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب اسمعنا اياه فقال

شين الشرع لها شاره * وتقطع مثل المنشاره

ما تقول ايها النائب فى هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد ان ضحك عليه واشار بكلامه اليه وانا الاخر نظمت محاضرة عروض كلامك وتشبيه قولك ونظامك فقال القاضى تكلم ايها النائب وصاحب الراى الصائب فقال

سعيده كانت مزاره * وتحت طبخ البيساره

قال فهام القاضى طربا من كلامه ومن شدة ما اعجبه من نظامه واعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه فى عز واكرام وهيبة واحترام الى ان عزل واداوات سفره قد حضرت وودعه النائب بقوله فلا رجعت وكتب بعض البلداء ممن يدعى النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلى مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما لانه لم يكن يميل للاناث حتى انه كان لا ياكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير انه كان تغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل التستر على احواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فارسل اليه يقول

بعد ازكى السلام منى نهاضة * لحبيب يحب دون بغاضه

اسمه السلسيلي والشيخ محمد * زادك الله في الانام رياضه
انت في ذا الزمان شيخ عزيز * وسواك الانام مثل المقاضه
انت ارسلت في الكتاب بقتسا لـ * من عريب فانها من بياضه
وهنيد زادت من الكل عجبا * بسواد العيون لا بالمغاضه
من يحب الملاح سيلي الدراهم * وغيد ناما تمنا لكنني قراضه
وانا اسمي رازق الشيخ محمد * الضم المقول الطرزه بالقضاضه

فلما قرا الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها لفقيه يقرأها له لانه كان بصيرا فينشرح ويزول عنه انقباضه وقرب من هذا النظم المرثية التي ذاتها لبعض الشعراء البلداء في رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فاحببت ان اثبتها لما فيها من الابيات المعجوفه والمعاني المقلحظه وهي هذه

الحمد لله لطيف اللطفا * في ابتدائي بمديح صنفا
وعلى ازكى البرايا كلها * صلوات الله جاءت بالوفا
وعلى الال جميعا كلهم * وعلى اصحابه والخلفا
بعد هذا ابتدي مرثية * في امير موته قد سقفا
جاءه الموت سريعا عاجلا * وعليه عزرائيل عكفا
بعد ما مات بلغني موته * عندها دمعي بعيني زلفا
ودموعي من عيوني قد جرت * مثل ما تجري سواقي مرصفا
قلت لما موته قد جاءني * صائحا يا اسفا يا اسفا
مات من في الناس يذكر اسمه * يا الامير ابن الخواجا مصطفى
يوم ماتا لارض كادت ان تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعده * وبنات الارض حقا قلفا
كم له وسط المدينة سمعة * كالصناجق بل واعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حتى تنظره العدا تتحفا
قد تولى وانقضت ايامه * يا نعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت * اخذوها اهل الطمع بالجرفا
لما ذا الامير اتاني نعيه * خفق القلب له وكاد يجفا
والاعادي فرحوا في موته * لاجل مال ينهبوه جزفا
من معادن فضة مع ذهب * وكنوز اخرجوها قففا
ورثوها بعده اعداؤه * فرقوها اليوم بغير الخلفا
من جواهر لا تضاهي كثرة * لامعات نورها قد رصفا
ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلاهم بابغات رعفا

قدرت فی بیت مال خذها * الف الفی الف الفی مقطفا
وعلی لکاشف منها اخذا * بعدما اسرف فیها مجحفا
اودعوها بیت مال بعدما * اخذ الکاشف منها واکتفی
کم الی فی بیته من مرأة * مع بنات لا بنات الغذفا
ثم قد نحن علیه حزنا * وعلیه الناس صلت صففا
کم امیر جاء فی تربته * ووقع فوق التراب الشقفا
کم فقیه جاء فی موتته * وتلا یاسین ثم الزخرفا
ما تری قدمات بالبطن اذی * اوربا او بالرعاف ارتعفا
لیتنی شاهدته فی کفن * ذی بیاض حین فیه لفلفا
لیته لو عاش قرنا کاملا * لکن الموت علیه زحفا
یا تری من عاد یخلف بعده * فی مکارم قل فیها من وفی
نعسی یاتی حسین بعده * ینفع المیت ویبقی منصفا
لیت شعری لو تخلف بعده * وبمکرم مثله کی یخلفا
حیث اخلی داره من حسه * رائد الموت علیه عطفا
هکذا الدنیا دوا ما طبعها * تقهر الناس وتاتی بالجفا
کلما فیها تراه زائل * تنقلب بالغدر مثل المحرفا
لیس یعجبنی الاماره کلهم * کالامیر ابن الخواجا مصطفی
کم غمرنا احسانه مع جوده * کم عطایا ارائدات بالوفا
کیف لا ابکی علی من جاد لی * بعطایا ما عطاها خسرفا
رب فارحمه وخلی بعده * امه والست وابنه یوسفا
قد توفی فی جماد الاول * سادس الشهر خمیسا شرفا
عام ارخ من ثلاثین مضت * بعد الف من سنین تعرفا
بعد هجرة من اتانا رحمة * بالهدی ازکی البرایا اشرفا
یا الهی اغفر لناظمها اسمه * عابد الرحمن وابن یوسفا
جاء یسمی محمد معتوری * فارض عنه یا لطیف اللطفا
وارحم الوالد واجداد له * والامیر ابن الخواجا مصطفی
وصلاتی وسلامی دائما * للنبی والآل اصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء علی السلطان الملک العادل بیبرس وقد فتح قریة من قری الکفار فقال له اطال الله بقاء الملک انا فلان بن فلان بن فلان عاش ابی من العمر ستین سنة وعاشت امی اربعین سنة وانا فی سن الخمسین سنة وقد عملت لک ابیاتا تتضمن تاریخ فتح هذه القریة التی ملکتها ثم اخرج له رقعة

مكتوبا فيها (قد فتح السلطان بلدة * واتى بسعد البلدة * فلما فتحها ارخها * حاكما في شهر ذا القعدة) فقال له الملك لم ازل ابرد من كلامك الاشراك ومن نثرك الاحبتك قال فخجل الرجل ومضى الى سبيله (اقول) قد سبق لك ان هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر ان يعرض قصيدته حتى يهذب الفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم في ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوسا تهذي بها

وعشق بعض الفقراء غلاما فاراد ان يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يتزحم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وارض بعيدة واماكن صعب شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص بصره الى السما فيقول الحاضرون شي لله ويقول لهم انظروا يا محجوبين الاوليا وهم طائرين فوق النجائب وقد اقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء فلما راه الغلام على هذه الحالة اعتقد انه ولي وقال في نفسه انا لي مدة اخدم شيخي ما رايته شاهد نبي ولا ولي ولا اخبرني بشيء من هذا الا يقول لي صلي وصم وما اشبه ذلك والاولى ان اخدم هذا الولي الفقير لعله ان يطلعني على الاولياء والنجائب الطيارين دائما في الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه واقبل على هذا الشقي وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولامرك سامعا واعلم اني لبثت مع شيخي وهو يقول لي صم وصلي واعبد ربك الذي لا اله الا هو ولم ار منه بركة ومرادي ان انظر الاولياء الراكبين النجائب الخضر فقال له هذا الشقي اعلم يا ولدي ان الطريق ليست بصوم ولا بعبادة فانت تريح نفسك من هذا التعب وانا اصب لك عمود النور في بطنك فتنظر سائر الاولياء من فوقك وتقبل على النجائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوي والسفلي فقال له الغلام ومتى تصب لي عمود النور هذا فقال له يا سيدي شي لله وما يكون ما الحياة هذا فقال له شيء ابيض يجري في قصبة الذكر عند وصول الوصال للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيئا من هذه الامور الذميمة فقال لذلك الشقي الممقوت قم بنا على الخلوة فاخذه ومضى الى ان صار في خلوة التعس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدي على بطنك حتى اصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه

وصار هذا الشقي يترجم ويبرجم ويهمهم ويرعي ويزبد ويظهر الزور والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت في قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار فخطر على بابه تلك القبة المشيدة الاركان المزخرفة الالوان ودكه فيه فلم يمنعه الا الخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يفلته حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزنا ان لا نجاب عندكم * ولا للاوليا الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وامسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط (ويحكى) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى انه كان سائرا بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلا مقتولا بجنب حائط والدم يجري على اوراكه فوقف ساعة ينتظر احدا فلم ير احدا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلا فقيرا قائما يصلي وقدامه ابريق وفي رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى اتم صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد يا شقي تلبس على الله وعلى الناس ماهذه الخوشنة وتقتل النفس التي حرم الله قتلها فلاي شيء قتلت هذا الرجل الذي مررنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع الى الله تعالى ويدعو على الذي قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فوجدوا معه السكين الذي ذبح به الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما انت فقير بل انت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخواني الى هؤلاء الفقراء المتزندقين واعمالهم الخبيثة التي لا تحصيها كتب ولا دفاتر ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة في الدين والعبادة على اليقين وان يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخلوص النيات وترك المحرمات في موضع الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول اللهم احشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم امين يارب العالمين (وسمعت) بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة وهو ان البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وان الشخص جنته وناره وحسابه في نفسه وان الدنيا لا تفنى ولا تزول وانما هي شمس تطلع وقمر يزيد ويغيب وينشد قول ابي العلاء المعري

اتى عيسى فبطل شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس

وقالوا لا نبي بعد هذا * فضل القوم بين غد وامس
ومها عشت في دنياك هذي * فما تخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتي * واذ قلت الصحيح دخلت رمسي

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت في جسد من الاجساد في آدمي او في حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التي كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا يا اخواني الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى ويحكى ان رجلا صالحا اضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى ان تكلموا في القرآن فقالوا لهذا الصالح اتزعم ان القرآن كلام الله تعالى قال نعم ومن شك في هذا كفر فقالوا والله ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم واخرجهم من منزله على اتعس حال نسأل الله تعالى السلامة في الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت اعتقده فجلست معه يوما فتكلم في فضل العبادة فقال لي يا سيدي انا لي عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدي احمد البدوي نفعنا الله به وقال لك لي يا ابا الفرجات وتقبل عبادتي وتيسر لي رزقي فقلت له ما هذا الكلام لا يتقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدي احمد البدوي رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد اشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له في ملكه فقال لي يا سيدي انما افعل ذلك عن شيخي الذي كان يقول لي قبل موته اقصد بعبادتك سيدي احمد البدوي فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها في هذه المدة فاسدة باطلة ثم ادركته العناية فتاب على يدي وانقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله تعالى واخلص في عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قد هام في الجمع وغنى فقال

يا هاتما خذ من خراطيم كلبتي * والحمكاك والحاضرين وراكتي

وعشق بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقي خذ مصران غنم واملأه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف في وسط الجمع ودردش باللسان واخبر عن الشام وعن الزيتون وادخل يدك بلطافة وانت بجانب الغلام وحل المصران وخذ في يدك شيئا من الزيت

وارفع يدك في الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت في جيبك زيتونة خضراء فاخرجها بلطافة وارها للغلام والناس فيعتقدونك انك ولي من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمني الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهي المني ولا يصح تدبيرها الا في الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضي منه المراد قال ففعل ما امره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش باللسان واشعر من الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده واظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شي لله وقبلوا يديه فجاء الغلام وقبل يديه ومال اليه وقال له يا سيدي اكون معك واطلعني على الكرامات والولايات فقال له يا ولدي الولاية لا تنال الا بالنقطة الخارقة فقال له يا سيدي ومتى تفعل ذلك فقال له يا غلام هذا لا يكون الا في الخلوة ولا يصح بحضرة احد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فاخذ ذلك الشقي ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقي عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فما شعر الا بالخصيتان فصاح الامان الامان ما هذه الولاية رزقناه ثم قام من عليه بعد ان قضى مراده وتحقق الغلام ان هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا معا حتى لقيا جمع فقراء في مولد فقام هذا الشقي بجانبه في الجمع وترنم وهمهم وقال

صلوا على قبة مليحة مرصعة * ويصيبنا فيها من النور عجائب

فاجابه الغلام بقوله

ما عدت تنظرها من اليوم يا شيخ * وما عاد لك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا ان الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى ورقي عليها وان الغلام فات مرتبته وعجز عنها وفات على شيخه في الولاية والحال انه ما رقي الا على هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصب في تلك القبة الدهقة الحارة الحارة الدافقة وقبل الخدود ودفع فيها العمود فهم في سكرتهم يعمهون قاتلهم الله انى يؤفكون وقد قيل في هذا المعنى

يصان الفتى في حجر والده وانه * تدروش قام انا سكون وركبه

اي يستوي عليه جماعة من الفقراء او من طائفة الملحدين المخالفين الحاقين هم من خواص الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدتهم ويشغلوهم عن الدنيا والدين ويدار عليهم في التماسح والخزي والنجاسة حتى تطابع عليه فيتركونه خرا بلا ذوق لا من الناس يشبع ولا من المال يجيء ومنهم طائفة لا يطلقون الامرد ولو التحى وشاب ويستلونه ويظنون انه الصواب بقول من قال

اهواه طفلا في القماط وامردا * ولحية واذا علاه مشيب

وقال آخر

بلوطي يدعي عاشق المرد في الورى * ويدعي زان من يحب الغوانيا
قلت لاصحاب الكساء تحففا * فلا انا لوطيا ولا انا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا في المحبة وسلوكنا في العشق فان الامرد اذا جاوز ثماني عشر سنة مجته النفوس ولا يرغب فيه الا وقتا لقليل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغير حاله وغم النعم ونفي الخال الذي في خده وصار وجهه مثل قفاه وتلي عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل في المعنى

الحى الامرد الذي كان في السنة مسرفا حسنا كان وجهه وسريعا تصحفا
سر والله ناظري منذ اى ذلك اشتفى شكر الله لحيته صيرت وجهه قفا

وقال آخر

سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ولوالدي عفا الله عنه في المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع في الخد ذقن * اثرت ظلمة قبيل النبات
كانتشار الظلام في الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال آخر

ما يفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه * ما يفعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من ابناء العشر وذوي اللطافة في الطي والنشر فاذا بلغ خمسة عشر سنة صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولو خطر لعذاله ما سنه وهذا هو الغرض والمرام عند اهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فانهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بلا دير وضلالتهم غادير واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة ومن فعل هؤلاء الطوائف الذي ابتدعوه والامر القبيح الذي اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال انه اذا مات بينهم انسان وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة ابالسة كانهم من جنس القساقسة او من دير الرهبان او من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة انفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به في بعض المحال تقرون فواتح وتضيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم في غبرة وعفرة كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما سادوا به من بلد الى اخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم في خباط وعياط وشياط وصياح واضطراب وجنان ويقولون شي لله يا شيخ فلان

وربما غلط النسوان ورمين به الطرح بقدر الامكان * واخبرني بعض الاخوان ممن شاهد الاعيان انهم مكثوا داير بمبيت من اول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار بجلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التي ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هي اثم عليه واذية للاموات فعلى العاقل ان يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر

وان لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعتزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من انهضك حاله ودلك على الله مقاله ولنختم هذا الجزء بارجوزة تتضمن ما ذكرناه في هذه الاوراق وما عايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدي دائما وشكري
ثم الصلاة والسلام ابدا * على رسوله الكريم احمدا
كذاك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد اني ناظم ارجوزة * لطيفة مفيدة وجيزة
تخبر عن حال ذوي الرذاله * كذا عوام الريف لا محاله
فخذ هداك الله ما اقول * في نظمها وعنه لا تحول
اذا اردت وصف اهل الريف * اهل الشقاء وذوي التحريف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديمو العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا
فاعلم هداك الله للصواب * لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا لفضل منه حقا تعرفه * ولا لامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل * اذ ليس للامر الشديد يحصل
وليس يرجى لقضاء حاجة * بل دأبه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * او تتخذه سيدا وجاها
تصير في خدمته والنفع * في الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما اردت منه تخلص * ترميك في هم له تنغص
فاسمع لقولي ان ترد فلاحا * لحاجة فما ترى نجاحا

ولا تؤمنه على معامله	فليس يعطيك سوى المماطلة
وان ترد معه سريعا يختصم	يقول لك حتى اسد الملتزم
وان بقي شيء من الزرع قال لك	خذه والا لا نطول املك
وان اطلت معه المخاصمة	اتاك بالشرع المحاكمة
ويسحب البيوت والحزاما	ويلزمك بماله الزاما
وربما يقول للملتزم	هذا يريد ان يزيل نعمي
ويأخذ الزرع بتلك الحيلة	والمال يبقى يا امير بلدتي
واخرب سريعا وتبور الارض	من حي فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين	عنه ويمسي حائرا في شين
فليس فيهم ابدا نجاح	وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعة	وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونطهم في الوحل ثم الجبله	وضربهم للنورج ثم العجله
تسبيحهم فردح بنا للساقيه	واحسب مال البلد في الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه	شعرته من طولها ملفوفه
وان لحفر البئر يوما قصدا	ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستر	بل ايره ممطط مطرطر
وفلسه للحر والبرد برز	وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف	مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم في الطر	في حالة البرد ووقت الحر
ونطهم في الحر بالغيطان	كمثل نط الوحش في الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ	مثل عفاريت اتت في الغيظ
وان يريدوا المزح والملاعبه	مثل كباش قد اتت محاربه
تلقاهم حينئذ زعيقا	تحسبه يا صاحبي نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد	في عفرة وعثرة وطرد
وان يجمعوا اللعب الكوره	تراهم في غارة وعفوره
من كثرة الصياح والزعيق	والجري في الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره	او جلسوا للرقص والزماره
او سرحوا بقصد جمع الجله	او التقاط سبل او رجله
مثل عفاريت اتت في زوبعه	او فرق من القرود الجائعه
صبيانهم اذ يلعبون فا ح	كانهم بها يرسوا ر ح
وان هم في حاجة تعللوا	فعلل الصبيان تلك العلل

وان اتت مواسم كالعيد ... تراهم في النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء ... فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر ... وان تشأ فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع نقلت ... مثل قرود في الفيافي اقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه ... ان قال شخص بالضلاله
شخص منهم لسعد ... للشر يدعوهم وكل كيد
والحرام اخر يميل ... يصيح في اعرانهم بقول
خذوه من قبل تروا باسه ... ثم اقتلوه واخمدوا انفاسه
فذا يصيح يال سعد اسعدوا ... واخر يال حرام انجدوا
فذانك اللفظان دون لبس ... عندهم امر بقتل النفس
فيخربون الارض بالغارات ... ويرصدون القتل في الطرقات
وان اتتهم للقتال عسكر ... فروا الى جبالهم واستتروا
وعندما عادوا الى البلاد ... عادوا الى الشر والفساد
فما جزاهم غير قطع الراس ... وشنقهم وضربهم والحبس
فقسوة القلب لهم طبيعه ... وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم في الحر من غير وطا ... ونومهم في الغيط من غير غطا
وطرهم في ظلم الليالي ... في الحزن يا صاح او التلال
قد يبست جلودهم في الحر ... كانها قد خلقت من صخر
ونطهم في الطين ثم الوحل ... وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم في البئر والسواقي ... ومشيهم ايضا بلا طواقي
ومنهم من لا يزيل شعرا ... والراس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شاربا او لحيه ... ولا ينظف فلسه من خربه
وشدة فيهم على الخناق ... منها يطول الشر بالنفاق
وضربهم للاب ثم الام ... وصبرهم للجسر ثم الطم
واكلهم في العدس والبسله ... كمثل اكل كلبة او عجله
ومن تراه منهم يصلي ... تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس ... ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جنا يوما على الفسقيه ... يجدله طيرا كما البهرنيه
كذاك من يجنيه واخر ... وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل ... فهو حقير عندهم في ذلك
ولن يطيعوا الشرع الا غصبا ... او يوجعوا الا جل ذاك ضربا

وهم عبيد قابض الاموال   فعندهم كالعمر او كالحال *
ويجلسون عندهم في ادب   او يقف الواحد منهم كالصبي
وللبس فيهم دحمة لعالم   لكن لاهل الشر والمطا لم
فالشر والعدوان فيهم شائع   والخير والاحسان منهم ضايع
اخلاقهم تروى عن ابن حجر   طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مروية   عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل   والضرط الفساء وابن ذبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا   لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه   اذا اتى كانه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف   سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جنا يوما على الجفان   كانه الناطور في الغيطان
يفترس الاكل من بيسار   ويلبعه عن مضغ ذاك عاذى
يقول اروى لكم روايه   تنبي عن الضمير بالدرايه
وفي غد اروى لكم قصيده   لعنتر في عيلة الفريده
كذلكم دلهمة البطال   وسيرة الراهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيخه   وام جابر بنت ابو فريخه
واروى لكم ماقد اتاني عن ابي   وابي قد قال ايضا عن ابي
وقال جدى ذاك ابو غنداف   صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضو ولا طهاره   كما روى عن جدتي شراره
قاضيهم اذا اتى لشغل   مثل رئيس قد اتى بالطبل
ينزل عن البغله او الحماره   كانه الراهب ابو ذراره
وعندما يجلس في انتفاخ   تفرش له قطعه من الاجناخ
وبعد ذا ياتي اليه المشتكي   ثم يقف على عصاه مستكي
وبعضهم على العصا يلف   رجلا له وهو ثقيل فحف
يساله يا قاضي الهموم   هات لعندى ابن ابي دعموم
وحياة دقنك جلتي سرقها   واربع فقفق من زبلنا حرقها
وقد اخذ وحياة راسك حدوتي   وعمتي المشرمطه ولبدتي
احكم بحكم الله يا قاضي البلد   والا ضربك الف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد   حيث سرق ومنه نقطع يد
زح يا قفا يا عرص يا ابن الزبله   ادفع له قيمة هذى العمله
وصالح الخصم وهات لي فرخه   والا على تقتله شر شتمه

ان عقد النكاح ليس يدرى … منه سوى زوجيت بنت عمرو
وليس يدرى شاهد ولا ولى … ولا يعرف صحة من علل
اذا قضى قضية وبيتها … يجرى سريعا عندها باليتها
فقيرهم شعاره الابريق … والنط والصريخ والتصفيق
وذا مُريدى ومُريد جيدى … وذا الولد باينى وعبدى
يسير طول الليل خلف ظهرى … غير مصلى مغرب او ظهر
الا باذنى او بدا تشويشه … ومن راه قال ذاد رويشه
وعند ما ياتى به الموالدا … من خلفه تلقاه حقا لابدا
ويدخل الجمع به يدروش … وباللسان بينهم يدردش
فبز عقوا ويضربوا الكفوفا … ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا اخبر الشيخ الولى … عن اولياء تمن ارض الموصل
هذا يجى بين السما والارض … على النجايب ما عليه من فرض
ولا بقى جاوز الى عباده … هذا بقى في نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره … هذا ولى فسية الحماره
وان تسله حال الطريق … يقول ما نعرف سوى الابريق
وهز وسطى ثم طرق يدى … وميلان لبدتى وشدى
ان قدم الماجور احط كفى … واطلع بلقمه مثل دور الجف
وبالدرا وليش بجنب الشط … امشى وابريقى تحت ابطى
وانزل على من لى عليه سياده … واقول له البيته وهات العاده
وهات لى الفرخه مع العليقه … وليس يعرف غيرذى الطريقه
ومذهبى يا سعد يا حرام … ولا اقل بان ذا حرام
اخذت عن شيخى بهذا الفعل … فهو حقيق مشيه بالعجل
ومنهم طوائف خوامس … وكلهم بجمعهم ابا لس
لا يعرفون الصوم والصلاة … ولا يرون الحج والزكاة
تراهم جميعهم انعاما … لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات … وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر … وقتله فحل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم اراذل … وليس فيهم رجل يماثل
لاهل فضل اولذى كمال … بل كلهم في رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا … فشعره يشبه طعم العذرا
او قيح قول جا بلا روايه … اورص قلقيل بلا درايه

ان لم تكن ذقت الخرا في العمر   فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رذيه   لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم اجلاف مع اوباش   مثل عير الجون والكباش
اسماؤهم تخبرك عن اوصافهم   القابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم جنيجل وجليجل وقطا   والحاج عنطوز بن ابي فرزة وطا
وعفر مع دعموم مع زعيط   كذا اخرا لحس وابو مغيط
ثم قليطه وسلاطه قد ورد   كذا الهاطه وزعاطه في العدد
شقليط مع معابط مع خبيط   صغار مع بهوار مع صرميط
بزلوز مع عموز مع قروش   سمعوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش عنهم ذكروا   كذا حنين بن بنين عنهم شهروا
كذا سمعنا انهم يكنوا   ابو شوالي ومنادر يعنوا
كذا ابو عفر ابو دعموم   وابو الدواهي مع ابو الدشوم
ابو شادوف ابو جيارو ابو نطاح   مشكاح ابو رماح ابو ردياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا   والحاء ايضا عندهم قد تكسر
محمدين قد سمعت منهم   كذا بهام وعقيرب فيهم
والقلط والضراط قد روينا   ويبدلون الصاد ايضا بسينا
فهذه اسماء مثل الوحل   او انها شبه ضراط النمل
وان ترى الاسما لا تعلل   فانها والله بئس العلل
وان ينادي الشخص منهم اخرا   يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادي للمرا يا داهيه   تجيبه لبانش عجليه
وعندهم من افصح اللغات   كقولهم في الارث ذا ميراتي
وضيع البوشه وهات   ماضال الي ما زال هذا الوادي
يعنون بالجواد مركوبا حضر   كذاك هاتوا لي الكرا من السحر
جعبوبتي دلحت من المرجوج   سيري اسكني جوا حد الطاحونه
قومي الحقي لي في الزريبه نقره   لاجل اقوم بالليل وفيها اخره
غدا ترى الجاعان نطلوا في المراح   يوم الهريبه في الزريبه بانشراح
جعما راجا محمص سمط اجله   اليوم الوعزيا وعنده عجله
والحج عنطوز قد حضر في كرشه   اليوم وراح هربط ونبا الركوشه
وحطها في الدست طبيخا بفرحه   بفرتها خدها ابن راس المسيحه
البوبلد ناسيها ابو عوكل   وابو فسوه وابو ضرطه وهيكل
والحج قلوط الكبير في هودج   والحج جماص بن خرق النودج

وانما اسماؤهم منا سبه ذ واتهم وافعالهم مقاربه
نساؤهم ايضا لهن اسما فخذ هديه بسدها ونجما
زعره وبعره ميكله خطيطه يلوه وعلوه شايعه حويطه
شيخه زراره مع شراره سموا كذا امعيكه ودكيله ضمنوا
سقسا قه ايضا كذا اشليايه وخربوه وقسيوه وعطايه
كذا اغسيله ثم غاسوله ودده حمله ولبدع وعطيه في العدد
وطالبه وهاربه خطيبه كذا فريجه بنت ابو غريبه
وقد سمعت رجلا ينادي حجه خدبوه اغسلي الزبادي
واحلبي البقره وهاتي النخله روحي حدا الجلعان وشوفي النخله
قومي وحطي العدس في الفصوله انتي ويا بنت ابو يعشو له
يا داهيه يا داهيه تعالي جنكي من الحيط بنت ابو شوالي
قومي تعالتعشي بنا في الموضع ابنك بيجري هي تقل كل واشبع
هاتي لنا قطعة وسخن ابنكي الطخ بها الجله وشوفي يبنكي
يا داهيه روحي وهاتي البقره انتي وبنت الحسن قفا كي خضره
يا داهيه روحي وشوفي النقره في وسطها جله طريه خضره
وحولها شوفي الحمار والعجله وللي بعرها اعمليه جله
فهذه اسما النساء فخرا شبيهة بالوحل عند الخرا
ولقبهم يا ابن الوطا يا صلوع يا خرا الحسن وابن بنت القسوه
يا علق ما تجي عندي يا بوكاره يللي بتجري كل يوم في الحاره
وانت بتقعد للمسا في الشونه وكم بنيكوك في الدده يا لعوثه
تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثاني من تجزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه انه لما كانت الهمه البارده والفكره الكاسده تحركت اياما قلايل لتاليف كتاب صار في الاوراق حاصل في احوال اهل الريف باتفاق وما لهم من نظم ونثر وحديث واشتياق وصار جزءا لا يرى في الكثافة له شبيه ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه وكان كالمقدمه للقصيده وقد حوى معاني تشبه تحوف الجريده وختم بالارجوزة الحاوية لما فيه من النثر والاشعار وغاية انه اغتراف من بنات الافكار اردت اتصاله بهذا الجزء الثاني وحل معاني القصيده التي عليه

مدارتلك المباني فحركت فكرتي الخامله واطلقت عنان اليراع لبيانا تلك
الامور الحاصله لحل معاني القصيد متسكبا عليه انسكاب الوابل على
الصعيد بالفاظ تفوح معناها كاريح الفيسوى ومعاني تشبه في الوضع
خابط عشوى فساعدتني الفكره لما الذ قصدت وتحركت معي لما اليه
اردت وهذا اوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود فاقول
ذكر نسب الناظم وما حواه وذكر الموضع الذي ضمه وآواه وسبب سعادته
وحصولها وصفة لحيته هل كانت طويلة او قل طولها وكيف مال عليه
الدهر في اخر الزمان حتى انشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان فنقول
اما نسبه فعلى اقوال فمنهم من صرح انه ابو شادوف بن ابو جاروف بن شقادف بن
لقالق بن بجلق بن عفلق بن عفربن دعموم بن فلحسن بن خرا الحسن فاذا ذقت الكلام
بمعقول عرفت انها نسبه على هذا القول (وقيل) ابو شادوف بن ابو جاروف
ابن بردع بن زوبع بن بجلق بن عفلق بن بهدل بن عوكل بن عمرو بن كل خرا فانتهى
نسبه على القول الاول لابن خرا الحسن وعلى الثاني لابن كل خرا وهو الاصح لان
اكل الخرا ابلغ من لحسه (واما قريته) ففيها خلاف قيل انه من تل فندروك وقيل
من كفر شمرطاطي وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك في بعض اشعاره يخبر عن نسبه
فقال

ايا ناس في قولي دلايل ونظمي حق ما هو شي هبايل
ابو شادوف انا قال لي ابويه عليه وجدتي ديك ام نايل
باني قد تربيت باجماعه بكفر يعرفوه ناس اوايل
يسمى كفر شمرلي وطاطي فكن صاحب فهامه يا فساقل
وذا قولي وابو شادوف اسمي وشعري حق من جاني يسايل

وسمعت شعر البعض اهل الريف يدل على انه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد كلاما ما كنا شبه الحديد
ابو شادوف عنه خبرونا بقول حق جانا بالوكيد
بتل فندروك وفيه تربى وعاش يا قوم وانشا القصيد
وذا قولي وعقد اسمي وكم من نظم اجيبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد في كفر شمرطاطي وتربى في تل فندروك
(واما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدا وقال آخر كانت معتدلة
في الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان في ابتدا عمره في سعادة
كامله ونعمة وافره كاسيأتي كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها بدهن الفراخ
والزيت الحار والتمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه

الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من اكل الطبوع والصبيان ونحو ذلك اى انها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر (ذقن طالت فأفسدت عند ما ضر طولها) (قصروها فاصلحت * عند ما قلطوا لها) * وقيل من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل) طويل الذقن قليل العقل كما اتفق ان بعضهم كان له صاحب طويل اللحية يؤدب الاطفال ففقده اياما فسال عنه فقيل هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه انه مات له ولد او احد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح فقال له عظم الله اجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له اتظن انه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة ردى على فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه من احسن الناس واجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها اياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول (اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار) فقلت لولا ان ام عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلنى الحزن واعترانى الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم فى يوم شديد البرد فراى رجلا صغير الراس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما ابيض من الصوف مطوى فقال له لاى شيء لا تضع هذا الحرام عليك يقيك الم البرد فقال اخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حزنه وتزول نجده قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى واجود اللحا ما كانت معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا او شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا * قلنا الجواب ان الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث ايات منها طول لحيته وانها كانت خضرة اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط اويقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو فى حكم مسلوب العقل لادعائه الالوهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) احذر الناس واشطنهم الاجاردة فينبغى لمن صاحبهم ان يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من اشطن الناس واحذرهم قال

الاجرود قال اريد ان تطلعني على حقيقه ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقه ثلاثة اذرع وتأمر الناس يحضروا للأكل فاذا احضروا وجلسوا تامرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان الرجل منهم لا يمسك الملعقه الا من طرفها وياكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا امرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان لا احد يتجاوز بالمسك طرف الملعقه كما مرّ قال فارادوا الاكل فلم يقدروا واراداوا القيام فمنعهم الملك وامرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد ان يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا في امرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل اجرود فقال لهم ما بالكم لا تاكلون من الطعام فاخبروه بالقضيه فقال هذا امر سهل انا ادلكم على حيلة تاكلون بها ولا تخالفوا امر الملك كل رجل منكم يطعم الذي قباله وجهه وكذلك الاخر بملعقته يطعم من اطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والاخر يفعل مع الاخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وامر له بصلة واخلع على الوزير * ووقف رجل اجرود بين يدي بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك اني متعجب من شكواك يعني انك اجرود ولا يغلبك احد فقال العفو يا ملك ان كان في وجهي بعض شعرات فان خصمي جلس املس لا شعر في وجهه قال فضحك الملك وانصفه من خصمه وامر له بصلة (واما سبب سعادته في ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى اقوال احدها انه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان في قوم وبينهم معرفه في رعي الغنم والنطي في الغيط والمشي في الرحا فيا عريانا وكان يشيل الحله الخضرا على راسه من الغيط الى داره في اسرع زمن حتى ان الرطوبه التي تتخلله منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجل او بقره وهو سارح الى الغيط او مروح فيعكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافه الفشروية لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكوره حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الداره والطيله والزماره والعياط والغاره وضرب الكلاب بالسيام والهباب حتى انه من دون رفاقته صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر القريتين شعر

ابو شادوف من يومه مجمص شبه الجرو يتنطط بقوة
ويسرح غيط ابويعرع ويجمع من الحله الطريه في القروه
وهو عريان وشايل فوق راسه ووجهه صار كيف وجه البعوه

وماقد سال من الجله الطريه — يسيل عليه وماعنده مروه
ويقعد شهو ما يغسل لوشو — ولا شهرين وجسمه فيه قوه
ويسرح للضحى في الجرن يكنس — ويطرد مثل كلبتنا امجروه
ويازينوا ابوشادوف لما — يجي الجاموس يقطع وسط ربوه
وينزل ينقرد فيها وداهم — ويتنطط كما عفريت خلوه
ابوشادوف من صغره مدلل — تربا عندنا كلب من جروه
ابوشادوف عطاه الله نعمه — لبس لبده وعنده اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد — حدا الصرف وراسه جنب حدوه
يقول سيدي يقول له يامعرص — تحط المال او نخليك دعوه
وهو من مثل ابوشادوف يقبض — وابوه وعمته بنت ام فسيه
ونختم قولنا بمديح محمد — رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه يا ربنا صل وسلم — واصحابه الكرام اهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه وعلى قوته وشطارته وشده معرفته في نقرة الطبله وصوت الزماره وكان ابوه قد ملك في حال حياته حمارا اعرج وعنزتين وحصه في نورا الساقيه ونصف بقره وعشرة فرخات وديكهم واربع كيلات نخال من شعير وملك نحو اربعمايه قرص جله وسطموده يحرزن فيها الزبل ايام الشتا وكان عنده قله مكسوره وزير اثلم وجرواته يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت الكمالات والسعاده توفي الى رحمة الله تعالى كما في الغالب ان الفقير يوم يسعد يموت * وما احسن ماقال الشاعر

اذا تم شيء بدا نقصه — ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابوشادوف في رداء من محر الكتان ودفنه في تربة تعرف بتربة ابن جاروف شط بكفر شمرطاطي وقيل بتل قندروك وقد يجمع بين القولين فيقال مات بكفر شمرطاطي ودفن في تل قندروك وقبره الان يعرف بقبر ابو جاروف يزوره الفلاحون ويلعبون بجانبه الكوره وربما تبول وتزبل عليه بعض البهايم في بعض الاوقات * وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال

الا كونوا اسعفوني يا جماعه — وابكوا يا مشاه في كل ساعه
ابوجاروف ولى اليوم عنا — وخلى العنز والبقره بشاعه
وخلى بنته ... — عليه اليوم تبكي وسط قاعه
وابوشادوف يعيط وسط راسه — ابويا مات وعدنا في مشاعه
وراح من كان شيخ الكفر بينكم — على الجلعان ودولك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره — على كلبه ويدلع دلاعه

ويلبس لبدته من فوق راسه ودقنه بارده فيها سقاعه
وحوله جرو بن خراى فلحس واهل الكفر ماسهم نجاعه
تقول ريس على جوف المغانى او الكابوص جا يشفع سفاعه
وحسد راح رب ارحم عصامه وبشبش طوبته فى كل ساعه
وابوشادوف باالله ابقى سنابه ويصبح شيخنا صاحب فقاعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحوله جماعه فى جماعه فى جماعه
ويتمنطز ويسرح فى السهارى ويتعمص ويقعد فى السراعه
ونختم قولنا والدايم الله ودا الكاس حتى مافيه اندفاعه
ويا شاطر ويا شاعر طول عمرى والضم لضم بيتلمع لماعه
جعلته فيه بحزن من يشوقه وودعته بقولى اليوم وداعه
وضال على الزين اصلى طول عمرى بنبى الله واطلب لى الشفاعه
وابوشادوف انا لا احد غيرى وضربة دم تكثر دى الجماعه

قال ولما فرغ العزا وراق الزمان واخذ واخاطر ابوشادوف والمشايخ والجدعان ونصدق على والده بالفطير المعمول بالنخالة والشعير ولطخ قبره بالوحل والجله وعمل بجانبه مدود للعجله سحب النوت ونمشي كالنعوت وامتشيخ على الكفر واطاعه زيد وعمرو وجلس على ركبه ونصف وربط وعبط واتشطط وغنا وقال وافتخر بهذا المقال وانشد وجعل يقول شعر

ابوشادوف عمرى يا سلامه اقول القول ويا صاحب فهامه
ولولا ان ابويه فى ترابه انا فى الكفر شيخ بلا ملامه
واحكم على المشاه واسرح وروح واخوض البحر الى حد الحزامه
واشد على الحمار اركب وحولى جماعه شبه شمعه فى ضلامه
ابوعنطوزه وابو يزبوز وعقلق ودم الحس قفاك وابو عمامه
وانا ما عادى بقى اليوم واحد وضال الى يخعص فى شهامه
والحن قرن من خالف كلامى بنبوتى واكسر به عضامه
ابويه كان قبلى شيخ عليكم فخلونى وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بمديح محمد واصحابه الملاح اهل الكرامه

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التى حصلت له بعد وفاة ابيه على التركه فاغروا عليه الحكام فارسلوا اليه وعاضوه فى جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا مطموره الزبل التى ادخرها وهى التى كانت سببا لسعادته بعد موت ابوه على ما قيل ثم صار يدارى الناس ويتملق لهذا بالكلام الى ان تناست القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطموره ليلا

وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف
فضه فاخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزياده
عن ثمنه فكان هذا سببا لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل
والبيض فلا تعارض في ذلك وكان يعطي ويتكرم فقصدته الشعرا والادبا
من اطراف الكفور حتى انه اجاز شاعرا بخمسين بيضه وكيلة شعير واعطى اخر
مايه قرص حلبه وجاه اخر بغراره فملاها له بلا من اولها الى اخرها ودفعها له
وكان قد اقبل عليه الرزق زياده عن والده فكان عنده زتين وعشرين فرخه
بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت اعوج ولبده وخلقه زرقه وقفه
سلائه نخال وعشرة حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحاله
يبارك له المولى في الرزق فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) ان بعض
الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا
فلان امض الى محل كذا خذ منه الف دينار فقال ابها بركة قال لا قال اذهب
عني فاتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلاني وخذ منه خمسماية دينار
فقال ابها بركة قال لا فقال اذهب عني ولم يزل ياتيه مرة بعد اخرى حتى قال
له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال افيه بركة قال نعم فقال
اذا اخذه فذهب واخذ الدينار وبورك له فيه وصار في نعمة وسعاده
فابدع فالشيخ اذ اقنع شبع وبورك له في قليله قال الولي الصالح العارف بالله
تعالى سيدي يحيى البهلول رضي الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين امين
(استقنع بقليلك * ياتيك الله بكثيره) وقال (كم عارض بعد رشاشه ينهل من المزن)
(انا بالى غنيا سي * ايش على مني) اقلق من رزقي لاش * والخالق يرزقني)
وقال رضي الله عنه (يا ابن ادم قل طمعك * دا السعاده وعد سيدك)
(لا تقل دايا لسطاره * او تحصلها بايدك) (لو تكن تبع زمانك * غير رزقك ما يجي لك)
(ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشي قبالك * (من له في الغيب شي * لم يتحتى يناله)
وقال الامام الشافعي رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة مثواه (وجدت القناعة كنز الغنى
* فصرت باذيالها متمسك) (فلا ذا يراني على بابه * ولا ذا يراني عليه منهمك)
(وصرت غنيا بلا درهم * امر على الناس كاني ملك) حتى مال عليه الزمان
وجفته الاهل والخلان ونفذ جميع ما كان معه من المال وصار في اكبر الهم واشد
الاحوال ولم يجد له خلا ولا مساعدا ولا صديق ولا صاحبا ولا رفيق كما هو
عادة الدهر في رفع الاسافل وخفض السادة الاماثل فهو كالميزان في فعله
او المنخل في حاله ونقله كما قال الشاعر

رايت الدهر يرفع كل وغد ويخفض كل ذي شيم شريفه

كمثل البحر يغرق كل حي * ولا ينفك يعلى كل جيفه
وقال آخر (الدهر كالمنخل في فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل)
(يحط اللب من تحته * وترفع القشرة والفشول)
(فحوادث الدهر تأتي على غرر ويذهب الشخص على خطر) * وقد قلت في مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تأتي على خطر   فاحذر عواقبها تنجو من الضرر
واعدد لها من دروع الدهر سابغة   تقيك شدتها اذ ترم بالشرر
كانت لياليها اللذات مثمرة   قطفت منها ثمار العز في الصغر

الى اخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى الرب الجليل ومن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان ما حكي ان بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقله الذي انفرد في زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك في بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقا والمحبون ولم يأته احد الى نصف النهار فتبين للملك ان الكلام عليه باطل فامر بقتل الذي وشى به واعاد ابن مقله الى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلما راى اخوانه ان نعمته عادت اليه عادوا الى بهجته واقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك انشد يقول (تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا) (عاداني الدهر نصف يوم * فانكشف الناس وبانوا) (يا ايها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان) قيل مكث بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات (ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة) ما اتفق ان رجلا كتب رقعة والقاها اليه بحضرة الملك ليقراها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقله لا يقدر ان ينطق بهذا الحرف (وصورتها) امر امير الامراء ان يحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما ان تاملها غير الالفاظ واتى بالمعنى * وقال حكم حاكم الحكام ان يجعل جب على شاطئ الوادي * ليستقي منه الغادي والبادي * وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى (وقيل) اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت في الفصاحه ولقمان في الحكمة وابن ادهم في الزهد وابن مقلة في حسن الكتابة والخط قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة   وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس   ينادى عليه لا يباع بدرهم

وأما ضد هذه الاربعة فلله در من قال فيها *

سماحة اطروش وثقل ابن قينة　　وغفلة قريان وعكس ابن ايهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء موسر　　لكان فصيح القوم عند التكلم

ومما دهمه حادث الدهر وعلاه الهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا * وبعد الغنى فقيرا ما اتفق ان رجلا ركبته الديون فترك عيا له وخرج هائما على وجهه الى ان اقبل على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وآلمه السفر فمر في بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلا فدخل معهم الى ان انتهوا الى محل يشبه محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى ان انتهوا الى رجل جالس في هيئة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كانه من ابناء الوزراء فلما رآهم قام اليهم واكرمهم فاخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رأى من البنيان والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو في حيرة وكربه وخايف على نفسه حتى جلس في محل بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه احد فبينما هو جالس اذ اقبل عليه رجل ومعه اربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها انواع الحرير والديباج وفي اعناقها اطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها في محل معد له ثم غاب واتى باربعة اصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحن على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد ان يتقدم الى كلب ليأكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب فعرف حاله فامتنع عن الاكل واشار اليه فتقدم فاشار اليه ثانيا ان كل من هذا الصحن وتأخر الكلب فاكل الرجل حتى اكتفى واراد ان يذهب فاشار اليه الكلب ان خذ الصحن بقية ما فيه من الطعام والقاه له وستره بكمه ووقف ساعة فلم يأت احد يسأل عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن واخذ بثمنه بضايع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار في نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد ان تسافر الى مدينة صاحب هذا الصحن وتأخذ له هدية سنية تكافئه بها وتدفع له ثمنه وان كان انعم به عليك كلب من كلابه فاخذ هدية تليق بمقام الرجل واخذ معه ثمن الصحن وسافر ايا ما وليالي حتى اقبل على المدينة وطلع اليها يريد الاجتماع به فاقبل على محله فلم ير الا طللا باليا وغرابا ناعيا ودارا قد اقفرت واحوالا قد تغيرت وبالا للقلوب قد ارجف ومحلا تركه الدهر قاعا صفصف كما قال بعضهم

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني　　سحيرا وصحبي بالديار رقود *
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى　　ارى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ما صنع الدهر بها علانية اعترته الحيرة

عن يقين والتفت فرأى رجلا مسكين في حالة تقشعر منها الجلود ودوية
يحن اليها الجلمود فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان
واين بدوره السافره ونجومه الزاهره وما هذا الحادث الذي حدث على بنيانه وما
الامر الذي لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتأوه من قلب حزين
اما في كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه حق على الله ان لا يرفع شيأ في هذه الدار
الا وضعه وان كان سؤالك عن امر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجب انا
صاحب هذا المكان ومنشيه وساكنه وبانيه وصاحب بدوره السافره واحواله
الفاخره وتحفه الزاهيه وجواريه الباهية ولكن الزمان قد مال فاذهب الخدم
والمال وصيرني في هذه الحالة الراهنه ودهمني بحوادث كانت عنه كامنه وسؤالك
هذا عن امر وسبب فاخبرني عنه واترك العجب قال فاخبره بالقصه وهو في تألم
وغصه وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذي اخذته
من الذهب فانه كان سبب لغناي بعد الفقر ولزوال ما كان عندي من الهم
والحصر قال فهز الرجل رأسه وبكى وآن واشتكى وقال يا هذا اظنك مجنون
فان هذا امر لا يكون كلب من كلابنا يتكرم عليك بصحن من الذهب فارجع فيه
ولو كنت في اشد الهم والوصب والله لا يأتي منك شئ يساوي قلامه فامض
من حيث جئت بالسلامه قال فقبل الرجل اقدامه ويديه وانصرف راجعا
يثني بالمديح عليه ثم انه عند فراقه ووداعه انشد هذا البيت الذي يلتذ بسماعه
فقال (ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام)
وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالي بسهام الهموم
من قسي المصائب فاصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر النجوم
ويساور الهموم يبكي على فراق الاحبة الدموع ويرجو عود الدهر وهيهات
الرجوع (شعر)

فليت شعري والدنيا مفرقة ... بين الرفاق وايام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد آنسة ... وهل تعود لنا ايامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به ... لكنت بادرت شكرا صاحب النعم
واعلم بانك ان لم تصطبر كرما ... صبرت قهرا على ما خط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من منطوق حوادث دهره
والمفهوم وهو الذي كان سببا لانشاء هذا القصيد وشكواه هذا الامر الوافر
المديد فقال * *
ص (يقول ابو شادوف من عظم ما شكى ... من القل جسمه ما يصال نحيف

ش (هذا الكلام له بحر وقد وتقاطيع ومد فبحره الطويل المديد الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متهابل ومن قاسه ببحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط قال هو من معنى الخلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسله قال هو من معنى هلهله هاهله ومن شابهه ببقية البحور قال في تمثيله انتحارا ونور واما قده المعهود فعلى وزن بروه تخلى الماصغين جلود واما تقاطيعه المذكوره فهي هي الكلمات المنثوره

يقول ابو شادوف من عظم ما شكى بتول

عليها في الضحى مع غرو بها ومجموع هذا الكلام

من هذا النظام (بتول عليها في الضحى مع غروبها) فاذا عرفت القد والبحر والتقاطيع فلنشرع لك الان في شرح الكلام على حسب التواقيع او على نمط الفراقيع * فنقول (قوله يقول) اى يريد ان ينشئ قولا في الخارج فيه شرح حاله وعلى ما نابه من حوادث الزمان وما اصابه من دواعي الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقاقات فمصدره قال يقول قولا ومقالة وربما يزاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلولة او من القلل او من الاقوال او من قالوا اوقلنا وانما ذكرت هذه المصادر لفشروية وهذه الاشتقاقات الهبالية لابني عليه ما ساذكره لك مما اتفق لي مع بعض من يدعي العلم وهو جاهل وما ذاك الا انى لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة اربعة وسبعين والف وبلغت بندر القصير انتظر السفن للسفر فجلست اياما في زاوية على البحر المالح اعظ الناس فبينما انا ذات يوم في هذا المكان اقرا فيه وابين للناس الكلام ومعناه وانا في هيئة تشين النظر وفي اهبة ذهاب وسفر وهبالة وهبال وهلفطة ومقال اذ اقبل على بلا محاله رجل يشبه دائرة الهلاله طويل هبيل فشط ثقيل له عمة كالهيولى في العظم وطيلسان نسج من صوف الغنم ثم جلس يريد الصدر ونظر الى شذر فظهر لي منه الشر والجدال ومنتظر مني متى قلت قال وكان الامر كما ذكرت وما اليه بهذا المعنى اشرت فابتدأت في الكلام وقلت قال النبي عليه السلام فعند ذلك قال لي بلفظ كثيف ما معنى قال في التصريف فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله وعلمت انه خالي من العلوم وجاهل بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال يتصرف منه اسما وافعال وهي قال يقول قولا وقلة وقيلوله ومقالة على الكمال وان اردت جعلت لك بيقين تصريف هذه الستة ستا وثلاثين فقال لي وهذا التصريف في اى متن من المتون فقلت له في ديوان ابن سودون فركن الى قولي على جهل منه وعمى فعرفت انه لا يدري الاسم ولا المسمى ثم انقاد الى بعد الدعوى والهبيس

انقياد الغنم للتيس وامتثل الامر في رواحه ومقيله حتى مضى الى حال سبيله

(فان قيل) لاى شئ خلطت على هذا السائل في هذه القصة والانشاد فانك وسعت عليه في هذه الامور المبالبات كنت تقتصر على ما قالوه في كتب التصريف ولا تخرج في الكلام حرف قلنا الجواب نعم كان ينبغي هذا الكلام ولكن مع من يدرى العلم واما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله من دش الكلام والتحريف فيما يليق بذلك المقام فكان ما سبق من الجواب وحاله مناسب لسؤاله وهياله فاتضح الاشكال عن وجه هذا المبال *

(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الناظم ابتدا كلامه بصيغة المضارع ولم يات بصيغة الماضي كما قال صاحب العينية النحوي رحمه الله (قال محمد هو ابن مالك الخ) الجواب المشهور ان هذا الفعل الماضي الذى هو قال يتولد منه المضارع وهو يقول ويقول يأتي منه قولا كما سبق في تاصيل الافعال والاسما فاكتفى بالفرع عن الاصل او انه اراد تعداد الامور التي حصلت له من تغير الزمان وانقلابه ولم يكن اخبر عنها سابقا بلفظ الماضي فاراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذى هو يقول وان كان في معنى الماضي صورة وفي معنى المضارع حقيقة قال الشاعر

* فقال هو الماضي يقول مضارع * وان كان ذا الماضي له في الحقيقة *

* وقال ابو الطيب المتنبي عفا الله عنه *

* اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم *

اى اذا نوى شيا مستقبلا امضى فعله قبل ان يدخل عليه ما يجزمه اى يمنعه عنه ويسكنه عن الحركة عن فعله انتهى وايضا لو اتى بالماضي لاختل الوزن وان كان المعنى باقيا على حاله فاتحد الجواب وبان الصواب وقوله (ابو شادوف) هذه كنيته ودخلت عليه فصارت علما كما قالوا في معدى كرب وبعلبك وبرق نحره ونحو ذلك واما اسمه الحقيقي عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه ان امه لما ولدته القته في مدود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمى بذلك ثم ما حتى اشتهر بهذه الكنية *

وسبب اشتهاره بها اقوال احدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم صار يتعب نفسه لسقي الزرع بالالة التي يعملوها اهل الريف تسمى ابو شادوف وصورة فعلها انهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلقوا فيها ايضا خشبة بالعرض حكم قصبة الميزان ويضعوا في طرفها الذى من جهة البر شيا ثقيلا والذى من جهة البحر الدلو او القطوة التي ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو او القطوة في البحر ويغرف الماء ثم يترك فيثقل طرفها الثاني ويصعد الدلو او القطوة فيفرغ في النقرة مع مساعدة

الرجل له ويجري الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة ويسمو
مجموع الالة والناطورين ابو شادوف وهو مشتق من الشدف وهو الغرف
قال في القاموس الازرق والناموس الابلق شدف بمعنى يشدف شدفا
بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر *

اذا ما رأيت الماء فاشدف براحة   فذلك للظمآن اهني واطيب

فالناظر لما لازم هذه الالة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمي باسمها
من باب تسمية الحال باسم المحل * وقيل ان امه ولدته عند ابو شادوف
فسمي باسمه لكن يرده ما تقدم من ان اسمه الاصلي عجيل وقد يجمع بين الاقوال
فيقال ان امه لما ولدته عند ابو شادوف اخذته ووضعته في المدود وجسمه
العجل على ما تقدم فسمي عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل
سمي بذلك لكثرة غرفه الماء بهذه الالة فصار كل من سال عنه يقال له عند الشدف
اي الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا شادوف ولكثرة تكرارها
جعلوها حكم الولد والنواطر مثل الاب له وقالوا ابو شادوف ووضعوها
على ذات الناظم لكثرة مجاورته لتلك الالة وعرفوه بها فصارت علما يخاطب بها
كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الدلو والقطوة لا يفارق الخشبة
التي هي في حكم قصبة الميزان وهل هي حكم الاب له كما سبق من ان النواطير
في حكم مقام الاب للشادوف وان الدلو والقطوة انما لازم هذه الخشبة بالضرورة
لما ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاور لها في وقت الحاجة لا غير (الجواب)
ان الخشبه لا تستغني عن الدلو والقطوه وهما لا يستغنيان عنها فكان كلا منهما
في حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة في حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو والقطوة
مرتبط بالخشبة فانتجه المقال عن وجه هذا الهبال (فائدة) الاب مشتق من آب
اذا رجع قال ابن زريق رحمه الله في قصيدة له

ما آب من سفر الا وازعجه   رأى الى سفر بالعزم يزمعه

اي ما رجع من سفر الا وازعجه رأي الى سفر ثان وكذلك الاب لانه في كل ساعة
يرجع الى ولده ويتفقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما ان الاخ مشتق
من الاخوة قال الشاعر *

ابو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * واخو المرء ايضا قد اتى من اخوة

ومصدره آب يؤوب اوبا فهو آيب وقال ابن سودون ان ابو هذا فعل ماض
ناقص واصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان ابداه قلت ابو

اي ابوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد [illegible]

اللائق بهذا عند الأدباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثانى حذف السين لانها فى الجمل بستين والستين فى البوس اسراف عند البعض هذا كلام المصرح به فى ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذى نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه لا يشتفى فؤاده بستين قبلة ولا بماية خصوصًا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات حسن الصفات مطيعًا للعاشق مصافيا مصادق وانطبع بقده المأنوس وانضم لعاشقه انضمام العروس وتملى المحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشى والرقيب هنالك لا يحصر البوس بعد ولا يكون له غاية ولا حد قال الشاعر

سالت بدر التم فى قبلة * اجاب ان توفى ومنشى الشبا
لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت فى العد وضاع الحساب

وقلت فى المعنى

رايت له شرطا على الخد قد حوى جمالا وقد زان الملاحة بالقرط
فقلت مرادى اللثم قال بخلوة فقبلته القا على ذلك الشرط

اللهم الا ان يكون المحل غير قابل للمحب والحبيب بان يكون ثم خوف من واشى او رقيب فيكون الضم فى تلك الحالة والتقبيل بحسب امن العاشق فى الكثرة والتقليل ومنهم من لا يعتريه فى ذلك وهم ولا الباس ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس ولو تفرمنه وفر ربما مال نحوه ومر قال الشاعر

لو تراني وحبيبي عند ما فر مثل الظبى من بين يدى
وغدا يعدو واغدو خلفه وترانا قد طوينا الارض طى
قال ما ترجع عنى قلت لا قال ما تطلب منى قلت شى
فناى عنى وولى خجلا وانثنى بالتيه عنى الحى
كدت بين الناس ان اثمه آه لو افعل ما كان على

ومن اللطائف ان ابا نواس مر يوما فى شوارع بغداد فراى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضى يحيى بن اكثم وادعى عليه بما وقع قال فاطرق القاضى ساعة وانشد يقول

اذا كنت للتجليس والبوس مانعا فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا ترخى الاهداب من فوق طرة ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا وتترك قاضى المسلمين معذبا

قال فاطرق الغلام ساعة وانشد يقول

وكنا اذا نرجوك للعدل بيننا فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ما شكى) اى من عظم امر بل من امور يشكو منها وصرح بشكواه راجيا بان الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من ايام النعيم التى كان فيها فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر

ولرب ليل فى الهموم كدمل ✱ عالجته حتى ظفرت بفجره

ولقد تمر النائبات على الفتى ✱ وتزول حتى لا تجول بفكره

والشكوى على اقسام شكوى لله وهى محموده وشكوى للمخلوق وهى مذمومه اللهم الا ان يكون فى حال شكواه معتمدا على الله متكلا عليه مستعينا فى دفع ما نابه من الشدايد فلا باس بذلك واذا اصبر واحتسب كان اولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله به

✱ اذا ضاقت بك الاحوا ✱ ل فكر فى الم نشرح ✱

✱ فعسر بين يسرين ✱ اذا املته تفرح ✱

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التى توارد فيها عليه مبتديا باعظمها واهمها فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام اى ان اهم شكواى واعظمها اولا من القل وهى قلة المأكول والمشرب حذفت تاء الكلمة لضرورة النظم وايضا عدم الميسرة فى الملبس وشدة التعب فى كد المعيشة (وفى الحديث) كاد الفقر ان يكون كفرا اى قارب ان توقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضا بالقضا وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى شعر

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة ✱ وقعت بها فى حيرة وشتات

✱ فان بحت بالشكوى هتكت سريرتى ✱ وان لم ابح بالفقر خفت مماتى

وقيل وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهى العدل ان دام عمر ✱ والظلم ان دام دمر ✱ والاعمى ميت وان لم يقبر ✱ والفقر هو الموت الاحمر ✱ وهى الكلمة التى يعايربها اهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل وربما زادوا عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعرة اى فى حالة كد وتعب وارتكاب امور شنيعة واحوال منكرة وهى من الفاظ اهل الريف قال بعض شعرائهم ✱ (ابو جاموس صبح حالوا ✱ يبكى الناس وهو شهده) ✱ (يجرى ما يلقا شى ✱ وفى قلة وفى عرة) ✱ والقل على وزن الغل والظل مشتق من القلقلة او من القلة بضم القاف او القولق وعرة بفتح العين المهملة وجزم الهاء فى اخرها على وزن زبره فخذ زبره وربتها على عرة لا تختلفا ابدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عرة اى مرتكب

هذه الأمور واما بالثاء المثلثه فهي واحدة العثرات وهي اللغه الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذا الحالة عثراته كثيره فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل في كلام العرب (وهو ما حكي) ان رجلا حضريا اضافه رجل بدوى فاخرج له صحنا من الطعام وشيا يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما اخذ لقمة يقول الحضرى قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية حتى استحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوى من منزله فراى صاحبه الحضرى فاخذه واجلسه في داره واخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم وقال له كل يا حضرى وسف سا في القلة بركه اى ما في قلة الطعام مع الشح بركه ودعك تسمى الله او تترك التسميه وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت ذنوبك في البرايا * وسرك ان يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفي الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئله هباليه) ما الحكمة في اشتقاق القل من القولق او من القلا او من القلقله وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب القشوى) ان القولق اسم لشئ من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط في الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوه وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشه وعدم اليسره فناسب المعنى في ذلك واما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما لحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركه حكم وجود الماء وعدمه او ان المناسبه في ذلك لضيقها في حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خروم ضيقه وانها اذا وضعت في الماء تبقبقت وصارت حكم الذى يشكوا الى الماء * قال الشاعر

* مايبقبق الكوز الا من تألمه * يشكوا الى الماء ما قاسى من النار *

فكان في ذلك مشقه وشىء من التعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثاني انه من القلقله فهو كذلك من قلقلة الامور اى سعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

قلقل ركابك في الفلا * ودع الغوانى في القصور
القاطنين بارضهم * عندى كسكان القبور

اى حرك ركابك في الفلا وهو الفضا المتسع والمعنى سر شرقا ومغربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك

المودع الغواني جمع غانية وهي ذات الجمال اي اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها واتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على المراد واحسن حال وان كان لا يفيدك من السعي السفر الا اليسير فهو اولى من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

(وفي بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدي خلقتك من حركة تحرك رزقك (وفي المثل) الحركة فيها بركة * وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

تغرب عن الاوطان في طلب العلا * وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد
فموت الفتى خير من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق (وقوله) جسمه الضمير راجع للناظر اي جسمه وهو ذاته مشتق من التجسم او من المجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى ومن جسم العاشق اذا غاب عنه الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيب (وقوله) ما ينفك كلمة ريفيه ومعناها ما يزال كما تقدم في الجزء الاول اي لم يزل جسمه من الهم والتعب وعدم المال يسد (نحيف) على وزن رغيف واصله نحيفا بالالف المقصوره وحذفت لضرورة النظم والمعنى ان جسمه ضعف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل الاذى والكد في تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا ايظهر ان اصحاب المال والرفاهية في الغالب ان اجسامهم في نضارة وملاحة وطلاوة من حسن الماكل والمشارب ونظافة الملابس ورقتها فلا يرون بذلك الهم تأثيرا * وقال الامام الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه * قل همه * وفي الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع ما دام صاحبه يتعهده بالسقي والاصلاح وتنظيف الغلة عنه دام في نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اعترته الآفات وتغيرت عليه الاحوال * واما رقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح في النساء والرجال ويقال لصاحبه اهيف قال الشاعر

* * * *

(واهيفان لعبا * بالنرد انثى وذكر) (قالت انا قمريه * قلت اسكتي انتِ قمر)

وأبلغ من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد ... لما احس لها من وطئها المَا

خفيفة الروح لو رامت تخفيها ... رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسئلة هبالية) لاي شيء قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب في المعنى وافصح في العباره وقد ورد في القران العظيم في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروي) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التي على وزنها وهي قطيم والقطيم بلغة الريافه هو صاحب الابنه وبلغة اخرى وهو الخالي من الزواج فلو فرض انه اتى بها في النظم لربما يسوء انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر او يقال انه داعي في ذلك قوافي الشعر فلا اشكال فاتضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بلية ابتلي بها ايضا نشأت من الفقر والعترة وعدم ما في اليد كما تقدم فقال

ص (انا القمل والصئبان من طوق جبتي * شبه النخال يجري فوق جيفي)

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف اخبركم ايضا معاشر الاصحاب واشكو اليكم وهو ان القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد في القران العظيم فانه نوع من السوس والقراد كما ذكره بعضهم (فائدة) ذكر الدميري في حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن وساخ الجسد واشتقاقه من التقمل او من تقميل الغزل اذا صبغ ويبس ووضع في شدة حرارة الشمس فيبيس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل قملا وهو اسم جنس الانثى منه قملة واما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر

* * * *

وما قامل في الثوب الاداليه * يدب دبيب العقربان اذا مشا

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

ارب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى القيا في جهنم وخطابا للمالك خازن النار القيا في جهنم وقول الحجاج يا غلام اضربا عنقه واما قوله في البيت الاول يدب دبيب العقربان اي لانهم شبهوا القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا انها تلدغ والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث تشبه الفيل فلاي شيء لم تكبر مثلها ولكنها

كلدغة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله
(الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشؤه من جسد الانسان
وانه لايفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهي مص الدم الفاسد
وان كان يحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله تعالى ان يكون
صغيرا ولدغته قليلة الألم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم ان يكون
الادمي قدر الجمل ويكون دائما في خوف من رؤيتها وتعذيب من لدغها
والله تعالى كرم بني ادم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن
مخارس الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان
قدر الفيل للزم ان يكون الادمي مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث
والانثى منه برغوثة وهو مشتق من البر والغوث * قال الجلال
السيوطي رحمه الله تعالى شعر

لاتكره البرغوث ان اسمه * بر وغوث لابه تدري
فبره مص دم فاسد * والغوث ايقاظك للفجر

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة في ان
البرغوث ينط والقملة لاتقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت
من العروق ورواشح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها انثى
والانثى عاجزة عن الذكر واما البرغوث لما كان منشؤه من التراب
كانت طينته قوية ولهذا تشبه بالفيل وهو اعظم الحيوانات ذاتا فكانت
القوة ناشئة فيه فصار ينط فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم
ان اذى البرغوث اقوى من اذى القمل قال الشاعر

اشكو اليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسات من الغصص
اصيد هذا يجي هذا يقال لمسني * فتنقضي ليلتي في الصيد والقنص

وما احسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمتني * حسبن دمي خمرا فطاب لها الخمر
فيرقص برغوث ويزمر بعوضة * وبقهم يسكت ليسمعه الزمر

وافادني بعض اخواننا الحشاشين ادام الله باكل الحشيش انسهم واسعد
بدخول الارطال عند النوم حسهم ان الشخص اذا استعمل ما تيسر من
الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام فلا يستحس باذا البراغيث
ولاغيرها خصوصا اذا استعمل الحلوى بعد اكله فانه يفعل افعالا غريبة
ويظهر مظاهر عجيبة ولايضره الا الاكل الحامض كما قال بعضهم متضمنا
كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه *

امنطا

امنسطل بالزبيبة من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
نصحتك ان اصبحت في سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من اخي عفا الله عنها لغزا في البرغوث ولم افهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحا وهو هذا يا شي من شي احمر حمير ورق الجمير جر واورد خمسة مسكوه اثنين وتفسيره يا شيء ياحرف نداء اي يا رجل فسر لنا اسما يخرج من شيء مبهم وهو احمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير احمر بمعنى شديد الحمرة ورق الجمير اي كورق الجمير في لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتف جر واورد ه خمسه وهي الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين جميع وجمع الاجناس المصحفة انتهى (ومما يمنع اذى البراغيث) البخور بقشر الرادنج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزيبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق في العنق فعل ذلك (واما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقرا ان صاحب الشقيقة اذا اخذ قملة من راس سالم من الوجع ووضعها في باقلا مشويه وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقه برئت باذن الله تعالى وقوله (والصئبان) معطوفه على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لازمه وغالب كثرته في رؤس الاطفال لرقة اجسادهم فيعالج بالادهان والحنا المعتاده وتسريح الشعر ونحو ذلك وله اكلان في الجسد بسهوله فهو اشد ضررا من القمل لكونه اضعف منه والطف جسما واصله صئبتا بتقديم الموحده على الياء المثناة من تحت جمع صبي ثم انهم ارادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الادميين فقدموا اليا المثناه من تحت على الموحدة وقالوا صيئبا وهو مشتق من الصابون ليباضه او من المصيبه او من قاطر الصابوني ومصدر صبين يصبين صيبانا وسكت الناظم عن نوع اخر من اولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه ايضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النمة او النمام نوع من المشموم واما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل امر فكانه يامره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريري عفا الله عنه

(سم سمة تحمد اثارها * واشكر لمن اعطى ولو سمسمة)

وهذا يقرب من فن الاحاجي كقولهم طاجن وطاقية والياسمين وقول بعضهم

اني رأيت عجيبا في دياركم * شيخا وجارية في بطن عصفور
(واحمر الخدتاني * يعزى اليه الخضاب) * (بغير عين وناب * وفيه عين وناب)

ويطلق لفظ نمم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نمم او نفت

بضم الموحدة وسكون الهاء لانه ينطق بالفاظ تخالف الفاظ الكبير كما هو مشاهد
(واما لغته) قبل نطقه فقيل انها بالسريانيه واذا اشتهى الماء يقول انبوه
بضم الهمزه وسكون النون ورفع الموحده وجزم الهاء واذا مد يده لنجاسة
ينتا ولها يزجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمه واذا دنا لاحد شيئ يؤذيه يزجر ايضا
بلفظ اخ بالالف والخاء المهمله واذا احدث شيا اعجبه ولعب به يقال له او يقول هو
عليه دح بالدال والحاء المهملتين ويقال له او يقول هو على المأكول اذا فرغ منه
بح بالموحدة والحاء المهملة واذا ارادت امه ان تخوفه او تسكته عن الصياح
تقول له اسكت لا ياكلك البعبع بكسر الموحدتين او رفعهما وجزم العينين المهملتين
والبعبع مشتق من البعبعه وهي صوت الجمل وبين اح ودح وبح الجناس المتغير
الاول ويخاطب امه بلفظ ماما واباه بابا واخاه الصغير واوا ونحو ذلك وتغزل
بعضهم في صغير بيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال *

(يا من سلب للحشى والقلب والروح واواح * غيري تواصل وانا لي من وصالك بح)
انا اطعم البف والتمم وقوله بح * بعبع انا كخ بابنا وغيري دح

وقال ابن سودون رحمه الله في معنى ذلك

لموت امي ادى الاحزان تحنيني * فظالما حسنتي تحس تحنين
وطالما دلعتني حال تربيتي * حتى طلعت كما كانت تربيني
اقول تمم تجي بالاكل تطعمني * اقول انبوه تجي بالماء تسقيني

قوله تحنيني وتحنين فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثاني من التحنن والشفقة
كما لا يخفى ويقال عذار متمم اي يشبه نبته بدبيب النمم او نبات النمام وقد قلت
في تشبيهه بدبيب النمم شعر *

دب العذار على خديه خيل لي * بانه نمم يمشي على مهل *

وبعضهم زاد نوعا رابعا وسماه تحليس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن
تعبيص او تقيس مأخوذ من البعبصة وهي ادخال الاصبع في دبر الغير ولعس
من اللقاسه يقال لحس الكلب الاناء اي لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللحس
او يكون على قياس فطيس واللحاسة والنجاسه على وزن واحد يقال فلان لحس اي
مرتكب شيأ يشبه النجاسة او كثير الكلام بلا فائدة فتكون اللحاسة والنجاسه بمعنى
واحد قال في القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة
فيهما بلا شك فهذا اصوب ويقال انت تعيس لحس اي انت تشبه لحس الكلب للاناء
او انك تلحس الخرا بلسانك او تلحس بالكلام ولا تدري منطوقه من مفهومه والتعيس
من معنى ذلك ايضا فكلها الفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا التحليس
مزيد ضرر * قال في القاموس الازرق والناموس الابلق *

ولي من اذى اللحيس في الرأس كربة * ونملي واكل في الثياب وفي الجسد
ومصدره لحس يلحس لحيسًا فان قيل ان هذا اللحيس الذي زاده هذا البعض
شيئ تافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كثيرًا فالجواب
قلنا نعم وان سلمنا انه لا وجود له الا بعسر لدقته ففي الجملة له محض اذية وضرر
فصار من اتباع القمل بل من اولاده كالصئبان والنمنم كما تقدم او يكون هذا قياسا
على من زاد في اقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعنى به اسم الفعل وهو صه
بمعنى اسكت فاتضح الحال من وجه هذا الهبال وقوله (في طوق جبتي) اي
كائن اي مستقر في طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة
وجوق المغاني ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره كالحديد
والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيامة اي المال الذي كنزوه في الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه في
وجوه الخير يجعل في عنقهم كالطوق ويعذبون به في النار والطوق مشتق من
الطاقة او من الطواق لتدويرها او من خان ابو طاقية بمصر ومصدره طوق
تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم ضامن ايضا وهو
احسن الحلي عندهم * واما ما يوضع في اعناق الرجال في السجن فانه يسمى عندهم
ضامنة يقال فلان ضامنة اي بمعنى ان هذه الحالة الحديد التي في عنقه ضامنة
له لا يقدر ان ينفك عنها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه احضره
(وقوله) جبتي على وزن شختي ولحيتي هذا اذا نسبتها لنفسك واما اذا كانت
لغيرك فتقول جبتك على وزن شختك ولحيتك مثلا * واذا وصفتها وقلت
جبتك حمره فتكون بالتصحيف جنتك حمزه اي ناكك رجل يسمى حمزة والجبة واحدة
الجبب مشتقة من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها اي يقطعها ويفصلها يقال
جاب الفيافي بمعنى قطعها وقد قلت في المعنى شعر *
اجوب الفيافي طامعا في وصالها * واقطع ارضا لست منها بخابر
ومصدرها جاب يجب جبا وجبة * وهي على قسمين ريفية وحضرية فالريفية من
من صوف ثخين غليظ مشدودة محكم الثوب ويجعلون اكمامها متسعة
خصوصا شعرائهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم [illegible]
ركبتيه ونساؤهم على شكل الشعراء في وسع الاكمام وزيادة فان كم المرأة منهم يسع
الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثاني وربما جامع الرجل زوجته من كمها ولا
يحتاج لبعثة رفع الثوب كما وقع لي في ذلك فاني تزوجت منهم وكنت اجامع زوجتي
في بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام حتى في الثياب والاكمام
فهي امور لديهم محبوبة * والمناسبة مطلوبة (وفي المثل) اذا اقترد يسكر [illegible]

فقالوا اما للمدام الرايق الا لهذا الشاب العايق ورأوا جاموسة منقبة بكيب
فقالوا اما للصلية القصيفة الا النقاب الرفيع قال الشاعر

رايت مجذما فى قاع بئر * واخرا برصا يجرا عليه *
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه *

واما الحضريه وهو الذى يستعملها اهل المدن خصوصا العلما والظرفا وهى
من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها مخصوة الابا مفتوحة ويقال لها مفرجيه
بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدم الشخص وبان ما تحتها ويصنعون لها
السجاف الحرير وغيره حتى تصير اعجوبة للناظرين وبهجة للابسين فسبحان
من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قدما نوس وجعل نساهم زينة
للنفوس كما فى المثل الاساس يحسب بانيه وكل شئ يشبه قاينه فالانسان
ينشأ على الطبع الذى جبل عليه وشبيه الشئ منجذب اليه قلت فى المعنى

رايت بخده ماء ونارا * وذاك الورد منتثرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

ثم ان الناظم لما علم ان القمل والصيبان وغيرهما الكائن فى طوق جبته لا يمكن
حصره لكثرته اراد ان يشبهه بشئ يناسبه فى الكثرة واللون فقال (نشبه النخالة
وهى قشر البر والشعير الذى يعلو المنخل عند التخيل وسيأتى تعريفها واشتقاقها
وهذا التشبيه يعطى حكم المشبه به من وجهين الاول ان القمل ابيض والنخالة
كذلك الثانى انه اذا تراكم على بعضه البعض يرى فى العين كثيرا كما ترى النخالة
فكان تشبيهه بها هو المناسب وهى مشتقة من النخل او المنخل او النخال قال
فى القاموس الازرق والناموس الابلق

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير اقوى نفعا لانها اذا نقعت فى الما وسخنت بالنار وشربها
من يشتكى الصدر ابرأته باذن الله تعالى (وقوله) يجرفه اى القمل والصيبان
وتوابعهما المتقدم (جريف) اصله جرفا لانه مصدر فحذفت الفه وزيد فيه
اليا لاجل الضروره او انها لغة ريفيه فلا اعتراض وهو مشتق من الجرف او من
الجرفه او الجرافه فان قيل كان حق الناظم ان يرجع الضمير لاقرب مذكور وهى
النخاله وكان هذا هو الانسب قلت لعله عدل عن تانيث الضمير لضرورة النظم
اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن او يكون من باب الترخيم كقوله *

افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمعت صرمى فاجملى

او انه رجعه الى قشر البر والشعير المسمى بالنخاله فيكون على تقدير حذف المضاف
فلا اعتراض عليه فان قيل ايضا ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان

قد انحصر الى طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منها شيء واذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منها (قلنا) يمكن الجواب بان يقال ان قوله في طوق جبتي اي غالب القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة في الجوف ولا يلزم من هذه العبارة ان بقية جسده سالم منه بل اذا كان في طوق جبته بهذا المقدار فيكون شيء منه في الجسد من باب اولى لان الجسد محل معاشه وغذائه من مص دمه وشرب اوساخه وانما القمل من شانه ان يسرح اولا في الثياب ثم ينتشر على البدن يمص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد الى اعلا الثوب او الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهوا ويرتاح كما ان الادمي اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا ابدا كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاي شيء لم يتعرض الناظم الشكوى من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيا منها مع ان كلا منها اذية وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثيرا كما في المثل ان البقة تولد مية وتقول يا قلة الذرية فانه في الغالب لا يهوى الا بلاد المدن لعلو اماكنها وكثرة اخشابها وطليها بالجص والجير لانه يعيش بها ويتولد فيها وبلاد الارياف ليس فيها شيء من البنا العالي المكلف وان وجد في القرية فيكون دار الشادية او دار الملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما بيوتهم غالبها من الكرس والوحل ومنا كان فيها الجملة ايضا فلذا لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى اماكنهم (واما النمل) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف فانه لا يهوى الا المحل الذي فيه بعض الادهان كالسمن والزيت ويهوى الشيء الحلو كالعسل والسكر فياتي اليه ويشمه ويكون قوته الشم كما ذكره صاحب حيوة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقي الما كما قال الشاعر *

لا تجعلوني ككمون بمزرعة * ان فاته السقي اغنته المواعيد

والناظم لم ير النمل اثرا في بيته لقلة ما فيه من الحلوى والادهان بل لعدمها بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا في ثوب ولا موضع بل كان منقه عنه بهذا السبب (واما البعوض) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف لكنه ياتي ايام ويذهب بخلاف القمل والصئبان فان اذاهما دائم مستمر في الثياب وغيرها كما تقدم والشيء اذا كان يؤذي قليلا ويغيب كثيرا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببا لترك الشكوى من الجميع فاتضح الجواب (فائدة) اذا انقع الحنظل في ممعة الغزل بعد اشتوائه ورش بها في المحل هي بهادة قتلة البق ولم يبق منه شيء واذا طهر النمل في محل فيه البق اكله قال الشاعر * (اكل البق المني * حسبي ما حل بقى) * (رحمة النمل ساعدني * فاخلى ولا ابقى) * (واما النمل فيمنعه رائحة القطران) ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هيالهم) ما الحكمة في ان الشعراء اذا كلهم

قملة او قرصة برغوث او شئ مما يؤذى ليسرى ذلك الاذى فى سائر جسده
ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرية والقلب ونحو ذلك مع ان القمل والبرغوث
ونحوها لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله
نادرا ما مات فى الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا ما يدخل البرغوث
فى اذنه فيمكث قليلا فى حركة واذية فيخرج بسرعة او يموت فما وجه ذلك (الجواب)
الفشوري ان يقال ان الجسم باطنه وظاهره فى التألم على حد سواء لان الروح سارية
فيه كسريان الماء فى العود الاخضر فاذا حصل الاذى فى ظاهره تألمت الروح وسرى
الالم فى جميع الجسد ظاهرا وباطنا وامثل لك مثلا فيشرويا وهو ان الشخص اذا
حبس فى خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره ولدس لها منفذ وطال سجنه
فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتالم ظاهرا وباطنا خصوصا
اذا احصره البول وبال فيها حتى ملأها او ضرط فيها ايضا فتصعد تلك الروائح
الى العلو فلا يجد لها مصرفا فتعود على جسده وشواربه فتضره ضررا بليغا خصوصا صاحب
اللحية الطويلة العريضة ما لم يكن عرضها اضر طولها فيخفف الضرر او قل طولها فلا بد لك
على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال * ثم ان الناظم شرع فى ذكر
مصيبة اخرى ابتلي بها وهي فى الجملة اشد ضررا من القمل والصئبان لكونها من جهة الاقارب
فقال ش (ولا ضرنى الا ابن عمى بحليبة * يوم تجى الوجيه على نحيف) *
ش (قوله) ولا ضرنى اى ضررا زائدا اى ضررا زائدا على ما تقدم (الا ابن عمى)
اخو والدى وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد اخيه لانه فى حكم الاب
لهم اذا فقدوا والدهم ولهذا تسميه العرب ابا قال بعض المفسرين فى قوله تعالى
واذ قال ابراهيم لابيه آزر ان المراد به عمه او من العمامة لعلوها ووضعها فوق الرأس
حكم التاج كما فى الحديث العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على اولاد اخيه
لكفالته اياهم وولايته عليهم (وقوله) (بحليبة) تصغير محلبة وهي اناء يعمل من فخار احمر
مجوف البطن محصور الرقبة لها اذن واحدة وتعمل باذنين ايضا اذا كانت كبيرة سميت
بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف والحاصل ان الاوانى
المعدة للحلب على اقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط
والمحلاة اطول من المحلبة واوسع منها فما واضيق بطنا فهي تشبهه قعر القادوس
وهو صغير جدا وربع وهو اناء صغير يأخذ فى الكيل قدر ربع المحلبة وقرقة بفتح
القاف وتشديد الراء المهملة وكسر القاف وسكون الهاء فى آخرها وهي تشبه المحلاب
فى صغر القعر الا انها محصورة الرقبة واسعة البطن مثل المحلبة ولها اذنان
او اذن واحدة واكبرا وانى اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهناك اناء آخر يقال

له الكوز يباع به اللبن في بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل في الجرم قليل في
البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قيط
سمي بذلك لكونه مقسطا بالوزن او الكيل وربع على وزن سريع وكوز على وزن
بوز لانه يشبه بوز البقرة او العجلة في وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض
يقال كزت الارض على الحراث اذا عضت عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه
هكذا رايته في القاموس الازرق والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن
او الماء يبقبق وتارة يشكو ما ناله من الم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا
قال الشاعر

مايبقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان القياس القطليسي من هذا القبيل فهذه الاواني معروفة عند اهل الريف
وغيرها ومنها الزير والقمة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والمحلاب
ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم معرفة اسمائها واشتقاق بعضها
فما معنى القروقة واصل وضع هذا الاسم الغريب على هذا الاناء وما مناسبة
ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الاول) ان هذا الاناء عمل في زمن القر
بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وفقوا حرقه في زمن الصيف
فصار يقال قروقة اي هذا الاناء وقع حرقه وكماره ثم انهم حركوا الراء من قر مع ضمها
مشدده وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قروقة فصار مركبا من اسم
وفعل (الثاني) انه لما اتى به وهو جديد ووضعه الحلاب بين رجليه وحلب فيه
اللبن فصار يفور ويحصل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج
الاناء فصار ينادي اللبن قر فيه قر فيه اي سكن فيه واستقر ثم زادوا في هذا
اللفظ واوا بين فعل الامر والجار والمجرور وحذفوا اليا المثناه من تحت لثقلها
في اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروقة فسمي بذلك (الثالث) ان طينته في الاصل
اخذت من محل قريب من قراقة مصر فصاروا يقولون اناء قراقي ثم انهم اشتقوا له
هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروقة (الرابع) انه مشتق من القرفة بكسر القاف
وهو نوع من البهارات ذكي الطعم والرائحة يدخل في الاطعمة الفاخرة والماكل النفيسة
وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا
خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه (الخامس) ان الاسما
لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابيات القشرية وهذه الخرافات الهباليه فاتضح
الجواب وبان الصواب (واما سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى اقوال
احدها ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لاخر هات المحلبه فسمته بذلك
تفاؤلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا (الثاني) ان امه اتت بولده قبله

وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت ان تسميه باسم اخيه فانثت اللفظ وصغرته وقالت محيليه واشتهر بذلك الثالث ان امه لما ولدته زارها النسا بحلية جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيليه فهذا ما ظهر لي من هذه المباحث الفشروية والخرافات الهبالية وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضيء المشرق بسبب اضاءة الشمس الذي يصام شرعا كما لا يخفى (وقوله) يجي من المجيء وهو الحضور (الوجيه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرد طلوع المشد او الملتزم او النصراني الى الكفر او البلد فتوزع على الفلاحين بحسب ما يخصهم في الارض من القراريط والافدنة ونحو ذلك فمنهم من يكون عليه في الشهر يوم ومنهم من يفعلها في كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها في كل ثلاثة ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها فلا بد منها في كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصراني ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم بأكلهم وشربهم وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمنونه عليه من المأكل من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا الزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد وضربه ضربا موجعا وربما هرب من قلة شيء يصنعه فيرسل المشد الى اولاده ونحوه ويهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المرأة شيئا من مصاغها او ملبوسها على دراهم واخذت بها الدجاج او اللحم واطعمتهم واحرمت اولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من انه لا يكفيهم مثلا وقد يربي الفلاحين الدجاج فلا يأكل منه شيئا ويحرم نفسه وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البليه ويطبخ بالشيرج ويأكل الخبز الشعير ويصنع لهم القمح الزريع ويأكل الجبن القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كل ذلك خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجيه لكونها صارت على الفلاحين حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلا بد من فعلها للمشد بالقرية او النصراني او الملتزم اذا حضر كما تقدم بيانه واذا اسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلتها شيئا معلوما من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية ثم تؤخذ منهم كل عام فهي من انواع الظلم والاكل منها حرام ما لم تكن من الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشيء من الارض او غيرها في مقابلة ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيئا لا للمشد ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشيء من عند انفسهم فعلى هذا لا تكون حراما ويحل الاكل منها ومثل الوجبة غرامة البطالين واستخدامهم بغير اجرة ما لم يكن عن رضا منهم في مقابل السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام *

قال الشاعر *

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من بأس
الا اثنتان فلا تقربهما ابدا * الشرك بالله والاضرار للناس

فان قيل ان الامير وغيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من انواع الظلم فيجعل ذلك على اهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه او على من احدث هذا قبله او عليهما معا الجواب ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اى من اتى بشيء لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد اى مردود ومعناه باطل لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق بين ان يكون احدثه بنفسه او سبقه غيره فالاثم على كل من فعله وامر بفعله اذ كل فعل لم يكن على امر الشارع ففاعله آثم لقول النبي صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما ذكرنا كفاية للرد على ذوى العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب * وبان الصواب * وفي قوله (تجي الوجبه) نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو ان يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجا في كل كلمة من الفاظ البيت او غالبه كقول الصفي الحلي رحمه الله في بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم في جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم في كلمتين فقط ويقرب من هذا المعنى ما اتفق ان رجلا قلاسما كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير في غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها لتأتي الى محله فذهب الغلام حتى اتى محلها واخبرها ان معلمه يريدها فامتثلت الامر وارادت الذهاب معه فحضر زوجها في ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به احد حتى اتى الى معلمه فرآه يقلي السمك على جاري عادته والناس حوله يطلبون منه السمك المقلي فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمى فيه على الحاضرين فقال له يا معلمي فق لي من ذا السمك فاقلي جات تجي فجا لو اتجي كجت ولكن ترجي لما يروح تجي وتفسير هذا الكلام ان قوله يا معلمي فق لي اى تنبه لقولي واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلي اى بهذا الكلام لتوهم الحاضرين انه يريد شيأ من السمك وانه يطلبه منه بسرعة قليه وبين قوله فق لي وفاقلي الجناس المحرف المزيد وقوله جات تجي اى ارادت المجيء وامتثلت الامر فجا اى زوجها في وقت ان ارادت الذهاب ثم قال لو اتجي اى زوجها لجت اصله كجات سهله للضرورة اى لحضرت اليك ولم تخالف

امرك ثم اشتد ذلك الكلام بقوله ولكن ترتجي اي تحضر دهما من الرجا وهو حصول
الشيء على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو مكانها تجي الملك ويحصل
المطلوب والشاهد في قوله جاءت تجي فجا الخ فانه كرر حرف الجيم في كل كلمة كما لا يخفى
فان قيل ان النصراني اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه
ويرسلون له الوجيه ويتذللون بين يديه ويطيعون امره ونهيه بل يكون غالبهم
في خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك ام كيف
الحال قلت الجواب ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع
له والتذلل بين يديه ويكون الفاعل آثما بذلك ما لم يخف منه ضررا او اذية بان
يكون حاكما عليه ومتوليا امره واضطر اليه في امر قباض المال من النصارى في بلاد
الارياف وغيرهم فانهم ما لكون هذا الامر بل ان بعض الملتزمين يولي النصراني
امر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا ياتيه الفلاح الا وهو يرتعد
من شدة الخوف كما اتفق في مدة الاستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقي الدين بن دقيق
العيد نفعنا الله به ان السلطان ولى شخصا من النصارى على اقليم مصر
كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم في موكب عظيم من الخدم والحشم ويمر على البلاد
يقبض اموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة الاكل او المبيت من شدة
اذيته وقوته وكان لفرسه ركاب من الفولاذ مطلي بالذهب وقد جعل فيه سفودين
من الحديد خارجين الى الخلاء قدرا يسيرا ثم يرسل خلف الرجل فلا ياتيه الا
وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام
القبيح ويقول له ادفع ما عليك من المال في هذه السنة فاذا اجاب واحضر المال
في وقته كان والا ضربه بتلك السفودين فيجرحه او يخرق احنابه فيموت وكان
هذا دابه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد
رحمه الله وارسل خلف رجل من اتباعه كان عليه بقية مال من خراج ارض
يزرعها فلما حضر اليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل امهلني بقية هذا اليوم
فاغلظ عليه واراد ان يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيد يقتله فولى هاربا
والنصراني يتبعه على الاثر الى ان القى بنفسه بين يدي الشيخ وهو يحرق في ثمنين
جبلا بها كانت صنعة الشيخ في ابتداء امره فقال له ما الخبر فقص عليه الامر فلم يستقر
الا والنصراني واقف على راسه فقال له الشيخ امهله بقية النهار رفقا فاغلظ على الشيخ
بالكلام فاخذ الشيخ الغضب لغيرته على المسلمين وقام اليه وجذبه من اطواقه فبقي
في يده كالعصفور وقال له يا ملعون الابعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين
ضررك والان قد زال اسبك وانمحى رسمك ثم اتكأ عليه حتى قصف ظهره
والقاه في تنور الثمين فاحترق ثم نظر الى الجماعة نظرة الغضب فالقى الله الرعب

فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقصة فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فسار اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصراني فقال له الشيخ وانت ما حملك على توليته على المسلمين وتأمره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد ان يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسي الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسي دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر فى بعضها البعض وانجت القلعة بمن فيها من الجند بالاعوات فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شئ على حاله ثم اشار الى الملك فصاح من غشوته فلما افاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدى تمن على ما تريد قال له انا لا اريد منك شيأ غير انك لا تول احدا من النصارى على المسلمين ولا على امورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى احد من النصارى امر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى ان احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم الامالا

جعلوا اطباء وحسابا لكى * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا اخشى على نفسه او عياله ضررا منهم فى امر دينى او دنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا باس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى بلد ترفقا

يلومونني فى عشرة القبط خلتى * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى

ولكننى صياد دنيا بارضهم * ولابد للصياد من صحبة الكلب

واما اذا داخلهم الانسان بالحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف ضرر منهم فربما دخل فى ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفى ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من احب قوما حشر معهم وقوله على بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) اى يميل على ويظلمنى ويكلفنى ما لا اطيق فكان عليه هذا الضرر اشد من غيره الذى هو اذية القمل والصئبان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

اقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال

فكم عم اتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خالى

فانظر الى هذا الشاعر اللبيب كيف اتى بالعم والخال وصحف الاول بالغنم واستخدم لفظ الثانى فى كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم

عداوة الاهل ذوى القرابة * كالنار يوم الريح وسط غابه

وقال على كرم الله وجهه العداوة فى الاهل والحسد فى الجيران والمودة فى الاخوان واصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل اخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود وفى الحديث لا حسد الا فى اثنين رجلا آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس اهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم ما بى وما بهم * ومات اكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك ما يكمد

ولا خلا لك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه جبلية الى شكواه من ابن اخيه خافر لكونه اشأم منه واضر عليه من ابن عمه فقال *

*(وايشم منه ابن اخوه خافر * يفرط على بيضى بجلبة ليف)*

قوله وايشم من الشوم او من التيشم واصلها شام على وزن ابلم او افطم وفى المثل اشام من طويس ويقال فلان مشوم وذو تيشمة اى عنده قوة وتجبر وشدة ضر على الناس وسمى الخشب شوما لشدته وصلابته والعرب تهجوا بالشوم واللوم قيل بنى جعفر البرمكى قصرا بديعا وزخرفه بانواع الجواهر وغير ذلك وجلس فيه اياما فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى اعرابى يكتب على جداره بيتين من الشعر وهما *

يا قصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش فى اركانك البوم

اذا يعشش ذاك البوم من فرحى * اكون اول من ينعاك مرغوم

فقال على بهذا الاعرابى فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملنى على ذلك الفقر والفاقة وصبية خرجتها كافراخ القطا يتعاوون من الجوع وجئت لاستمطر احسانك وارجو نوالك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا امكن من الدخول اليك فلما آيست دعوت عليه بالخراب وقلت ما دام عامرا لا يفيدنى منه شئ فاذا خرب ربما امر به فآخذ منه خشبة او شيا من رخامه فانتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد اطال وقوفك وامر

بعيالك اعطوه الف دينا دلقصده ايانا والف دينا دلطول مكثه على باب دارنا والف دينا دلصبية خلفها كافراخ القطا والف دينا دلدعائه على قصرنا بالخراب والف دينار لحلمنا عليه فاخذ الاعرابي الخمسة الف دينار وعاد شاكرا وقوله (منّه) بتشديد النون لضرورة النظم اى اشد واقوى منه فى الضرر على والظلم لى (ابن اخوه) اى اخو مجليبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لشاعلى هذا الوضع لكونه من اهل الريف وايضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله خنافر مشتق من الخنفرة على وزن الخرخرة او البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه رقد النفس فى حلقه واخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عاليا بخنفرة وبربرة قال الشاعر

*(وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا)*

وسمى بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عباير واحدتها عبوده واما اخوه فاسمه قادوس على وزن يعوص وقادوس هذا اخلف ولدين مجليبه وقساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن اخى ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناه من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها لغتان قال الشاعر

(فيها ضرط الواشون جميعا * فصار ضراطهم فيها يفوح)

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشده وقوه واما القرط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو اخذ سنبله وابقاء اصله فى ارضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضم القاف اسم لحلقة صغيرة من لجين او فضه تعلق فى اذن الصبى وهى تمد وحة خصوصا الولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة قال ابو نواس فى مطلع قصيدة له

* ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء *

اى ان هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة فى لونها وهى فى كاس يشبه الدرة البيضاء من صفا جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما فى يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى اخر ما قال وقوله على بيضى اى بيض الناظم الابيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض او من ابو بيض حيوان يشبه العنكبوت او من بيضة القبان (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما فى الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك الجواب الفشرى هو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصى خصوان ولحدها خصا فاذا اخذت الخصا مثلا واضفت اليه اخرصرت آخذ اخصين بلا اختلاف

فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصوده وهو اسم للزب
فاذا قعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو في حكم الاب للخصيتين لانه لا ينفك عنهما
وهما في حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ان
الخصيتين دائما في مقام الخضوع للذكر وهو في مقام الرفعة عليهما وهما في مقام
التدلي وهو في مقام الترقي وهما ايضا في مقام الاضافه وهو في مقام الرفع والنصب
وايضا له قوة في فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع الغيب المسطح وهما اقفال
له على الباب تادبا معه وهذا من علامة البربا لوالد كما اتفق ان بعض الشعرا قصد
ملكا يستمطر احسانه فرآه في البستان فوقف على الباب واراد الدخول فمنعه الحارس
فنظر خلف حائط البستان فرأى جدولا ماء يجري وينتهي الى محل تحت الحائط ينصب
في فسقية كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فاخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت

الناس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب

وطواها ووضعها في قصبة فارسية وسد عليها بشمع والقاها في الجدول فاخذها
الما حتى القاها بين يدي الملك فتناولها وفك ختامها واخرج الورقة فلما قرا
البيت تبسم وناداه ادخل يا خصا فقال الشاعر دام الله الملك ما هذا الا
عن وسع عظيم فاعجبه كلامه وانعم عليه وارتد شاكرا قلت وبذكر مصادفة
هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغوري رحمه الله غضب
على انسان واراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة الاف دينار ونزل
من عند الملك ليأتي بها فلقيه رجل من اصدقائه وهو على سلم الديوان فقال له
بلغني ان الملك عمل عليك الف دينار فقال لا علي الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك
وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه
من الثلاثة الاف دينار وانعم عليه ومضى الى حال سبيله (وتطلق لفظ الخصا على
الذكر ايضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والغرمول وغير ذلك
لكن اشهر اسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الانس فيما جرى بين الزب
والكس وهي

لي عندهم اسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر
وخامس الاسما ادعى بالخصا * اذا غضبت خلتني كالعصا

ويلقب بالاعور والافطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج
ويكنى ابو الجملات وابو الصدمات وابو الهيادع وابو الزلازل ونحو ذلك
واذا اطلق الانسان عنانه واطاع هواه القاه في اشد المصائب قال ابن عروس
من الناس في الدنيا تاهوا * والاجواد شاعت ثناها (ما ضر في غير بطني * والي مدحي حداها)
وقد تشبه الخصيتان بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

*(رب زول غمنا يا ربا * يا رب اهلك شيخنا الادبا) * كانما خصيناه اذ كبا *
دجاجتنا بلقطان حبا) * فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين
وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره
وخصيتين على وزن ضرطتين او شحمتين فيكون فيهما الضرطة والشحمتين واشتقاقهما
من الخصر بضم الخاء المعجمة ومن قرية تسمى الخصوا ومن قولهم للكلب خصي مثلا ومصدره
خصا يخصو خصاء قال الشاعر *
خصا يخصو مصاد بخصيتين * خصا صح في نظر الطبيب
انتهى الجواب عن هذه المباحث القشرية والاشكالات الهبالية (وقوله) بخلبة
ليف اي ربطة قوية دائرة على بعضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمي بذلك
لكونه ملتفا على اصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على الشيء
فلا ينفك منها الا بعسر وفي اصطلاح الرعيان انهم اذا ارادوا ربط شيء بمكنة
يقولون اخلب عليه خلبة الوتد اي لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك
منه وهي مشتقة من خلب الزرع او من مخلاب الطير ومن البرق الخلب بضم الخاء المعجمة
وتشديد اللام وهو الذي لا مطر فيه قال ابن العربي نفعنا الله به
كل الذي يرجو نوالك مطروا * ما كان برقك خلبا الا معي
ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل له وتشبيه قبل اوانه فقال
ص * (ومن نزلة الكشاف شابت عوارضي * وصار لقلبي لوعة ورجيف) *
(قوله) ومن نزلة النزلة واحدة النزولة ويطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا في محل واقاموا
فيه زمنا كما يقال نزلة بني فلان ونزلة العرب ونزلة العوانى ومن هذا القرية
المعروفة بالنزلة واما النزول فمعناه نزول الشيء من الاعلى الى الاسفل وضده الصعود
وهو الترقي من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى اعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض
قال امرؤ القيس يصف فرسا شيا عا *
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من علي
(وقوله) الكشاف جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم المتولي
عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويشد الهور ويمكن الجسور ويزيل اللصوص
وكان هذا عادة كل كاشف تولى في قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمر على
البلاد واذا اقبل على قرية يقرع الطبل فيها فعند اهل البدع وارباب المفاسد
ويخلوها بين خوفا منه وربما وقعوا في يده فيها فيجازيهم بما يستحقون من قتل
او ضرب وحبس او اسند داهم ثم ينزله على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول
وتاتي اليه مشايخها ويقفون بين يديه في اشد ما يكون من الرعب والخوف فيسئلهم
عن احوالهم ويسالهم عن ارباب المفاسد واصحاب البدع ويامرهم بالقبض

عليهم اذا لم يكونوا في القرية ثم بعد ذلك يسرعون له في الاكل والشرب والتقادير على ما جرت به العادة واذا وقع في قرية فتنة فيما بينهم او قتل وخروج عن طاعة استاذهم او قايم مقام القرية هجم عليهم بامر الوزير واخرب القرية وقتل منهم من يستحق القتل وازال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم رحمة وسيره كشف غمة ما لم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على الناس من نهب متاعهم واذيتهم وتكلفهم في الماكل والمشرب فوق طاقتهم والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاريب به الا ان سمحت نفوسهم بذلك فلا باس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره اى ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لى منه من الرعب والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصه وخوفي من هذا الامر اني بالذي منه ضرر (شابت عوارضي) لضعفي عن مقابلة الكشاف وعجزي عن شيء يأخذونه من داري من حلة المطبخ او غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء وترجف الجوارح وينبت الشيب في غير اوانه * والشيب كرامة من الله تعالى في اوانه لعبده اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام شاب نصف لحيته فقال يارب ما هذا فقال هذا وقار لك في الدنيا ونور لك في الآخرة فقال يارب زدني من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الحديث ان الله يستحي ان يعذب شيبة شابت في الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له وبذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم *

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من امامه
وقارب عند المشي في خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

(وقال آخر واجاد)

تبسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وفي هذين البيتين الطباق اللفظي كما لا يخفى والشيب مذموم عند النساء قال هرون الرشيد لزوجته ما تحبين من الرجال فقالت من حله كخدي وايره كزندي قال فاذا التحا قالت يطوق الحدقة ويعجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت يصبر على الخناق او يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم وصنفه من اندر الغانيات محروم خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم

سلوني عن حال النساء فانني * خبير باحوال النساء طبيب

اذا ابيض شعر المرء او قل ماله * فليس له في ود هن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم وقال القاضي الفاضل رحمه الله *

تعجبت من راح سعدى * من بعد نصو الخضاب حالى

قالت اهذا الذى اراه * غبار طاحونة بدالى

فقلت لا تعجبي فهذا * غبار طاحونة الليالى

اى انها تكذبت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحون قد لاح على وجهه وغير لحيته وتعجبت من حدوثه لسرعة وتعجبها منه يقتضي تكذيبها وطي بساط انسها فاجابها بقوله لا تعجبي من اسراع ظهوره فان عجائب الليالى واستاحها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحون اظهرت هذا الغبار الذى تريه فلا تلومي واصبري على ما بليت به * وبعضهم شبه حدوث الشيب في لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها في السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رايت النسر حل ابن داية * وعشش في وكريه جاش له صدرى

ومنهم من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله في اول قصيدته

يا ظبية اشبه شيء بالمها * راتعة بين العقيق واللوى

اما ترى راسي حاكي لونه * طرة صبح تحت اذيال الدجى

واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا

فكان كالليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التي تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال داوا في الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكره الشيب في العارضين اولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء لان اول ما يشيب من الكرام العارضات ومن اللئام العنفقه قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضين وشيب اللئام من العنفقه

وشيب الرؤس بما في النفوس * وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه ثم جرى في بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * واما الحاقه تاء التأنيث في الفعل فهو جري على لغة الربافه والناظم منهم وايضا لو قال شابا عارضي او شابوا عوارضي لاختل الوزن فراعى لغته ووزن الكلام (مسئلة هبالية) لاي شيء قال ومن ثرلة الكتاب

ولم يقل ومن نزولهم لئلا يسامح بليد الطبع انها النزلة التي تعتري الانسان من حصول برد يحصل به فينزل برأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواها ان تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكي فانه يخفف ذلك وما الحكمة في انه اتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينهما وبينه مناسبة وكان حقه ان يأتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

* (شواربك والعنفقة * في ظهر كلبة مطلقة) * والحسو خراها يافهيم * ومزمزه بالملعقة

قلت الجواب الفشروي ان النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وايضا الانثى الطف من الذكر في الذات والصفات وان كان الذكر اشرف وايضا الفلاح عنده العجلة او البقرة اكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا ان الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر العشاق فاننا على حد قول ابي نواس

عجبت لمن يزني وفي الناس امرد * الدس ركوب الفحل في الحرب اجود

واما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد من حيثية ان الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعب سرى ذلك في الجسد ونشأ الشيب منه فيكون على معنى ما قارب الشئ يعطى حكمه او على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال والعارض مشتق من العرضية التي تلف على الرأس او من عارضة الباب او من العروض الذي يعتري الانسان من لمس الجن او من العارض الذي يأتي بالمطر او من عارض الجبل قال بعضهم *

قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

او انه سمي بذلك لعرضه في الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله (وصار) على وزن فار من الصيرورة او من صاري المركب او من الصيرة التي تنقل في كل عام الى الجرن (قلبي) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل الفشروي وقوله (لوعة) وهي شدة حرارة القلب وتلهفه من الم العشق او الخوف او بعد المحبوب ونحوه كما قلت في معنى ذلك *

اواه واحربا من لوعتي وكذا * اني كابد نيران باشجان

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف اي رجفان لا يسكن الم ولا يهدأ تحركه من شدة ما نالني من رعب نزول الكشاف وخوفي منهم كما تقدم ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف فعرف فان الناظم شرع في ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها هو واخوانه الفلاحون وهي اشد عليهم من الامور المهمة فقال

ص * (ويوم يجي الديوان تبطل مفاصلي * واهرع خوفي من التخويف

ش قوله (واليوم) بالتنوين (يجي) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب
واسأل القرية اى أهلها وهو ان النصراني اذا حضر الى القرية او الكفر وفرد
المال على الفلاحين حكم الحو الحو والقوانين التي جرت بها العادة وشرع في
اخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على سداد المال فمن الفلاحين
من يقترض الدراهم بزيادة او يأخذ على زرعه اى او ان طلوعه بناقص عن بيعه
في ذلك الزمن او يبيع بهيمته التي يحمل على عيالها او يأخذ مصاغ زوجته يرهنه
او يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصراني او لمن هو متولي قبض
المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه وخشي الملتزم او المشد من خرابه من البلد
اخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال او يأخذ اخاه ان لم يكن له ولد او واحد من اقاربه
او يوضع في الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه احكام الله تعالى ومنهم من ينجو
بنفسه فيهرب تحت ليله فلا يعود الى بلده قط ويترك اهله ووطنه من هم المال
وضيق المعيشة كما قال بعضهم

قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن
فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرق * بين الاحبة والوطن

فلابد على كل حال من تغليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما في المثل
الذى اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام على الفلاح
شيء من المال فهو في هم شديد ويوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل ان
الفلاح على قسمين قسم ناجح ناجب وقسم خائن خائب * فاما الاول فهو
صاحب عقل وسياسة وحسن تصرف ورياسة وعقل ودين ملازم للصلاة
والدين والزرع للغيط تارك للسندة جنب الحيط لا على جماعة الحمير متجنب الرذالة
والخسة يباشر الزرع ويقف عند الحصيد والقلع ولا يتكل على خولي ولا مزارع
ولا يركن لنواده لا مزارع بل يباشر الامور كلها ويعرف مرضها وعللها ويلازم
المشد والاستاد ولا يسعى في خراب ولا افساد فان اخذ من معامل فلوس لا يصرفها
في امر معكوس بل على مصالح الزرع والبهايم والامر الذى عليه لازم وينوي السداد
لصاحب الدين ويشفق على الفقير والمسكين ويفيق لانواره ويحفظ عنط جاره
وينوي سداد المال ويتكل على العلي المتعال ويترك نفش الشوارب والجلوس على
المصاطب يبارك له الديان ويسد مال السلطان وان جاه المعامل اوفاه
وان طلب منه ثاني مرة أعطاه ويرتاح اولاده ويرضى عنه استاده ويعيش في راحه
ودين ويرضى عليه رب العالمين * واما القسم الثاني * لا عقل ولا معروف
عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفة

فائق للشر والمقرفه بالنهار في لعب المنقلة وبالليل صاحب العتلة لا يلازم الغيط
يحب اللطعة حبنب الحيط نافش الشوارب قليل المكاسب عويل مهدار سفلاتي
فساد ان دخل في يده فلوس فرقها على العوزة والبوس لا يلازم مسد ولا
استاد داير في العكس والفسا تبرانه جائعة وخيلوضايعه لا يصرف الاشياط
وعياط وزرعته ما فيها الاصراط يصرف من غير قانون منحوس منحوت مديون
ممقوت مع استاده داير في غيه وفساده لو ضرب بمقادع اوكسارات لا يخلى
النط في الدود والحادات ان قال له استاده على الصواب يتوى على الرحيل والخراب
دائما في مقت وكرب ولا يفيد فيه الحبس ولا الضرب قنف معكوس محرك شرحرب
الدبسو لا يقدر على وفاء دين مكسو عليه الالف والالفين فتنة في البلد طول عمره فى هم
ونكد لا يوفي المعامل ولا له راى كامل المقت منسكب عليه وشبيه الشي منجذب
اليه فلا خير فيه حيا ولا يبكى عليه بعد مماته لانه طويل الكم فسا د قليل الفرح في الدار
عتر اكالخرة لا دنيا ولا آخرة كما قيل *

فهذا الذي ان عاش لا يعتنى به * وان مات لم يحزن عليه اقاربه ولا احبابه *

واول من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه واول ديوان
عمل بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم ينضبط على وتيرة واحدة
وكان الخراج في زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا او عنوة على ما قيل جمع منها اموالا
كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقية اللخمي ان عمرو بن العاص
لما فتح مصر قال للقبط من كتم عنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل
الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه وسأله فانكر فحبسه في السجن
وجعل عمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن
راهب من الطور فارسل عمرو الى بطرس واخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب
على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال وعلى مكانه وذكر له ما شاء ان يذكره وجهز
الكتاب مع قبطيا وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومه بالرصاص ففتحها عمرو
فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط
التى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فاخذ
المال وضرب راس بطرس عند باب المسجد انتهى * وحكى ان المرحوم السلطان سليم
لما اخذ مصر من المرحوم السلطان الغوري في رجب سنة ٩٢٠ تسعماية وعشرين
جعل له قانونا ودونه بمصر منه انه لا يكتب شيء من مال الديوان على احد من الجند
وافق ذلك راى مولانا امير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ارسل نائبه
عمرو بن العاص رضى الله عنه يأمره بذلك (ومنه) ان الجند لا يسكنون في بيت
المال ومنه انه لا [illegible] بمصر [illegible] سنة [illegible] لا [illegible] بمصر اكثر من سنة وبعدها

يجهز الى مكان اخر ومنه ان الجندي لا يجمع بين الجامكية وجهات الاوقاف
والمراد بالجندي المثبت في الديوان اصحاب الجوامك والعلوفات * واول من جبى
خراج مصر في الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وكانت
جبايته اثني عشر الف الف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم
جبى عبد الله بن سعيد بن ابي سرح خراج مصر اربعة عشر الف الف دينار فقال ابن
عفان لعمرو بن العاص رضي الله عنهما يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها
الاول فقال سيدنا عمرو واضر تم بولدها * وهذا الذي جباه عمرو وعبد الله
انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج * وكان خراج مصر في زمن المأمون والمعتصم
اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة اصابع اربعة الاف الف ومايتي الف
وسبعماية وخمسين دينارا والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن
عشرة انصاف * واعلم ان مصر كانت قبل الاسلام ماية وثلاثة وخمسين كورة
في كل كورة مدينة وثلاثماية وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة
ثم ما قصت فجاء الاسلام وفيها اربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شيء
ونقل الاستاذ السيوطي ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى سيدنا عمرو
ابن العاص يقول له اياك ان تكتب شيا من مال الديوان على احد من الجند الحذر
الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان
لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشيء بما يصير اليه وسمي ديوانا لاقامة الدين فيه
باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم او لحضور ما دون الملك فيه او لجمعه على
اجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصايد والتواشيح ومقاطيع الاشعار
اذا انشاه شخص ديوان فنزول الديوان في البلد على كل حال امر مهول على الفلاحين
ومصيبة على المقلين والناظم رحمه الله كان من الفلاسين المقلين المنكسرين في
مال السلطان كما سياتي في قوله (ويا ذوب عمري في الخراج وهمو) وان الدهر
والزمان مال عليه وصيره في هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه اني اذا حضر
الديوان او قرب حضوره داخلني الخوف واعتراني الفزع ودهمتني الداهية الكبرى
ولحقتني طربة عظيمة لعكس اسيء من الدراهم اورده في مال السلطان او لخوفي من العقوبة
والحبس فبسبب ذلك (تبطل) اى ترتخي وتسكن ويقل نفعها (مفاصلي) جمع مفصل
وهو فرجة يسيرة بين العظمين متمسكة بالعروق فاذا اسكنت تلك العروق
وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو * وقد ذكر لفظ المفصل في قول ابي نواس
لما احتضر * (لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت) * (ومغرم تضرم احشاوه *
بالنار الا انه ساكت) * (ما فيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه الم ثابت) * (رثا له الشامت مما به *
يا ويح من يرثي له الشامت) * فنبه الناظم على هذا الامر الذي حصل له لعجزه

عن دفع ما عليه من خراج الارض ولكونه لم يمهله النصراني ولا يرثي لحاله ولما كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربه انطلاق البطن كما يقع غالبا لبعض الناس قال (واهر على دوحي) اى ذاتي لا الروح السارية في الجسم (من) شدة الطرية وهر (التخويف) اى تخويف جماعة النصراني او المشد او الخوف الذى يصيبني يعني ان الطبيعة تلين من اجل خصا هذا الهم وشدة تلك الطرية الحاصله فينزل الغائط لينا يشبه هرا الطين بعد ان كان اذا ضربته في الحائط رد في وجهك من يبسه فيسيل على ذاتي وثيابي فلا اتمالك دفعه لانه يندفق بسرعته من شدة الخوف * والهر واحد الهراد على وزن الجراد واحده الهرة من قولهم هر عليك الجدار وهرت على الحيطان الكلية او هر على ذقنك الكلب مثلا ويقال هر التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لتفسه من الاعلى للأدنى فانك اذا نظرت الى أكوام الرمل نظرت فيها الهراد بيقين او هو مشتق من الهرة التى تصيد الفأر وتسمى بلغة اهل الحجاز البسه بضم الموحدة وبلغة اهل مصر القطه ومصدره هر يهر هرا دا ثم ان الناظم بنيه على انه لم يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب مما دهمه والاختفا منه فقال

* * * *

ص * (واهرب حدا النسوان والتف بالعبا * ويبقى ضراطي يشبه طبل عنيف) *

ش قوله (واهرب) اى انا لا احد غيري (حدا) اصله بالمد والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشيء جانبه او مقابله وقوله (النسوان) اى عندهن او محاذى لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التأنس والانس والمؤانسه لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء آنس بها وسعى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب قيل مر بعضهم بامرأة جميلة فانشد يقول *

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فاجابته بقولها *

ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهي شم الرياحين

والنسوان على وزن الجروان والنسوة على وزن المهوه او العجوه والنسا على وزن الكساء وقد يأتي فيها الفساء ايضا والمعنى انى اخشى على نفسي واخاف مما دهاني فامضي بسرعة وانا في هذه الحالة واهرب اى انطلق بسرعة الى النسوان واختفي بينهن او اجلس بجانبهن او مقابلهن كما في المثل الهروب نصف الشطارة وقد هرب عنتره مع قوته وشجاعته وقال اعاين هذا ولا اقتل فالشخص اذا خاف من ظالم او احد يؤذيه ويمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله

تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * ومما نقل من الامثال جدع قصير انفه
وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش الذي
اول من اتخذ الشموع واوقدت بين يديه وكان له اخت جميلة زوجها لعدي
احد ندمائه حال سكره فلما افاق عدي هرب بعد ان حملت فاتت فتربى عند خاله
جذيمة الابرش واحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة اغار على ابي الزباء فقتله واستولى
على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى
استخلصت منه بلاد ابيها ثم انه ارسل لها يخطبها فاجابته فاستشار خواصه فمنعه
قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فامرت عسكرها
بان يلقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما رأى قصير ذلك
ركب فرس جذيمة الابرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وادخلوه
عليها فكشفت له عن عانتها وكانت تركتها سنة وقالت اجهاز عروس ترى فقال بل
جهاز امة بظراء فامرت الجواري ان يفرشن له نطعا واجلسوه عليه وفصدوه في
جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى في اخذ ثاره بحيلة جدع انفه
واذنيه وذهب اليها مستجيرا من عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لانه تولى المملكة
بعد خاله فقبلته واحبته وملكته ثم انها ارادت تزوج عمرو فقال لها عندي من
السلاح والاموال شيء كثير فجهزته ليأتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد اصبت
الفرصة واعطاه الفي رجل بسيوفهم في صناديق مملوءة ذهبا وسبق قصير فاخبرها
بذلك فجلست في محل عالي تنظر للجمال باحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت
تلك الابطال بسيوفهم وكان في يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدي لا بيدك
يا عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام فان قيل لاي
شيء اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع ان النساء لا يقدرن على دفع
الاذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك
قلنا الجواب من وجهين الاول لما دهمه هذا الامر واتاه الديوان على حين
غفلة وارتعشت مفاصله وحصلت له حالة الهرع لدوسه كما تقدم ولم يستطع النهوض
ولا المسير الى احد من الرجال يختفي عنده او الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة
خوفه وكثرة هرادة على نفسه وضراطه عليها ايضا اذ هو من لوازمه كما سيأتي
ورأى هؤلاء النسوة قريبا منه او من محله فتوارى بينهن * الثاني * يفهم منه انه كان
ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا شيء من امور الرجال
وخشي ان يمضي الى احد من الناس او من اقاربه فيدل عليه النصراني فيأخذه
ويشوش عليه وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم امان ولا عشرة حسنة
مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فكل شيء له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شيء آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد
وايضا النساء غير متهمين بهذا الامر فاذا رآهن احد قد اجتمعن في محل لا يشك
ان بينهن رجل الا ان ظهرت له قراين تدل عليه وربما منعه الحياء منهن عن التفتيش
وقد توارى سيدنا حسان رضي الله عنه عند النساء في بعض الغزوات لجبنه وقلة
شجاعته كما هو مذكور في السير فاتضح الجواب * ثم انه لما كان هروبه عند النساء
يحتاج لشيء يواريه من الاعداء ويستره عن الاعين قال (والتف بالعباء)
اي وقت جلوسي بين النساء او بجانبهن او قبالهن التف بالعباء او وقد يعد
لفيها لا طرد عن الوهم بالنفا فيها فان الخائف اي شيء رآه توارى فيه سواء
كان عباء او ثوبا او شيئا يواريه عن الاعين بل ربما تزيا بزي النساء واختفى
عن عدوه ونجاه الله منه * كما اتفق ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل
من العصاة ليقتله فقيل له هو في القرية الفلانية فارسل له بعض الامراء بطائفة
من العسكر فدخلوا القرية واحاطوا بها فلما عرف الرجل انهم يريدون اخذه للملك
تزيا بزي النساء وخرج في جمع منهن ينوح ويبكي ويصيح وهن يبكين معه فقال الامير ما بال
هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فاقبل جماعة وسألوهن فقلن مات لنا ميت
في القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلى سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب
بينهن ولم يعرف الامير حاله الى ان جاوز العسكر ومضى الى حال سبيله ونجاه الله
تعالى من ذلك الملك * ومثل هذه الواقعة ما اتفق لي اني كنت في سفينة
مسافرا من بلدي شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسجد الخضر واذا بغلام
جميل الصورة عليه ملبوس حسن في زي خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة
خذني ويتذلل له ويتداخل عليه انه ياخذه وهو في كرب عظيم فامتنع رئيس
السفينة من اخذه وخشي ان يكون خلفه احد يفتش عليه او يأتي في اثره وكان
في السفينة ثلاث من النساء وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا رئيس غلام مكروب
يسألك في اخذه فلم لم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وانا اصنع له حيلة
تواريه عن من يطلبه واخفيه بين بناتي ولا يعرفه احد فسمع الرئيس كلامها واخذ
الغلام فلما صار في السفينة اخبر انه كان في خدمة بعض الامراء وانه استغفله
وهرب ولا بد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فاخذتها
واخفتها في حوائجها والبسته لبس النساء واجلسته بجانبها فبينما نحن في هذه الحالة
واذا بامير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك
حتى صار قبالة السفينة وقال للرئيس ادخل البر حتى افتشك فانه هرب لي غلام
في هذه الساعة ومعه الف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل
البر وصار كل من في السفينة في خوف من هذا الحال فطلع الامير واعوانه وفتش

سفينة

السفينة والمراة تقول هذا شيء ما رايناه قط وانما راينا غلاما يجري من بعيد الى الجهة الفلانية فمنعه الحيا وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشيء واما الغلام فانه مكث معنا في المركب الى ان طلع مصر وذهب الى اهله سالما والناظم لما راى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج في الشيء واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة اهل الريف يقال فلان لف مترد عدس ومترد بيسار بمعنى انه اكله ويقال داهية تلفك مثلا فالناظم اندرج في العباءة المذكورة ليوهم من رآه ان هذه عباءة ملفوفة ولا يشك ان داخلها احدا والعباءة كساء طويل عريض يعمل من الصوف فيه خطوط مختلفة الالوان يجعلها اهل الريف فراشا في الصيف وغطا في الشتا فهي مناسبة في الفصلين وهي افخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباءة في قول سيدنا الحسين رضي الله عنه *

نحن اصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين

والعباءة مشتقة من عب الماء لانها تعب اذا القيت فيه او من عبو البحر اي ام النيل او من ابو عبيه كنية لبعض الفراريج الصغار تكنيه نساء الارياف بها ومصدرها عب يعب عبا قوله (ويبقى) اي عند هذه الحالة التي انا فيها وهي اسبها للطيف وسيلا ان المراد على نفسي من عدم الامن وشدة الخوف وانا ملفوف في العباءة ومندرج فيها (ضراطي) اي صوت الريح المتلائم في بطني من اكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربات الاعضا ورجفان القلب فيه اي شبه صوت قرع (طبل) وهو جلدة مركبة على خشب او نحاس تقرع عند المواكب والتحام الحرب له دوي شديد ورعد زائد وكله حلال الا الكوبة وهي طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمى ايضا بالدربكة وطبل الرق يستعمله ارباب الملاهي وكذلك الزمر كله حرام الا النفير وقوله (عتيف) اي شديد الضرب يقال فلان عتف فلانا بمعنى انه ضربه واذيه والمعنى ان صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل يضربه رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب او ان مراده بالطبل الكبير العنيف مثل النقاره ونحوها لكونه لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العباره ان الضراط فيها على اربعة اقسام الاول ضراط يخرج رقيقا ضعيف الصوت ممتدا بصوت ضعيف * الثاني ضراط يجول في البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت * الثالث ضراط يخرج ممتزجا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها * الرابع ضراط يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذي نبه عليه الناظم وصرح به ولكل قسم من هذه الاقسام الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه ارياح

لطيفة تتولد في بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليين بصوت رقيق بحسب لطفها ودقتها للطف الماكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف الماكل

وهذا ينشأ من اصحاب الاجسام اللطيفه وارباب المآكل الخفيفه * والثاني ضراط يجول في البطن بقرقرة وربما وقف في وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لا ينضج وسببه من الماكل الغليظ واذا انضج اسرع في خروج وقيل نصاحبه اذا اخرج منه شيء يكون فساء وفي هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر

يخلط في المأكول طول نهاره * وفي الليل تلقى بطنه يتقرقر

كما اتفق ان رجلا اتى الى طبيب فقال احس في بطني معمعة وقرقرة فقال له اما المعمعة فلا اعرفها واما القرقرة فضراط لا ينضج فاذا كان الريح يجول في البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له مغص يعالج باكل شيء من الشيح او الصعتر المغلي فطورا وربما مكث يوما كاملا وليلة كاملة كما اتفق لابن الراوندي عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ على عصاه فسمع رجلا يقول اللهم ارزقني الف دينار فقال له يا صفيع الذقن انا طول ليلي اطلب منه فسوة فلم يعطها لي يعطيك الف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال مخمصة قليلة الفساء (قال المسعودي في مروج الذهب) في ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ونعود الى عجائب الملوك ونسوق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه الى ان قال في آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح في اجوافهم لانه داء يؤذي ولا يحتشمون من اطلاقه في سائر احوالهم وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذي وان ارساله شفاء ينجي وان في ذلك العلاج الاكبر وانه راحة لصاحب القولنج والحصر وانه دواء للسقيم المطلي ولا يحتشمون الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وذكر هذا الخبر عن الهيثم ابن السمال عندهم انجح من الضراط وان الحسا على ورن الفسا افتح منه واستشهد هذا الخبر على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار القول في ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي * مقالة ينجح منها قصدي

لا تحبس الضرطة مهما حضرت * وخلها واخرجها ما استفتيت

فان آفة الداء في امساكها * والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والمخاط * والسوء في الفساء لا الضراط
اما الحشاء فساء صاعد * ونتنه عن الفساء زائد

وان الريح واحدة في الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى حشاء وما يذهب الى اسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة في مؤخر الرأس والقفا واحدة وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وان الحيوان الناطق كثرت علله وتحدث امراضه كالقولنج واوجاع المعدة وغير هذه العوارض بحبس الريح في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما ذكرنا من الامراض والمعترضات من العاهات لسرعة خروج الريح مما يعرض من الادواء في اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كديمقراطيس وفيثاغورث وبقراط وجالينوس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يرون حبس شيء من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك اناس من اصحاب الشرايع ومنعت منه الملوك ولم يجر ذلك في عاداتهم * وقال المسعودي في مروج الذهب كان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة لطيف الحديث فيه سلاسة اهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فاتاه فقال ان امير المؤمنين يأمرك ان تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفاء فقال علي بن الجنيد وكيف اتهيأ أهيئ رأسا غير رأسي ام اشتري لحية غير لحيتي ام ازيد في اقامتي انا متهيئ قال لست تدري بعد ما شرطوا المزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد وما هي هات ما عندك يا من تدري فقال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا شرط المزاملة المؤانسة بالحديث والمذاكرة والمناقلة وان لا تبصق ولا تمخط ولا تسعل ولا تتنخع وان لا تتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل وان تتقدمه في النزول فمتى لم يفعل المزامل هذا كان كالمثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة وان لا تنام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فما حال من لا يشعر بنفسه فلما اكثر عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد آه واحراه اذهب فقل له ما يزاملك الا من امه زانية فرجع ابن حماد وقال للمعتصم ما قال قال فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال يا علي ابعث اليك تزاملني ولا تفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاءني بشروط حسبنا الشاشي فقال لا تبصق ولا تفعل كذا وكذا وجعل

يمطمط في كلامه ويفرقع في حكاياته ويشير بيديه ولا تسعل ولا تعطس
ولا ولا وهذا الايم لي ولا اقدر عليه فان رضيت انا ذاملك فاذا جاء في الفساء
فسوف عليك وضرطت ايضا واذا جاء لك انت فافسُ او ضرط علي والا لبس
بيني وبينك عمل فضحك المعتصم وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملني
علي هذه الشروط قال نعم حبا وكرامة فزامله علي بغل فسارا ساعة وتوسطوا البر
فقال علي يا امير المؤمنين حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا اشئت
قال نحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له علي اقبل حتى اسارك
فلما قرب منه فسا وناوله فم كمه فقال ادخل راسك في كمي فانظر ما هو فادخل
راسه فشم رائحة الكنيف فقال لم ارشيأ ولكني لو اعلم ان جوف ثيابك كنيف
ما قربت منك والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب
ثم جعل يفسو فساء متصلا وقال لابن حماد قلت لي لا تسعل ولا تبصق ولا تمخط
فلم افعل ولكني اخرا عليك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم فصار يخرج راسه من العمارية
ثم قال للمعتصم قد صحيت قد راقه خراء فقال المعتصم وقد رفع صوته حين كثر عليه
الضحك ويلك يا غلام الساعة اموت من الضحك ثم انه اجازه بجائزة سنيه
والثالث ضراط يخرج ممتزجا مع الغائط وسببه ان الارياح عند خروج
الخارج تمتزج به وتتلازم معه وتخرج هي واياه عند قضاء الحاجه خصوصا مع لين
الطبيعة فيظهر منها اصوات متقطعة غير متصلة كبقبقة قلة الماء عند امتلائها
وهذا يحصل مع نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول الماكل المهضمة وكثرة نزولها
بسرعة قال الشاعر

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * فلا حث بالاسلاك نسا ريح نفحته
فمن كان ذو عقل فيسيرضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وقد يخرج الضراط له صوت دقيق يشبه صوت دندنة المردن ودننه وقت غزل
النساء به وقد خرج من بعض الشعرا فلاموه فقال

ذي بنت بطني خرجت تعيط * تدندن كالمردن في برمته
ومن يقل لي اكتم ضراطك * اجعل خراي على لحيته

فجعل البطن مثل الام وجعل الضرطة فيها مثل البنت التي فارقت امها وصارت
تعيط وتدندن كالمردن لفارقها اياها فمن هذا يعلم انه معذور ومن لم يعذره
يكون جاهلا بحاله ويكون خراه في لحيته * (ويحكى انه دخل ابو الاسود على
معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا امير المؤمنين لا تخبر بها احدا
فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان من ابي الاسود
فلما رآه عمرو قال له يا ابا الاسود ضرطت بين يدي امير المؤمنين فلما دخل عا

معاوية قال له الرأسأ لك ان لا تخبر بها احدا فقال معاوية ما علمها احد غير عمرو فقال اياه الذي كنت احذر ولكن انت لا تصلح للخلافة قال كيف فقال اذا لم تكن لك امانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين واموالهم فضحك معاوية ووصله * وقد يأتي الضراط على حين غفلة عند حمل شيء ثقيل او وثبة فلحشة او تحرك للقيام بثقلة ولكن لا يشتد لصوت مثل غيره وهذا اخف ضررا مما سبق * كما انفق ان اعرابيا ضرط على حين غفلة فلاموه فانشد يقول

ضرطت فما احدثت في الناس بدعة * ولم يأت استي منكرا فأتوب
اذا كانت الاستات تضرط كلها * فليس علي في الضراط رقيب

واتى رجلان الى قاض فتقدم احدهما فتظلم من صاحبه وشكى قصته فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى استه وقال لها اما ان اتكلم انا او انت وحكى بعضهم عن حكيم بن عياش الكلبي انه اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك يحبه فسر عبد الملك وقال هذا يوم سرور واجلسه الى جانبه ودعا بقوس رمى عنها واعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابي فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابي فرمى بها مستحيا فقال عبد الملك دهينا في الاعرابي وكنا نطمع في انسه واني لاعلم انه لا يسكن ما به الا الطعام فدعى بالمائدة وقال تقدم يا اعرابي لتضرط وانما اراد لنا كل فقال له الاعرابي قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم والله لاجعلنها مذكرة يا غلام ائتني بعشرة الاف دينار فجاءه بها فاعطاها للاعرابي فلما صارت له تسلى وانبسط ونسي ما صد دمته فانشد حكيم بن عياش الكلبي يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها بدورا
فيا لك ضرطة جرت كثيرا * ويا لك ضرطة اغنت فقيرا
يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
ايقبل ضارط الفا بالف * فاضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الملك واجاز حكيم بن عياش بمثلها * وقيل اقبل الصغيري على مجلس بعض الامراء واراد ان يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيري اذا ولى على عجل * من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانما هي ريح لست تملكها * اذ انت لست سليمن بن داود

وهذا كله من باب الحلم والستر وابداء العذر عن الجالس في الحضرة اذا ضرطها فهما عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز في الضرطة يقال

ومولودة لم تعرف الطمث امها * وليس لها روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

واما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا للعلة ولا للمرض فانه يكون من القباحة وسوء الادب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها ان يفعل ذلك ولو اراد به المزح مثلا فذكر في كتاب نزهة الابصار في اخبار ملوك الامصار ان خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل اين تريد ايها الشيخ قال حائطا لي فقال هل لك ان ادلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما احوجني الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهوا وغبار الماء وورق الكماه فصره في قشر جوزه واكتحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على قربوص سرجه وضرط ضرطة طويلة مزعجة فقال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد ان يسقط عن دابته * (ويحكى ان هارون الرشيد وجعفر مرا ببغداد فوجدا رمالا بعينيه احمرار فقال الرشيد لجعفر ما هذا يا جعفر قال هذا رمال فقال لابد من اختباره فتوجه اليه جعفر فقال ما صنعتك فقال ما ترى من الاصطلاحات والادوية فقال لم لا تداوي عينيك فقال داويتهما فلم يفد فقال اصف لك دواء ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة اواق من عروق الهوا وثلاثة اواق من منزوع الما ودقهما في هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمال ما مر آنفا * ثم اتى اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ما ترى فقال لي امراض اخبرك بها فقال له قل قال بنغرز في مغص وما آكله من الطيبات ينزل من اسفل خبيثا وبباطني ظلمة فقال اما ما يلحقك من المغص فعليك بالموسى واما ما تاكل من الطيبات ينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل طيبا واما ما تراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا لاجل ما ينور على استك وبطنك * وقد شاهدنا في بلاد الارياف ان الشخص اذا اضرط في مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة في الحائط التي يجلس بجانبها من جبس او جير حتى يراها كل احد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة ما يلومونه على ما فعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء اخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان كثير الريح يشوش عليه وكان في مجلس فلا باس بضراطه فيه وينبغي مسامحته لهذه العلة * ورايت في بعض الكتب ان سبب ما لقب حاتم نفعنا الله بالاصم ان امراة جاءت اليه تساله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم اعلي صوتك بالكلام فاني رجل اصم وكان كلامه لها من باب الستر عليها ففرحت المراة وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر

بذلك رضي الله عنه * واتفق لي اني كنت اهوى غلاما جميل الذات لطيف الصفات فصيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وانا مشغوف بجماله راغب في وصاله وكنت اترقب ان اخلو به ساعة من الزمان وان يجمعني السعد واياه في مكان الى ان صادفته في روضة بالنسيم عابقة ونخيلها باسقة وطيورها بالتغريد ناطقة يرفل في ثياب العز والامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبدأته بالسلام وابديت له الغرام وسألته الجلوس فاجاب وما احلى اجتماع الاحباب فلما استقر بنا الجلوس واردت ان اتملى بقده المأنوس بين هاتيك الرياض الزاهرة والروائح العاطرة واحظى بحديثه العذب الرائق وبنطقه الشهي الفائق اذا قبل جماعة من ارباب الذوات الكثيفة والطباع العنيفة وجلسوا من غير طلب وخاضوا في الحديث من غير ادب فخجل الغلام منهم واطرق واعتراه الوهم والحنق واراد ان يتحرك للنفاد فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه بالقول لائمين فنظر الي بطرف كحيل ووجه جميل وقال ما تقول في لوم هولاء الارذال فانشدت اقول بارتجال *

لاموا الحبيب وبادروا * قصد الحبيب بما فعل
لما ازدرى جلاسه * ورأى بهم ذاك الثقل
ورأى التفوه معهم * بلطيف لفظ كالعسل
فيه الخسارة اذ هم * اهل الكثافة والملل
ناداهم من استه * بلطيف صوت قد حصل
كيما يناسب حالهم * ومقامهم ذاك الاقل
فتفرقوا عن مجلس * حاوى الغزال مع الغزل
يا حبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل
رقت وراق محلها * من العواذل والعذل
والحمد لله على * ذهاب هم قد رحل
فاضرط وغني وانبسط * واسلط وطب يا ذا البطل
في روضة يا حسنها * بها السرور قد وصل
فكلما ترضى به * فالعبد عنه ما عدل
لكن بحق المصطفى * غيري ما تاخذ بدل

فتبسم عن ثغر كانه عقود الجمان ومال على بقد كانه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبة وغرس في فؤادك شجر المحبة لا اكون في يميني حانث ولم يدخل بيننا مدا الدهر ثالث ولم ازل واياه على هذا الحال حتى لحق بذي الجلال
ومن اللطايف ان السلطان قانصوه الغوري مر يوما في شوارع مصر مختفيا

هو والوزير فسمع رجلا من ارباب الدخول يقول لاخر مثله تفتخر علي
يا فلان وانا اقدر اصور النغمات من طيزي فقال الملك لوزيره علي بهذا الرجل
فاحضره بين يديه فاخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بد
من فعل ما التزمت به فقال له تعفوني يا ملك فان الرجل في المخاصمة يقول
ما شاء قال لا بد من صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطيني الامان قال
لك ذلك فقال يكون في محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس واحضره
وطايب معه في الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغوري له دراية
بهذا الفن والف فيه بعض رسايل فقال له اي نغمة تريد فقال الحجاز مثلا فحرك
اليته وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد اخرى حتى اتى على جميع النغمات ونهزاتها
ولم يترك شيأ يلام عليه فتعجب الملك منه وقال له مثلك لا يكون الا رئيس مصر
في هذا الفن ثم اجازه بالف دينار وجعله رئيسا على ارباب الدخول كلهم ويقال
انه جد اولاد العتر المشهورين الآن * ومما حكي انه حضر بعض الخياطين عند بعض
الامراء ليفصل له قباء فاخذ يفصل والامير ينظر فيه لئلا يسرق شيا فلم يمكنه
فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما اراد
فجلس الامير وقال يا خياط ضرطة اخرى فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء * وقد
اجتمعت برجل يقال له ماضي الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة
والدخول وكان يحفظ القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه مصنوعا يفعله بابطه
وكان يفعل به اي نغمة كانت ويعمل منه اشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة
اعجوبة لكل من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند
العلماء عفا الله عنه * (فائدة فشروية) سمعتها من بعض اهل الخلاعة وهو
ان ابليس لعنه الله يضرط في كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار
اولهم من يركب زوجته ويزورها اضرحة الاولياء والمقابر * والثاني
من راى اثنين يتسارا وادخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة * والثالث
من راى اثنين يتضاربا وادخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما في المثل
ما ينوب المخلص الا تقطيع هدومه * (والرابع) من يمشي في الطريق ويلتفت من غير
حاجة * والخامس محبوس الزوجة وقس على امثالهم * ويحكى انه كان لفتى من قريش
جارية في ايام مروة فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة اهل زمانها فغدر به الدهر
فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من اولاد عمه من
ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت
الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج له فعلم انها اشتغفت بحبه فوهبها له فاخذها ودعا
له وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وسار لا يدري الى اين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج

فنادى برئت الذمة ممن راى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى اوتي بها
فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من احب الناس فاخترت ابن عمي
شابا حسن الوجه بعد ما رايتك تسارقيه النظر فعلمت انك شغفت به حبا
فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع ما انت
صانع فقال تكلمي فقالت كنت للفتى القرشي فغدر بي الدهر فاتى بي الى الكوفة
قاصدا اليك لتشتريني حتى اذا قربنا منها دنا مني فواقعني فسمع هدير الاسد
فوثب قائما واتى الاسد وقتله ثم اتى الي وما برد ما عنده من الانعاظ وقضى
حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الي وواقعني سقطت فارة من السقف فضرط
وغشي عليه فرششت عليه الماء وهو لا يفيق فخفت موته فتتهمني فهربت خوفا
منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به احدا
فقالت على ان لا تهبني له ثانيا * فان قيل ان الضراط صوت وقد عرفوا الصوت
بانه هواء منضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا
مقروع انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليين وتحركهما فما الحكم قلنا
الجواب ان يقال ان هذا لا يأتي الا على التعريف الثاني وهو ان الصوت
هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح * الجواب فان قيل انه في قول الناظم
ويبقى ضراطي مثل طبل عنيف اشكال من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت
الطبل الشديد يكون كل من سمعه اقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدل
بهذه الحالة عليه النصراني وغيره فلا فائدة في اختفائه بين النساء ولا في اندراجه
في العباءة فما الحكم قلنا الجواب ان الناظم ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة
الا بعد لفه في العباءة فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة اندراجه ولفه في
العباءة لسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس في جب عميق مثلا ومعه
طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا
على نفسه او على من يكون واقفا على باب الجب او قريبا منه فالعباءة حكم الجب
وهي اضيق لانه دارجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا لا يظهر حسه من الخارج
الا ضعيفا او انه من باب الغلو في الشيء كما قال الصفي الحلي في بديعيته *
عزمي جلا دلو الليل استجاديه * من الصباح لعاش الناس في الظلم
او يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التي ذكرها لا يتوهم انه رجل مختف
بل ربما يظن انه رجل او امراة يقضي حاجته فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال
لا اشكال في كلامه فاتضح الجواب قلت والمراد من صرح بهذه العبارة وجعل
الضراط فيها على هذه الاقسام و[illegible] بهذه التعاريف غيري * ثم ان الناظم نبه
على ان عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره

وقد كنت فقال

ص * (ويا دوب عمري في الخراج وهمه * تقضي ولالي في الحصاد سعيف

ش قوله (ويا دوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للندا ودوب هذه اللفظة لها اشتقاقات فشروية ومعاني مختلفة فاما ان تكون مشتقة من داب الانسان وهو شأنه وحاله الذي هو مهتم به والمعنى انكم تعلمون يا اخواني ان دابي طول عمري مع ما حصل لي من الهموم سابقا في حساب وفكر وتعب شديد مما علي من الخراج وما ينشا من همه اي خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها في كل عام فلا يفي بما علي من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفي وشدة فقري وقلة من يسعفني في الزرع والقلع فلهذا انقضى عمري وانا في هذا الحال الى اخره او انه من الدب لبلاعلي لولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غاليه او كله فيحتشم خوف احد يتحرك او خوف الفتنة حتى يقضي الفاسق مراده وربما عاتبه الامرد عتابا لطيفا او شتمه شتما خفيفا فيقول له قد والله وانا بيدك مثلا واني هلكت في حبك الى ان قضى القضية على احسن حال قال بعضهم مواليا *

دبيت ليلا علي من الملاحة حاز * بقيت راكب على ظهره وشبه الباز
لما انتبه من منامه قال مزدا فاز * بوصلنا قلت اعمى جس بالعكاز

وما الطف قول بعضهم

وماحر قلبي باخفانه * ربما مادري قد رما قد ربا
واضرم نار الاسا في الحشا * ولم يبتنك ضرما ضرما
ويسلم قلبي الى ضده * فياليته سل ما سلما
وقد كان قدم احسانه * ولكنه قدما قدما
وقد هد بنيان صبري * وما واحد هدما هدما
ويحرم ما حل من وصله * وفي مهجتي حرما حرما
وقد عز من احب الوفا * وما احد عزما عزما
عجبت لفيض دمعي به * اذا ما بري او هما اوهما
فسلمت امري به للقضا * وجرت براجرما اجرما
وقد رقم الحسن في خده * فلله رقما رقما

وقال اخر

شكوت الى الحبايب نين قلبي * اذا جن الظلام فقال اتا
فقلت له اذلك غير راض * بما كابدت فيه فقال انا

فقلت له اترضى ان قلبي * باثقال الغرام فقال آتا

فقلت له اتحكم مثل هذا * على اهل الغرام فقال إنّا

اعلم ان الاولى فعل امر من الاتيان والثانيه بمعنى نعم والثالثه مركبه من ان الشرطيه واما فعل ماض والرابعه ان واسمها وقال اخر

جل الذي اطلع شمس الضحى * مشرقة في جنح ليل بهيم

وقد ادار الخال على خده * ذلك تقدير العزيز العليم

بدر ظلمنا وجهه جنه * فمسنا منه عذاب اليم

ينفركا لريم الا فانظروا * الى بخيل وهو عندي كريم

لما انحنى حاجبه وانثنى * هز للعشاق قدا قويم

عجبت من فرط دلال وقد * بدا الى المعوج والمستقيم

داوى حبيبي يا طبيب الهوى * وخلني اني بحالي عليم

فخصره واه واردافه * ثقيلة واللحظ منه سقيم

وقال اخر

صيرني في كل واد اهيم * من خط قلبي منه هاء وميم

فتى لبنيه ديم الفلا * يا طول شوقي من بخيل كريم

لم انس من وحشته ليلة * خلتني ادعى ريحها البهيم

نظرت حبي بها نظرة * فقال جسمي اني سقيم

شوقا لمن لست على حبه * بصابر لكن قلبي كليم

لا اسمع اللوم على حبه * اعوذ بالله السميع العليم

في شرعه وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم

وثابت الود لديغ الحشا * يأتي الى بقلب سليم

يا روضة تجنى بالحاظه * فيجتني حلو الرضاب النعيم

كن كيف شئت وعن مهجتي * فلا تسال عن اصحاب الجحيم

والمعنى اني اكون على حين غفلة فيذب على هم الخراج وتعبه والحساب فيه تنغيص الراحة في معاشي والسرور في اوقاتي وهكذا طول زماني كما يذب الفاسق على الامرد فما يشعر الا وقد علا ظهره ونال مقصوده كما تقدم * او انه من ذبيب سم العقرب بمعنى ان الحساب في هذا الامر في الليل والنهار يتولد منه غم يسري على القلب ويذب فيه ذبيب سم العقرب في سائر الجسد او انه مشتق من الذب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس في الحيوان ابلد طبعا منه الا ان عنده قوة ادراك عن غيره كما في المثل بلادة الذب غلبت فطانة القرد ومن عجيب منه انه اذا راى جماعة يصيدونه يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتلئ الصمغ بشعره ثم

يترع على الرمل حتى يصير شعره يابسا كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له فهو التبلد في الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

تبالد تزن عقل الرجال ويظهروا * اليك امورا لست منها بخابر

والمعنى ان كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتني في حالة تشبه بلادة الدب وعدم حركته في السعي لعدم المكاسب وقلة البركة في الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب علي في كل ساعة فانا محروم من لذات الدنيا ولم يفدني شئ مما انا فيه قال بعضهم

اصبحت لا شغل ولا عطلة * مزيدنا من صفقة خاسرة

وحاصل الامر وغايته * انى لا دنيا ولا آخره) فلا ارى في الزرع بركة في ابتدائه لقلة التقاوى وضعفي عن اصلاح الارض لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوي المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوايد المكتتبة على الفلاحين والمغارم في الزرع وان ورد فيه تسعة اعشار البركة لا يفي بهذا المقدار من كثرة الظلم واما في الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوايد ولا كلف ولا مغارم ولا شئ مما هو موجود الان بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها شيأ يسيرا ولا يعرف وجبه ولا غرامة ولا اشيا من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة والارض كلها عامرة بالزرع والناس في غاية الخير وسعة الرزق والكسب ومما روى انما اعترض رجل المأمون فقال انا رجل من العرب فقال له ليس بعجيب فقال اريد الحج فقال الطريق امامك قال ليس لي نفقة قال قد سقط عنك الفرض قال قد جئتك مستجديا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة (ومن النوادر) ان الاصمعي مر بحي من احياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان في الصحرا ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعي اين ابوك فنظر الصبي اليه شذرا ولم يجبه فقال له اين ابيك فلم يجبه فقال له اين ابوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفىء فاذا فاء الفىء فاء * ولما دخل المأمون مصر وصار في قراها كان يبني له في كل قرية تكية يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امراة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقفها وبين يديه التراجمة من كل جنس فذكروا ان القبطية قالت امير المؤمنين نزل في كل ضيعة وترك ضيعتي ولم ينزل بها والقبط تعايرني بذلك وانا اسال امير المؤمنين ان يشرفني في ضيعتي بحلوله ليكون لي الشرف ولعقبي ولا يشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا

وكذا فاحضرت أمة جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولده
العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي داود فاحضرت
لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت هي للمامون من فاخر الطعام ولذيذه
شيا كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها
عشرة وصايف مع كل وصيفه طبق مغطى فلما عاين المأمون ذلك ورآها قال
قد جاءتكم القبطيه بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه وكشفت الاطباق
فاذا هي ملانه ذهبا فاستحسن ذلك وامرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله
هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتامل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال
هذا عجيب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا امير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقر
بنا فقال ان في بعض ما صنعتيه لكفاية ولا يجب التثقيل على احد فردي مالك عليك
بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين هذا واشارت
الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك
وانصافك يا امير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به واخذه منها واعطاها
عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل مايتي فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبر
مروتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض في الزمن الماضي تعطي زراعها
من الخير والبركه وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث
واول من احدث بمصر مالا سوى الخراج احمد ابن المدبر لما ولي خراج مصر فانه
كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيره منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مبلحا
لجميع الناس وقرر على البهايم مالا وسماه المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر
مالا وسماه المصايد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف
المال الهلالي بالجديد وقال سيدي ابو بكر الطرسوسي دخلت على الافضل
ابن امير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد
على السلام نحو ما سلمت ردا جميلا واكرمني اكراما جزيلا وامرني بالدخول الى مجلسه
والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى
قد احلك محلا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه
واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك فلا ترضى ان يكون
احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى قد الزم الورى طاعتك فلا يكون احد اطوع
لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان واعلم ان هذا الذي
اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل
ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن الفتيل
والنقير والقطمير واعلم ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى اتى الدنيا بحذافيرها

سليمان عليه الصلاة والسلام فسخر له الجن والانس والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولاحسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف اعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف وامانا للخائف * قال رضي الله عنه ثم اتممت المجلس بان قلت قد رحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وان يحث اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة اي مصر ثم انشد يقول

الناس اكيس من يحمد وا رجلا * حتى يروا آثارا احسان

وقوله (ولا لي في الحصاد سعيف) اي ولا ادري من يسعفني في حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاونني على تحصيله على الجمال ونزوله في الجرين ودرسه ودراوته وحصاد الزرع هو ضمه بآلة من حديد او قلعه من اصله اذا بلغ الاستواء ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيعاونه عليه بالحصاد وقد شبه الآدمي بالزرع فانه في ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا كذلك الشخص في حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذا فاذا طاب وآن اوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الآدمي اذا اصاده كهلا ودهمه الشيب آن اوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع اي قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسي والمعنوي فالحسي ما تقدم ذكره والمعنوي مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل اي فعله مع غيره قال الشاعر

ازرع جميلا ولو في غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذي زرعا

ومن الحكم من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير او شر قال الشاعر *

غدا توفى النفوس ما كسبت * ويحصد الزارعون ما زرعوا
ان احسنوا احسنوا لانفسهم * وان اساؤا فبئس ما صنعوا

قيل لما ظلم احمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت يركب متى قالوا في غد فكتبت له رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها ففتحها واذا فيها مكتوب ملكتم فاسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم

ان

ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها وكبود جوعتموها
واجساد اعريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا
صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون
وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فدر لوقته رحمه الله * ثم ان الناظم
نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلى بها هو وغيره من اخوانه الفلاحين
والبطالين وغيرهم فقال *

ص * (ويوم يجي العونه على الناس في البلد * تجليني في الفرن امو طيف)

ش قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه في هذا البيت (يجي العونه) وهو اوان حفر
السواقي وضم الزرع وحفر القني مما يحتاج اليه في هذا المعنى والعونه انما تكون
في بلاد الملتزمين التي بها الاوسيه وهو ان غالب الملتزمين اذا اخذ قرية
او كفرا من كفور الريف يزرع فيها او في الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها
للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذي يزرعه زرع الاوسيه فيرسل
تيرانا واخشابا ومحاديت وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا معدا
لاخشابه وبهايمه ويقال لها دار الاوسيه ويوكل من يصرف على البهايم
وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الابار او لحفر القني
او ضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا يقال له الخفير فينادي العونه
يا فلاحين العونه يا بطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر
او لكل ما يامرهم به كل يوم من غير اجرة الى ان ينزع الحفر والضم وكل من تراخي
او تكاسل عن السروح اخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومه وبعض البلاد
تكون العونه فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت
فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا
فلا ينفك من عليه العونه منها وان مات جعلوها على خلفه وهكذا فهي داهيه
كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين ولله الحمد اراح الله قريتنا
منها انما هي قراديل معلومه على الفلاحين لا يصرف الملتزم الا خراجها باخذه
في كل سنه على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوايد ومظالم فليست
كبلاد الاوسية لانهم دائما في تعب وكد وغرامه وسخروهم زايد والناظم
كان مقيما ببلاد الاوسيه فلهذا ذكر انه اذا حضرت العونه (على الناس في البلد)
اى بلاد الناظم والناس هم المخصوصون بها لا كل سكان القرية ولعل الناظم
كان ممن يسرح للعونه لقلة زرعه وشدة فقره فلا ينفك عن غيابه ساعة عن عياله
من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا بد ان يترك العونه ويذهب لشغل
يكتسب منه فلهذا قال (تجليني) اى تخفيني عن اعين الناس حتى لا يراني احد

ولا يسمع بي (رقي الفرن) اي فرنه الكائن في داره المعد لخبز العيش ودمس الفطير
وطبخ البيسا والفول المدمس ونحو ذلك (امروطيف) اصله وطقه وذكره
بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى
مناما قال الشاعر *

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي في الفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * ارى الدار قفرا والمزار بعيد

اومن الطوفان اومن اطواف الحله التي تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة
الشغل في لزق الحله وعملها اطواقا فمن هذا اكثرها امروطيف * واما اسمها
على ما قيل نويعه وقيل خطيطه اومعيكه وهي ام الناظم او زوجته اواخته
وسميت العونه عونه لاشتقاقها من المعاونه لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها
بعضا في شغل الملتزم ونحوه اوانها اسم للجماعة المتعاونين على الشيئ ولهذا يقال
تاكوا فلانا الليلة عونه اى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة في الزربيه
اوالسونه ويعايرون بها الامرد ويقولون له انت ياخوديا بقره داماعونتك ميه
اى مايه نفس او انها من الماعون اسم للزلعه الكبيرة ومصدرها عون يعون
تعوينا اوعان يعين اعانة قال الشاعر

فعون تعوينا وعان اعانة * وكل له معنى صحيحا وقد ورد

فان قيل ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى في الفرن يتركونه ولم يشعر به احد
وهذا بخلاف ما تقدم من ان العونه لابد من الشروع اليها وخصوصا اذا كانت
مقررة على الشخص من قديم الزمان اومن زمن احداده كما تقدم فما الجواب
قلنا الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقي من ضعفاء الناس
وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره احد وانما اراد الاختفا خوفا من
اقاربه ان يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه اويشوشون عليه وهذا القول
يدل على ان العونه لم تكن مقررة عليه لانه كان في ابتداء الزمان شيخ الكفر
ومتصرفا فيه اوانه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا احضر وقت العونه اختفى
في الفرن تسترا على نفسه حتى لايراه احد كما يقال في المثل (ابعد عن الشر
وغني له وعين لاتنظر قلب لا يحزن) فاتجه الجواب عن هذا الاشكال. ولما
فرغ الناظم من شكواه من القل والعتره والقمل والصيبان وعداوة اقاربه
وما ناله منهم الوجبه والخراج والعونه ونحو ذلك شرع في تمني جملة من الماكل اورده
لشدة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا
عند الناس فتمنى ان الدهر يلطا معه ويرى ذلك اويملكه ولويسيرا قبل انقضا
عمره وابتدا بالكشك لانه افخر ماكول اهل الريف فقال

ص ولاهدى من بعدها هاده وهاده سوى الكشك لما يستحق شريف

ش قوله (ولاهدى) اى حيلى وقوتى ماخوذ من هد الحائط واصله الهدم بزيادة

الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودى بالقا كرما انس مر قلبه قد ذاب فيك اذا

افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما ركب من فعلين والهدهد طائر

معروف ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام

وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الكاذبين لانه كان رسول الطير النافية

وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل

ابن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى ان الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ

ويقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضا عمى البصر * او انه مشتق من اهدية للقارية

اللفظ * وفى الحديث تهادوا تحابوا * ويقال اصل المحبة الهدية واصل العداوة

الشكوة واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع فى النفس لو كانت شيئا

يسيرا وفى المثل هدية الاحباب على ورق السداب وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها

وانشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار هاديها

لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

(او انه) من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هد يهد هدا وهدم يهدم

هدما على اللغتين من قولهم هدك الله هدا وهدم الله هدما بمعنى انه يضعف قواك ويبطل

حركاتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحوه وقوله (من بعدها هاده وهاده) بالهاء والالف

والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين او لها مثل آخرها اذا

وقفت عليها واصلها هذا اسم اشارة الا ان السنة اهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا

هد حيلى واضعف قواى من بعد ما تقدم اولا وهو اكل المقل والسيبان والقا الحترة

ونحوه والذى اتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الخراج والوجبة والخوف من نزول

الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد فى الغيطان ونحو ذلك مما تقدم

ذكره على حد قول بعضهم

هم الفلاحة حيرنى * وكل ساعة فى نقصان

ما انفك من هم الوجبة * ما يجى مال السلطان

(فالفلاح) اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة

الماكل والمشارب ولا راحة له ابدا الا ان غلق مال السلطان واما ان بقى عليه شئ

يسير فانه دائما في افتكار آناء الليل واطراف النهار وطرد وتعب وهم وتعبا لا ان اعطاه الله تعالى البركة في الزرع فانه ياتي من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر في الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل في طلوعه وحفظه من الآفات فان الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب (لما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب) رضي الله عنه انه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من انتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزراع اقوى توكلا من غيره ان لاحظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب في الارض ان يصلي ركعتين ثم يقول الهي انا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لي فيه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد (قال بعضهم) اربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس في بيته ودعا الله ان يغنيه يقول الله الم آمرك بالسعي (ورجل) انفق ماله في معصية الله تعالى او بناء فافتقر ودعا الله ان يغنيه يقول الله له الم آمرك بالاقتصاد الم تسمع قولي والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (ورجل) دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكر يقول يا رب خلصني منه يقول الله له الم آمرك بالاشهاد عليه (ورجل) له امرأة سيئة الخلق يقول يا رب خلصني منها يقول الله له الم اجعل امرها بيدك اما سمعت كلامي الطلاق مرتان انتهى ولكن نحمد الله الذي اراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا اجدادنا فنحن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على القصاد
ركبت قصيبتي ولبست مسحي * وسرت كسيرهم في كل وادي
فلا الاجناد تطلبني بمال * ولا الديوان تطلب في عدادي

(فالفلاحة) على كل حال بلية اعاذنا الله والمحبين منها وقوله (سوى الكشك) وهو في اصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر

الكشك ذو غليظ * محرك للسواكن
الاصل در وبر * نعم الجدود ولكن

اي ولكن بئس ما خلفوا ففيه اكتفاء وصفته ان يؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مصلوقا ثم يجفف في الشمس ويدش ويوضع في اناء ويصب عليه اللبن والملح الحصر ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يختمر ويأخذ

قوامه وتفوح له رائحة الحموضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يراد من اللبن لاجل
خفة حموضته ثم يقرص اقراصا صغارا ويوضع في الشمس الى ان يجف فيؤخذ ويخزن
لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن في الماكول واما
كشك الكفور وبلاد الملق الذي ذكره الناظم فلا اراك الله مكروها فانهم يصنعونه
بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ الطبع
عن غيره محرك للضرورات وهو الذي يضرب لونه الى السمرة وكلما كان ابيض
نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور
في عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لبنه
وحسن نظافته * واما كيفية طبخه فعلى اقسام بحسب البلاد التي يعمل فيها فاهل
بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة وبالدجاج او بشئ من اصناف الطيور
الماكولة اخرى او يجعلونه بالارز فقط ويصيرونه تخينا واهالي المنزلة ودمياط يطبخونه
بالسمك البوري السمين واكلته بدمياط مرارا وابناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل
من الارز بحيث يشرب بالمعلقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه
باللحم الضاني السمين فيكون له لذة عظيمة في الماكل وتغذ للطبيعة خصوصا مع لحوم الضان
والدجاج والارز ونحوه * واما القسم الردئ المحرك للسواكن المذكور في الشعر المتقدم
فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ في غسله وتصفيته ويضعونه
في بوشة او قدرة او دست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويقيدون
عليه بالنار الى ان ياخذ قوامه ينزلونه ويخرطون بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج
ويقلون له بذلك ويغرفونه في ماجور او شوالي فخار ويفتون فيه خبز الاذرة او الشعير وياكل
الشخص منهم مترديا ومتردين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت الماء فيجد ما بقي
منه قد جمد وظهر فيه ضروس الفول فيلهط منه الى ان يكتفي وهذا يسمى عندهم هراش النجار
وهو اعز الماكول عندهم وغالبهم يصنعونه في اعراسهم كما سبق بيانه في الجزء الاول من هذا
الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم
لا ياكلونه الا من العام الى العام كما سياتي بيانه * ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه
من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شئ من التقالي عليه يسمى عندهم نيرب وهذا
وما قبله يولد الارياح ويحرك السواكن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ
الطبع وكذلك اللحم لانه حار رطب والمش الحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فتتولد
الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة * وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا اذيب بالماء وشربه
المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا تورعات ابطل من الم الحر يسقى منه يزول ما به
ولهذا يستعمله المسافرون اذا اذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم

وينفع من الجرب ضرب السياط طلاء وله منافع اخرى مذكورة في كتب الطب * واما اهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا لا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب ماكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه في بلادهم (قيل) ان رجلا من اهل الصعيد من نواحي قنا وقوص اتى مصر ليشتري جارية للخدمة فرأى جارية تباع باغلا ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسني الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من اى البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى الطعام فاخبر فان ماكول اهل بلدك في كل سنة ستة اشهر ويكه وستة اشهر ملوخية فلا يحتاجون الى الطعام فاخبر بغير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الاخر المسمى بالسريح وما معنى قول الناظم انه هديه له عند مشاهدته وقرب غرفه وشم رائحته (الجواب المشرح) ان لفظ الكشك هذه من الالفاظ المقلوبة التي تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش ورباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس وقاع مركب بكر معلق وحسك نتن وقع عيوز تنكسر وقد ورد ذلك في القرآن العظيم في قوله تعالى وربك فكبر كل في فلك وغير القرآن مثل حماك الله تحت كلامك علو بحب قلع (ومن النظم قول الحريري

اس ارملا اذا عرى * وارع اذا المرء اسا
اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

(وايضا) ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره واول الكشكة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى او انه عند وضعه في الشمس يكبش وينضم من حرارتها او انه من قول بعضهم اكل فلان الكشك عند فلان بمعنى انه اكل اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصار مثل ماجور الكشك او من قولهم للكلب كش كش اذا ارادوا انه يلقوا له شيأ ياكله ينادوه بهذا اللفظ او من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب يجعله الاكابر للجلوس او ان الكشكة لما صارت ممدودة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ واضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدر كشك يكشك تكشيكا (واما تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش في الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن في الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها النهم والعكوس وناهيك بعجائز اهل هذه البلدة اى مصر فانهن سم

من

ن غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا الماكول سمى بهذا الاسم اوانه من باب هرش المعدة (واما تسمية النوع الاخر نيريب) فلعله من النيروب على وزن الدبلوب اوانه نسب الى رجل اسمه نيريب على وزن اربنة حيوان يحل اكله فحشوا الا الناس فى اللفظ فقالوا نيريب اوانه فعل فى زمن النيروز فقالوا اولا نيروز فالتبس الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى الذى فى اخره بالباء الموحدة وقالوا نيروب وقول الناظم انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلت لحمة عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران (فمن هذا) اذا راه قد قرب للاكل يتحسر ويتاسف وخصوصا (اذا استحسن غريفه) اى لما ينتهى طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه واصله لما يستحق الغرف بآلة التغريف لكن حذفه وزاد الباء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة لخرافها فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة يتهد حيله لان همة الشخص طول عمره وبطنه وفرجه كما قال ابن عروس فى ديوانه

الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها
ما ضرنى غير بطنى * والى مد لى حداها

وقال بعضهم مواليا

يا دنية الشوم طول عمرى وانا اشتد
فى هم ذى البطن اللى ما تريح حد
اصالل ابتى واجى بعد العشا امتد
اقوم فى الصبح القى ما ينبتوا تهد

(فمن هذا) لم يقنع الناظم لانه لا يقضى مراده ولا هو من قسم النحل يعيش بالشم بل من الادميين وخصوصا من اهالى كفور اهل الريف يفطر الشخص منهم على مترد او مترديين من الكشك او البيسار او الفول المدمس كما سياتى فلا لوم عليه فى هد حيله (يحكى) انه ركب المامون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس بطنى فجس ونظر وقال له ما تشتكى يا عليان فقال له اشتكى اسى فقال له بختيشوع خذ لك عود اراك ودسه وراك فهو صالح لذاك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذاك ونحن نجرب دواك فان عافانا الله بذاك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك المامون حتى استلق على قربوص سرجه (ويذكر هذا المعنى) تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء انه جلس فى بعض الاسواق ينظر فى امراض الناس فاتى اليه رجل لطيف الذات من ابناء النعم وذوى الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه وقال له

انظر مابى فجس بنطه وقال له ما اكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال له خذ لك يسيرا من الزبيب والسنامكى ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفا ثم قام من عنده واذا برجل من اهل الريف كانه فى الشكل هبل او سادية من فوق الجبل اقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الدبيب وقال له انظر ما بى من المرض بلطف فانا لمص فى بطنى بضعف وقدم له يدا كانها خشبة وساعدا كانه خطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذى دهاك وما اكلت اليوم فى فطورك وغداك فقال له انا احكى لك وحق تربة ابو طبله وتربة معيكه ابن ابو جعمرانا الماقمت من النوم لقيت امراتى ام معيكه حاطا بوشة بيسار كبيره وكنت اسحر العيش ولهطت منها مترد مترد مترد ين قل ثلاثة فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام دعموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه مترد مترد ين قل ثلاثة قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت الغيط وعند الحاج عنطوز غيط فول كلت شمال قل شمالين او ثلاثة ورحت من الغيط عند مشد الكفر فلقيت عنده كشك لهطت منه مترد ين قل ثلاثة ورايت عند ناعرس فى الحاره رعزمونى ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كثير كلت من ذاك الطعام مترد ين قل ثلاثة ورايت عند ناخيارا اصفر كلت كوم كومين قل ثلاثة وجيتك تنظر حالى فانى بلمص فى بطنى ضعف (فقال له الطبيب) خذ لك من الزبيب قنطار قنطارين قل ثلاثة ومن السنامكى كذلك ومن السكر كذلك فقال له انا سمعتك بتوصف لى سالك قبلى شئ قليل من السنامكى والسكر والزبيب وتوصف لى قناطير فقال له يا الخرى الفلاحين وهل يصلح هذه الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشربات ثم اخذ خرجه على كتفه وحلف انه لا يجلس بقية يومه فى السوق من اجل هذا الفلاح فانجلى المقال عن معنى هذه الاحوال واتضحت العبارات عن هذه الخرافات (ثم ان الناظم) لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شئ اغلظ منه لانه مستعمل عند اهل الريف فى غالب ما كولهم فقال

ص ولا شافنى الا المدمس ودحتو على من بحته حفنه بنص رغيف

ش (وقوله) ولا شافنى من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال السيد عمر بن الفارض (ولولا كم ما شاقنى ذكر منزلى) وشاق على وزن فاق وهو صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل فاق يفوق فوقا والمعنى انه يقول ما اكثر شوقى وزاد هيامى الى شئ من جميع الماكولات (الا المدمس) ماخوذ من المدمس لقوله يدمس فى النار كما سياتى ومصدره دمس يدمس تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفى وحضرى وان كان الاصل واحدا وهو

الفول لان الشئ يشرف لشرف بشرف الاماكن تارة وبالصنا عة الجيدة اخرى
(فاما الحضري) وهو ما يباع في مصر وغيرها من المدن فانهم ياخذون الفول النقي
الابيض ويتركون منه الردئ ويضعونه في قدر كبار واسعة البطون ضيقة
الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عند ما يتناوله منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء
الحلو الرائق ويسدون فم القدرة بشئ من الليف النظيف او اناء طاهر سدا محكما
ويدمسونه في نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفران
ونحوها ويتعهدونه بالسقي كلما نشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو
رائحته ويصير في غاية من حسن الاستوا يشبه في لونه الذهب وفي استوائه
الحلوة مثلا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا ارادوا اكله اشترى الشخص ما يكفيه
واضافوا اليه السمن البقري او الزيت الطيب وقشطة اللبن واحضر الخبز الابيض
النظيف وربما كان مصحوبا بالكرات الاخضر والليمون او الخل فمن هذا يصير
غذاء جيدا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويصلحه قليل من الصعتر
خصوصا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفي الشخص به عن غيره من الصباح
الى المساء (واما النوع الريفي) وهو ما يعمله اهل الريف الذي اشتاق له الناظم
فلا اراك الله مكروها اذ كنت ما ذقت الخرا فكل منه فانهم ياخذون الفول
ان كان جيدا او رديئا على سائر اوصافه وربما اخذته زوجة الفلاح من
مدود البقرة او الثور ونخت ما عليه اثار التبن ووضعته في اناء يقال له
البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك او من مقاطع النيل
التي تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بشراميط الكتان او بخرقة فيها الدناسة
وتضعها في محماة الفرن الملانة من الدمس والجلة وربما وضعت لك عليها نفر
وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول
بروائح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم
وظهرت له رائحة كريهة ثم تاتي بالمترد وتهز البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس
الشخص منهم مثل الكلب الكاسر وتاتيه بخبز الذرة اليابس او خبز الشعير
ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطنه فاذا اكلت منه فكانك تاكل من زبل الغنم
مثلا ومنهم من ياكله بالكرات او البصل وربما اضافوا عليه شيئا من الملح
او الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار ومنهم من لا يكون
عنده خبز فليسفه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى ان
يكتفي ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت
ويخرج مثل العفريت فهذا مذهبهم وصفته كما ذكرنا اراحنا الله

من ذلك وقوله (ودحيق) اصله وراتحنه حذفت الهمزة للضرورة او جريا على اللغة الريفية اى شاقنى رائحته الممتزجة بالروائح المتقدمة اللذيذة عندى اذا اشتهيته فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا اجد ذلك لشدة فقرى والريحة مشتقة من الريح او من الروائح او من ابو رياح الذى تلعب به الصبيان او من الراح وهو من اسماء الخمرة (قال الشاعر)

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تزكو وتخبث اذ مرت على الجيف

او من قولهم مواليا

ايش قلت ياصاحبى فى رايحه جيه
من تحت حيطه وهى ميته حيه
وقاعده واقفه على الارض مرميه
وجايزه راقده فوق حيط مبنيه

وهى المعدية على حد قول بعضهم

المعديه رايحه جيه * تنسحب بالحيطه
يا ابو جبه * الا انا زليت

ثم ان الناظم لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وان من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (على) هذا من حروف الجر الا انه وقع هنا فعلا والمعنى على وارتفع قدر (من حتى جفنه) او على جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع (قال الشاعر)

على زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * بابيض ماضى الشفرتين يمانى

او يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال من جاءته اى حصلت له جفنه ملآنة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية او صدقة وحصل له معها (نص رغيف) حذفت الفاء من نصف جريا على اللغة الريفية كقولهم نص نصف او من قبيل الاكتفاء او من جهة الترخيم كقوله (افاطم مهلا بعد هذا التدلل) فكون يومه ابرك الايام واسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نص رغيف ولم يطلب رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول المدمس حامى الطبيعة فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كاف له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا او من باب سد الجوعة والجفنة اناء كبير معد لوضع الطعام (قال بعضهم) يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن

كل بليف بطنه خابيه * واذا صفقة كانت خابيه

(وفى نسخة اخرى) بالحاء المهملة اى حفنة من الفول المدمس والحفنة ملأ الكف

الاسنان مع انضمام الاصابع بعضها لبعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبين جفنة وجفنة
للماس المصحف وهى مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما ان الجفن حافظ
للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسرى فى اجفانها وتطبق عليه وتحفظه
حتى تؤثر فى قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك (قال الشاعر)

اقول لمقلتيه حين نامت * وكحل العين فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

ومصدره جفن يجفن جفنة (ثم ان الناظم) تمنى ماكولا آخر من غالب ماكول
قريته اغلظ طبعا من المدمس فقال

ص على من رأى البيسار فى الجرن جالو * ويدعس ولو كان بالفلنج ضعيف

ش قوله (على) تقدم معناه فى البيت الذى قبله (من رأى) رؤية بصرية
(البيسار) وهو نوعين ريفى وحضرى كما تقدم فى غيره (فالريفى) مركب
من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لا غير وكيفية طبخه عند اهل
الريف انهم يضعوا فى البوشة الملوخية الناشفة وشيأ من الفول المدشوش
ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة فى الفرن الى قرب الاستواء فيخرجونها ويتركونها
بالمفراك الى ان ياخذ ما فيها قوامه وينهرى الفول وتفوح رائحته فيصدونها
فى الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها ماء اذا لزمها حتى يستوى
ثم يقلون له بشئ يسير من الشيرج او الزيت الحار بالبصل ونحوه ويغرفونه فى شالية
او مترد ويفتون فيه الخبز الشعير او فطير الاذرة حتى يصير مثل الكرسوع ويأكلونه
بالبصل الاخضر او الناشف فيأكل الشخص منهم المترد الفت او المتردين فى الغداء
والمتردين فى العشاء ويصحب نوبته وحده وتنطف قفاه ويسرح بالبهائم
او للضم او للحراث وهذا غالب ماكولهم خصوصا فى رمضان وقت الفطور والسحور
حتى يصير الشخص منهم كأنه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل هو
هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتخرج الروائح فى بطونهما وتخرج من بينهما
مثل الزوابع فيكون هذا بخورها طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم الا وجبته قد فاحت
رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع زوجته تلك الليلة فيكون حظهم
ضراط وعياط وشياط فهذا حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح
(واما النوع الحضرى) فما الذه واشهاه وما اطيبه واهناه وهو ان الشخص من اكابر مصر
او غيرها من المدن التى تجلب اليها الملوخية وتزرع فيها اذا اشتهى اكلها فعلى فضة
منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها او يأخذها
فى بلية ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجاته او خادم فتضعها فى دست نحاس

مبيضة والمجمرة رومية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء العذب الزلال الرائق ويقاد
عليها بالحطب الرومي حتى تأخذ قوامها في الاستواء ثم تفركها فركا لطيفا ثم تقليها بالثوم
الشامي والبلدي ممزوجا بالسمن البقري وتضيف اليه دهن الالية وتلقي عليها شيأ من
البهارات كالقلقل وما اشبهه وشيأ من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها
شيأ يسيرا من الفول المدشوش ولكن يزيد في الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول
ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكباب
من لحم الضأن ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب (ونوع آخر) وهو انها اي
الملوخية تؤخذ وهي خضراء نضرة بنت يومها وتخرط خرطا جيدا وبعض ابناء الزرد
يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع
ملين الطبائع لما فيه من البرودة ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة
في الجسد (ونوع آخر) وهو الذ واشهى مما تقدم واقوى نفعا واعظم ماكولا وهو
اخذ الملوخية وهي صغيرة في ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفراريج
والاوز مع كثرة الادهان او بلحم الضأن واهل مصر يرغبون في هذا النوع
ويفعلونه كثيرا حتى ان الشخص منهم لينفق على طعام الملوخية في ابتداء امرها جملة
من الدراهم ويدعوا غالب اصحابه ياكلونها وتكون عندهم الذ من طعام الاعياد ويتحدثون
بهذه النعمة ويقولون عزمني فلان واطعمني الليلة الملوخية الجديدة بركة السنة
وربما اكلوها بالخبز النظيف المقطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء او الشمر فيغمسونه فيها
حتى يتشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة وهذا من جودة
رايهم وذكاء عقولهم وحبهم في الشيء عند ابتداء طلوعه كما يقال (لكل جديد له لذة
وكل قديم له هجران) (ويقرب من هذا المعنى) قول ابن عروس في ديوانه

اول زمانك يعزوك * غالي ووقع في يد غالي
واذ دبت يا شاش رموك * والي جرى لك جرى لي

(فان الشيء) في ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال (ونوع آخر) يسمى
بورانى وهو انه تقطف اوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون بها كما مر ولهذا
ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به انه يستحب الاكل من الشيء عند ابتدائه
اي ابتداء طلوعه مثل الخضروات وغيرها من الفواكه فان نفعه في ابتدائه اي ابتداء
الكثير من نفعه في انتهائه واهل مصر على هذا القدم يسعون في اخذ الشيء في ابتدائه ولا
يلتفتون اليه في انتهائه جزاهم الله خيرا عن مروءتهم وادام سرورهم بانسهم وطيب معاشرتهم
واما ما ذكره الناظم من الريف وجهله وغلظ ماكوله وطباع اهله (سؤال) ما الحكمة في تسمية
الملوخية بالفول يليها وما الحكمة في تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما معنى ذلك

الجواب

(الجواب المشروي) على وجهين (الاول) ان الذى اخترع البيسار فى الاصل كان ابوه فلاحا يزرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة فذهب ذلك الرجل الى غيط ابيه المذكور وسرق شيأ من تلك الملوخية واتى به الى زوجته فقالت له ما تريد بهذا فقال لها قصدك اصنعه طعاما ثم اخذ ورقها ووضعه فى بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير والقى فى البوشة شيأ من الفول المدشوش اخذه من مدود الحمارة فامتزجت الملوخية بالفول ثم اخذ البوشة بعد استواء ما فيها وغرف فى مترد وجلس ياكل منها فدخل ابوه وقال له ما هذا الشئ الاخضر ودلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط ابيه فتضارب هو وابيه وحلف ابوه انه لا يمكث فى البلد وركب حماره وسار الى بلد اخرى فسار ابنه ينادى ابى سار ابى سار فحذفوا الالف من ابى وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار (وافادنى) بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها اخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى لسان حاله بيسار اى سار طعمى بهذا الفول طيبا والوجه الثالث انه مركب من البسر او من البسارة من قولهم فى معنى ذلك

سعيد كانت مزاره * واتحب طبيخ البيساره

(واما) الملوخيا فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها فى ديوانه بقوله فى هذا المعنى ابو قردان زرع فدان ملوخيا وبادنجان ان هذا الاسم نبات اخضر انضر واصله يا ملوخيا فاخروا حرف النداء وابو قردان اول من سماها بذلك على ما قيل وسبب ذلك انه لما زرعه فى فدانه وصلح للطبيخ ملخ منه شيأ وتركه فى مكانه وذهب لبعض لشانه فجاء بعض اولاده واخذه فلما رجع لم يجده قائما بحذف حرف النداء لظنه قربه منه وقال ملوخى فلم يجبه بشئ فاتى بحرف النداء وقيل انه يقول ملوخى اتاه ولده واعلمه باخذه فادخل على قوله ملوخى ياء وادغمت الياء فى الياء فصارت ملوخيا انتهى وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس فى الاطعمة الطف منها ولا اكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء فى منافعها كتابا بطيلا واما نهى الحاكم بامر الله عنها فقيل لسيدنا معاوية رضى الله تعالى عنه انها لانها كانت احب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها وقوله (فى الجرن) وهو محل دريس الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقور الذى يدق فيه بن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه فى هذا المحل على بعضه كالكرم وصار ياخذ من حواليه شيأ بعد شئ ويدرسه بالنورج وهذا الماخوذ يقال له عند الفلاح دمية وقيل اصل الجرن الجرم بالميم بدل النون ماخوذ من جرم اللحم وهو اخذه بالسكين من على العظم ابدلت الميم نونا لعلاقتها فى المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح او الفول

او ما التقى اليه من الجوب ويخلصه مثل ما تخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ
على الجرم الذى يحمل من الحوض وقوله (جا لوا) بالتخفيف اى جاء اليه والضمير راجع للبيسار
اى من رأى البيسار جاء اليه وهو فى الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج او وهو يجرش
لانه يكون فى هذه الحالة فى غاية التعب والجوع ولهذا قال (يدعس) اى يأكل بحرفه
وعجله من غير تأنى فى المضغ والبلع والمدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى
ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل
المضغة وفى المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك فى اكلتك (مسألة) وهى
وهى ان الناظم نسب المجئ للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى
ذلك فى الحكم (الجواب القشروى) ان هذا على تقدير حذف مضاف اى جاء به
رجل حامله حتى اوصله كما يقال جاءت السفينة مثلا اى جاء بها الملاح وكما
تقول جاءنى متردد لبن وطاجن مشمش وصحن عدس وكذلك مثلا فعلى هذا
الاشكال فى كلام الناظم وقوله (ولوكان) اى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو
الناظم بمرض (القلنج ضعيف) واصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اى سقيم
والقلنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى فى الاعضاء فتكد الانسان عند هيجانها
وتمنع النوم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة
عند ملاقاة الحر الشديد والانتباه من النوم وعلاجه اكل الصبر الاخضر على
الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان
العلة عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح السارية ويؤخذ له
وعلاجه ان يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس وبزر
حلبا ويتر وقدر الجميع سكر ابيض ويدق دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمل سفوفا
يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع ويجتنب صاحب هذه العلة
الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة اكل الاشياء الباردة خصوصا
عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره
وجوعه وعدم شئ يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه وشبع منه ولوكان عليلا
بمرض القولنج ولوكان فى اكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة
الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه اذية بالغة
(فان قيل) لاى شئ ذكر هذا الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له
مع انه من اهل الريف وما اشتقاق اسمه (الجواب القشروى) انه انما ذكر هذا المرض
لكثرة ارياحه منفعة فيكون من باب المبالغة فى الشئ والبيسار يضر صاحب
الارياح مرارا بالنافخ وسيما اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فتملأ البطن

ادلجا

ارياحا ويكثر فيها الفساد والضراط فيكون مرضا على مرض فيتمنى ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر ويموت في الحال واما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصف او سمعه من غيرهم واما اشتقاق اسمه فلعله من الفوق او الفقه وهي طائر قدر الحمامة كبير الراس ويقال لها البومة تاوي المكان الخرب وفي المثل (اتبع البوم يوديك الخراب) وقد يشبه الشيب بياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

ايا بومة قد عششت فوق هامتي * على الراس مني حين طار غرابها

رايت ذهاب العمر مني فزرتني * وماواك من كل الديار خرابها

(وتذكر البومة) التي تاوي الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكا الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد ان يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه خارج المدينة الى ان مرا على اماكن خربة فسمع الملك ذكر بوم يصيح على بومة فقال للوزير ما احسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك اندري ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها وموصوف بحبها ويقول لها يا سيدة الطيور ونجز الاحباب مرادي وصالك والتقرب اليك في الحلال فقالت له لا تقدر على صداقي ولو اشغفك حبي واشتياقي فقال لها وما صداقك فقالت عشر مداين خراب فقال لها البشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذي لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم انه في غفلة عن الرعيه وانه في ظلم وبلية وانه نصحه وارشده بالعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه اظهر العدل في الرعية وازال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدهم من وقته وسا وارتاح الناس من تغيير حالتهم ثم ان الناظم اشتاق الى ما كول الخبز يصنع في الريف وغيره فقال

س على من قشع خضنة لليلة ملانه   ولو كانت بالاقلفاس ياد نديف

ش (قوله) على من قشع اي نظر بلغة الريافة يقال قشعك اعدايك و قشعوك المحل الفلاني اي رايته ويطلق على مسك الشيء يقال قشع السحاب اي مال وانكشف الى محل آخر (ومن العجائب) انه شخصا سمع هذه اللفظة من طائر في بعض البساتين بنواحي الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج في بستان وياكل مما اسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول

شغلته وشغلك دوح فخرج هاربا وظن ان صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما العجلة فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهيه ولا تخش من احد هذا طائر وليس با نسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فتعجب الرجل ودخل واكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله (وقد سمعت) وانا متوجه الى الحج فى البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين والف طائرا فى غيط قمح يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الاول وسمعه كل من فى السفينة (وذكر الحلبى) فى السيرة النبوية ان غرابا كان يحفظ سورة السجدة فاذا سجد قال سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى (ومن العجائب) انه اهدى لبعض الملوك طائر له اربعة اجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف على راس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويسكت ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله (بجفنه) تقدم معناها (ببليله) اسم للقمح المسلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع ايضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل طبعه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة الكهف واما البليلة المذكورة فى النظم فان اهل الريف يصنعونها طعاما وهوانهم يضعوا القمح فى البوشة الفخار وربما اضافوا عليه ما تيسر من الحمص ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى ان يستوى فياخذونه ويا كلونه بخبز الاذرة والشعير ويا كلونه منه بغير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع منه الشخص بالكف ويبلع ويقلون له بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر منهم يجعلون فيه بعض قلقاس وتسمى بليلة لبلها بالماء فى حال صلقها اولرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهايف المرخى الاكمام البارد القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة او عويلة ومصدرها بل يبل بليلا وقوله (ملانه) راجع للجفنة (ولوكانت) البليلة التى هى الجفنة (بلا قلقاس) اى فلا حاجة له به انما مراده شئ يسد الجوعة يقال له طعام والقلقاس من ماكولات فصل الشتاء وهو الذى ما يؤكل فى هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا فى ابتداء ظهوره اذا اكل باللحم الضانى واضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه ولجوده الرؤس الآتى وكذلك الصوابع وهى الرفيعة التى تشبه اصابع الآدمى لان ذلك كله سريع الاستواء

وارداه الاحمر لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا اكل الفلقاس مشويا منع الم الكبد وسكن ضربان البواسير واكله نيئا اليس فيه فائدة ولا منفعة (فائدة) اربع قافات تستعمل في فصل الشتاء وهي القلقاس والقسطة والقصب والقسطل وسمي قلقاسا الاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين المقلقس اي اليابس لانه اذا اقلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقسة وهو مركب من فعلين ماض وامر قال بعضهم

فان سالوك عن قلبي وما قاسا * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا

ثم ان الناظم لما اشتوق للقصعة ملانة من اى طعام كان فقال

ص على من جتو قصعة وهو بيحرت * ويقعد يحرف للحنك تحريف

ش (قوله على من جتو) اصله جاءته (قصعة) اى جاء بها واحد من الناس لاهي بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب مدور معد للطعام وغيره واما الذي على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس ياكل منها يقصع ظهره اى ينحني ويأكل فيكون من باب تسمية الشئ باسم صفة الآكل منه او من قصع القملة والبراغيث (وقوله وهو) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم وجريا على لغة الريف وقوله (بيحرث) على وزن بيضرط فيهما بيقين اى بوقت الحرث من اى طعام كان من عدس او بيسار او غير ذلك (ويقعد) تعدت سيحان تمانه مما قاسا من مشقة الحرث وغيره (ويحرف) او يغرف اى يكون كفه حكم المحرفة التي تحرف الشئ (للحنك) من التحنيك على وزن التحكك او التدكك ويطلق على الفك الاعلا والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه ايضا يقال فتح فمه وفتح فاه (قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى)

فمي يحدث عن سري فما نطقت * سرائر القلب الا من حديث فمي

وقوله (تحريف) اصله بالالف لانه مصدر وسكن لاجل الروى اى يحرف للحنك الذي هو فمه تحريفا زائدا متتابعا بسرعة وعجلة حتى يكتفي ويشبع الشبع المفرط لما ناله من الم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضي مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره (ثم ان الناظم) لما اشتهى ماكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من ماكول اهل الريف (فقال)

ص على من دعس بالعزم في المش بالبصل * ولو كان بالكرات كان ظريف

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) اى بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد اى قوة زائدة (في المش) اى مش الجبن القريش الازرق الذي مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته

لان هذا غالب ماكول اهل الريف فى الغداء وربما اكلوه فى العشاء ايضا فاتى الشخص
منهم بالمترد المش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر او الناشف وياكل حتى
تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسيح العيط
او يحرث او يدرس ، والاكابر منهم تضع عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وتعصر عليه
الليمون خصوصا بالبصل المخروط فان الذى اكله بغيره وبعضهم ياكله بالكراث
ابو شوشة فيكون اقوى فى جميع الارياح خصوصا اذا كان فى دويرة ضيقة
فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها (والمش) على اقسام
مش حصير وتقدم معناه ومش مجيرة وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة
ولذة ويقال له مش جابن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره
ويقال مش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم
آخر يقول له ردم اهديم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعترى
الخيل والحمير يقال له (جاك المشش) اى ابلاك الله به والاول الذى هو
المش الحصير ينفع من الجرب شربا والثانى ينفع السدد ويقوى المعدة والثالث
ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير او انه مشتق من المشى لانه اذا اصيب على الارض
صار يمشى عليها ان لبسح فيها (والبصل) حار يابس وقيل رطب يمنع البلغم الا انه
يضر الشقيقة وصداع الرأس ويولد ارياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث
النسيان ويفسد العقل (واما منافعه) فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير
المياه ويفتح الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق
وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك
واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو سقط شعر الرأس والاكتحال
بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا اكل به (ولو كان بالكراث كاضرنيف)
اى لانه حار لين يهيج المعدة والدم الا انه مثل البصل فى ظلمة البصر وتولد الارياح
كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير ويصلحه الاكل بالشيرج واكل
البصل والثوم والكراث نيئا مكروه لداخل المسجد ان لم تزل رائحته (فائدة)
رايت فى بعض الكتب ان جميع البقول نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة
والسلام الا الكراث (واما بصل) العنصل فله خواص جيدة مذكورة فى
الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا ان الثعلب اذا خاف
على نفسه من الذئب ياتى بالبصلة منها ويضعها على باب جحره واذا رآها
الذئب او شمها هرب ولم يات اليه فتكون وقاية له فسبحان من الهم هذه

الحكمة وقوله (ضريف) اصله ظريف بالظاء المشالة لا بالضاد المعجمة اتى بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية اى كان فيه الظرافة بمعنى انه يكون اخف ضررا من البصل وان كان اقوى اريا فانه اعظم شهوة والذ اكلا فلا بأس به اذا احضر فيكون هو المراد (ثم ان الناظم) اشتهى شيأ من الالبان يشربه (فقال)

ص على من شرب مترد ملان مطنبر * من اللبن الحامض مرق رفيف

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى فكلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا لا ما وضعه الانسان في فمه واخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار احمر اصفر من التاليس وهو غالب اوانى الرياف خصوصا في اعراسهم واصله مركب من فعلين مات ورد لانه لما عمل مترد وهو على وزن مفعلل لا مسند فسمى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه ظرف للمحواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمى بهذا الاسم لتردد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف او انه عمل بمدينة تسمى ماتريد التى ينتسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملان) اى غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم يقتنع برؤيته فتمنى ان يكون ملانا وقوله (مطنبر) على وزن مزنبر او مطرطر يقال كس مزنبر وزب مطرطر اى عالى عن سواه فهو لشدة حموضته وبيسه يقال فلان بطنه مطنبر اى منفوخ ومات والطنبر اى انتفخ كما يقال دم يطنبر بطنك مثلا اى تموت وتنتفخ ويقال للشد الجازى المعمول بالحرير الاصفر والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا اللفظ لكونه اذا اهل الانسان على راسه صار كبيرا عاليا مطنبرا كما يعلو اللبن الحامض عن حواف المترد فهو مشتق من الطنبرة وهي التحليك للاولاد الصغار (قال الشاعر) اذا كنت الانى وطبعات رق طنبر مرقه واشتهى بها المشوق (واصل) هذا الكلام ان شخصا من الفساق له ولد او اراد ان ينيكه لرفق لون العيال فذكر فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرنى منه غير هذا المطلع او انه من الطنبورة على وزن العصفورة (قال الشاعر)

ابا عصفورة البستان كم ذا تنتشى * بايد يلة وريطيك ما في الارض شى

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضة لعدم وصول اهل الريف الى اللبن الحليب فلاجل هذا قال اشتهيه ولو كان حامضا لان غيره بعيد على وخصوصا اذا كان في شدة الحر فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حموضته معتدلة فانه بارد رطب

واما اذا خرج عن الحد في الحموضة فيضر وكلام الناظم يدل على انه انما اشتهى ما لم يخرج عن حد الحموضة بدليل قوله الآتي يرف رفيف واجود الالبان لبن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء وقوله (يرف رفيف) اي صار من الحموضة الشديدة يرف كما يرف جناح الطائر بمعنى انه يسمع له غليان وبقبقة تحاكي رف الجناح ويرف على وزن يسف او يلف ورفيفه مصدر حذفت منه الالف كما سبق في نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذي يجعل في البيوت او من الرفرفة التي يجعلونها قبل رمضان او لخر شعبان من الدجاج او من الاوز وغيره ذلك (ثم ان الناظم) تمنى شيئا اخر تستعمله اهل القرى القريبة من البحر الملح او من البحائر المالحة ونحوها فقال

ص على من جتو ام الخلول الدارو * ويعزم على اهل البلد ويضيف

ش قوله (على من جتو) اي جاء ترابوا سطة وحضرت اليه ام الخلول وهي حيوان يكون من داخل المحار الصغير الذي يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح او جوانب البحار المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه ابيض ثخين يشبه لون المني او المخاط فياخذونه وينزعونه من هذه المحائر او القواقع ويضعون عليه الملح والخل والليمون وياكلونه وربما اخرجوه وهو طري ولوثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح انواع اكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تمجه وتاباه وتعافه الانفس واما طبائع اهل الريف فلا تنطا لبنابها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع في نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن ان ياكل منه ولا يراه لان رؤيته تورث القرف فضلا عن اكله وكنيته بام الخلول لتواتر الملح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (الدارو) اي دار الناظم بمعنى انه لا يتعب في مجيئها بصيد ولا مشتراه بل يصير يراها في داره اتي بها على سبيل الهدية والصدقة وقوله (ويعزم على اهل البلد) اي يجمعهم لهذا الماكول النفيس الذي يشبه عفف الكلاب ويضيفهم في داره اي يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان اي عزم في نيته وجزم في يقينه انه ياخذه ويكرمه او عزمه بمعنى اذن له ان ياتي الى داره ويكرمه بطعام او غيره (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له لان العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم بالنية او لا على ان هذا الشخص لا بد من حضوره وانه يضاف اليه اي يتعزل الى المحل الذي يريد اكرامه فيه او المعنى واحد فيكون من اضافة الشيء الى مرادفه ومصدره ضاف يضيف ضيافة او ضيوفا وسمي الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى انه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين

فمفصله عن الاضافة قال الشاعر كأنى تنوين وانت اضافة فحين ترانى لاتحل مكانيا
فابحث المعنى المشروح عن البحث المبالى ثم ان الناظم انتقل من تمنيه الى شئ اخر فقال

ص انا ان شفت عندى يوم طاجن مشككك * فهذاك يوم البسط والتقصيف

ش قوله (انا) يعنى يوسف الشربينى لا غيرى (ان شفت) الشوف ضد العمى او من الشوفة بمعنى رايت (عندى يوم) فى المنزل او فى المحل الذى انا فيه او الغيط او الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لايكون استواء الطعام فيه الا فى الفرن لانه مشتق من التطجين او من الطجانة او من وطء الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى ان انسانا وطئ جنا اى اسم جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره انت اى طا انت جنا ومثله طافية اى طا فئة اى طائفة من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم فى اسم جماد خفاف واملاه ماء ومن النظم قولى فى اسم شحاتة (سلب الناس لا لا والف من بعد شح قلت يدرى به كما لا تم معناك بشرح) ولم ار فى المعميات ارق من قول بعضهم فى اسم احمد وراكعة فى ظل بان تعلقت بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر وقوله (مشككك) على وزن محكمك اسم للطعام الذى تمنى رؤيته والاكل منه وهو صلوح الفسيخ يأكلون لحمه ويأخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيئا يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى ويأكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيئا من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نسائهم كأنه خاروف مشوى ولهذا قال (فهذاك) بالذال المعجمة جريا على اللغة الريفية كقول بعضهم فى هذا المعنى مواليا للذوريتين على الخدين ياهاذاك والى بلانى بعشقك آه لو ابلاك وحق من سبحت لو الاملاك لومات لى كل يوم اخين ما اسلاك وقوله (يوم) اى فهذا اليوم الذى يأتينى فيه الطاجن المشككك هو يوم (البسط) ضد القبض اى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحضور المرغوب فيه وسعة وسرور اهل المنزل والجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الى قال الشاعر

انى من اطيب اوقاتى حين اكون مبسوطا بذاتى

(والتقصيف) عطفا على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم مقصيف بتشديد الصاد المهملة اى مسرور فرح ماش مشية الخيلاء متعوج يسير ويسكن ويلقى اطراف البردة تنجر على الارض او انه لبس اليوم قميصا جديدا او ارخى فوقه البردة وهو اليوم مقصيف الكفر بمعنى ان ما هناك احد فى الكفر اشلب منه

ولا اعبق اوانه مشتق من قصف العود وهو كسره اومن قولهم قصفه بجحك او فلان جو قصف مثلا (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب الفشروى) ان يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه فى طعمه المش والكشك اذا اختلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين مع تغيير الحركات وقالوا مشكشك او انه ماخوذ من شكشكة المرأة انه بعود او بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله او من قولهم شكشكه بالابرة او انه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذى اصطنعه اولا لما طبخه شمه فقال ما شم هذا فقال بعضهم شم كشكا اى شم طعاما رائحته فى الحموضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوها علما وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وبجرها لكافين فاتحة المقال عن هذا الهبال ثم ان الناظم اشتهى شيئا اخر من الخضراوات يطبخ ويؤكل عنده او انه هو الطيب ماكول اهل الريف فقال

ص متى انضر الخبيز فى الدار عندنا * واندفس منها بالعويش بذقنه

ش قوله (متى) اى احين واى وقت متى (انضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى اى انظر بعينى لا باذنى ولا بفمى لان النظر خاص بالعين قال الشاعر عينى نظرت وانتى من غيبى * ما تقتلنى الا سواد العين (الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة وجمع الخبيز على خبوز وخبايز وخبازات وهكذا من هذه الجموع المشروحة وثانية خبيزة وهى المرادة بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سياتى فى قوله واندفس منها وهى مشتقة من الخبز لان ورقها فى التدوير تشبه اقراص الخبز وهى تنبت فى اطراف الزرع من كثرة الامطار وفى الاراضى المنخفضة وغيرها واجودها ما كان ساقه طويلا وورقه عريضا شديد الخضرة وهو النابت فى جوانب الزرع او النابت بالبذر وارداها قصيرة الساق المائل ورقها الى الزرقة وهى البعيدة عن الزرع والماء وهى التى تطلع وتنبت فى المقابر وفى منخفض الارض المسبخة وهى باردة رطبة تلين الطبيعة وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهى قريبة فى اللطف من طعام الملوخية اذا عملت بالشروط الآتية ثم ان اهل الريف ياخذون ورقها ويخرطونه مثل الملوخية ويضعون عليه الكزبرة الخضرا ويقلون لها بالبصل والشيرج ويغمسون فيها الخبز الشعير وياكلونها وهى غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيئا ما عدا البصل والشيرج وشئ يسير من الكزبرة كما تقدم فهى غالب ماكولهم فى زمن الشتاء كما تقدم واهل بلاد البحر يطبخونها بالاوز والدجاج

وغيره واهل المدن يطبخونها باللحم الضأن والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن
البقرى والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل الابهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة
لذيذة الطعم واما فى اهل الريافة فانها تقدم فوجوده كالعدم وكذلك اهل بلاد
الجرفانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولاد سما الا الارز والشعير
لا غيره وعلى كل حال فهى ارق من طعام اهل الريافة المتقدم ذكره والذى ياكلونها فى المدن
لانهم يكلفونها فيصير لها فى المأكل لذة ولها خفة فى الهضم ومنفعة عظيمة وقالوا فى
الطعام كله (كلف تجده) قيل لما نزل السلطان قايتباى بدمياط واجتمع بالعينى الذى
بنى العينية وهى مسجد على سمت مساجد الملوك فعمل السلطان ضيافة عظيمة وخصه
بصحن من الذهب فيه دشيشتان ووضعها بين يديه فاكل السلطان منهما فلم ير طول عمره
الذ طعاما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدشيشتين فقال له جارية عندى فقال له
هل من سلو عنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فاهداها له فلما اتى بها الى مصر امرها
ان تصنع له دشيشتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما لذة مثل اللتين اكلهما فى دمياط
فعاتبها الملك فقالت له يا سيدى الذى صنع لك الدشيشتين طبخهما فى اناء من ذهب وكان
ماؤهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القمارى وحشاها بحرارات كثيرة مع
المسك والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى
وقوله (وفى الدار عندنا) اى فى دار الناظم لا غيره لانه هو الذى تمناه ولهذا قال
عندنا اى فى محلنا لا فى محل غيرنا لاجل ان ناكل منه العيال ويتيسر وايوجوده وسميت الدار
دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن واما دور
بلاد الارياف فانها تبنى بالكرسون ربما يكون فيها الوحل والجلة ايضا او لان الشخص
يدور ويرجع اليها او انها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها اولاد الريافة
بعد الغروب يقعد واحد منهم على قرافيصير ويقعد والآخر يجعل يلهى فى ظهره وتدور
الاولاد حولها يضربونها فاذا امسك واحدا منهما ولذا احلسه مكانه فيعلمون من ذلك
خفة الايدى وسرعة الضرب والمشى ونحوه وقوله (واندفعها) اى من الحنين
ومعناه ياخذ منها بسرعة ويحشى فى بطنه فصار يشبه نداف القطن اذا الحذ بالقوس
وحشاه فى الطراحة ومن هذا يقال فلان فى الليلة ندف مترديين من العدس او من
البيسار اى اكلها بسرعة او انه مشتق من احمد الدنف من شطار مصر الذين
تقدموا وسيرته مشهورة عند المخرفين وقوله (يا لعويش) تصغير عيش سمى
بذلك لان به قيام المعيشة كما قال الشاعر لا تركنن الى الليالى الفاخره واذكر عظامك حين تمسى ناخره
واذا رايت زخارف الدنيا فقل لبيك ان العيش عيش الآخره) ولذلك قال الامام الشافعى
رضى الله عنه فيما حكاه الذهبى فى ميزانه والدميرى فى حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان الكلاب لتهدى فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم ابدا
فانجو بنفسك واستأنس بوحدتها * تبقى سعيدا اذا ما عشت منفردا

وقال آخر
يكفى الذين تقدموا من شرفا على * من بعدهم يمشى على الغبراء
انى لاحيى اذ أمر بذكرهم * واموت من نظرى الى الاحياء

او انه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العيش واما تسميته خبزا فهو من الخبز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبزه اضلاعه اى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا او يكون خبز اضلاعه اى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا او يكون خبز اضلاعه بمعنى فكها من بعضها البعض وقوله (ننديف) على وزن تنظيف وهو الذى ينتف ذقنه لاجل الخنات اوكان به مرض لابنة اعاذنا الله منها فانها داء يغلى فى الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن قال الشاعر

فانه مرض كالنار مشعلة * يغلى كغلى الدود فى العفن

واكبر دوائها ما ذكره الشعرانى نفعنا الله به ان يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى واصله ندفا فصغر لاجل الروى اى ندف من الخبز ندفا كثيرا حتى اشبع شبعا مفرطا الدس بعده جوع بقية اليوم وبقية الليلة ثم انتقل من الخبز الى الباقلا الخضرا فقال

ص متى انظر الفول المشوى بفرننا * ولفوه بقشره والعروق لفيف

ش قوله (متى انظر) يبنى كما تقدم فى البيت الذى قبله (الفول) الاخضر اذا اتى به من الغيط ووضع فى الفرن وصار مشويا والمطلوب ان يكون هذا الفول (المشوى) تصغير مشوى على وزن عطيوى او خربوى ونحو يوى فيها ببقين التصغير والوزن (بفرننا) لا بفرن غيرنا (ولفوه) اصله والفه بالهمز تركه لضرورة النظم من اللفو وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تامل ولا تفتيش فى الماكول ولهذا قال (بقشره) اى اكله من غير نزع قشره من فرحى به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر اى والف عروقه ايضا (لفيف) اى لفا زائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمية حتى اكتفى منه ولا انظر الى خشونة بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا افعل كما يفعله غيرى من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشره منه وياكله وانا لشدة اشتياقى اليه وكثرة الجوع والقل والعترة الفقر بجميع ما عليه (فائدة) الفول الاخضر قيل شيء بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدل للاكل بالملح والصعتر وانفع اكله حارا ومشويا نزع من قشوره جميعها واكله بالسكر وفى بعض

كتب الطب من اكل الباقلاء اربعين يوما واصابه مرض الجذام فلا بلو من الانفسه ومتى
اكلت المرأة الباقلاء اربعين يوما لم تحبل ابدا وقد عدوه من موانع الحمل ثم انه
اشتهى شيأ مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص متى انضر ان اطحن الطحين وحبتو ويبطط لي منو فطير رهيف

ش (قوله) متى انضر) تقدم معناه (ان اطحن) احد الطحانين (الطحين) الذي
وضعته في الطاحون وبحث اليه ورائه (وحبتو) اي حبتو بعد ان اعطت الطحان
اجرته الى منزلي (ويبطط) على وزن وضرط وبربط فيها بيقين المناسبة وهو مشتق
من البط وهو طير يربى في الدور يشبه الاوز الا انه صغير جسمه وارجله قصيرة جدا
اومن البطيطة او من البطة التي يوضع فيها السمن وغيره او هو من لطلطة لا كلام
(مسئلة هبالية) لاي شئ سمي مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفة او علم عليه
(قلنا الجواب القشروي) انه كان اولا قمحا لا كلام ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة
الحالة لاخرى فيكون من تسمية الشئ بما طرأ عليه من الوصف الذي قام به ونقله
من حال الى حال فكان اولا معروفا بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه
الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار ميتا وطحنته
الارض ومضى امره الى ان يبعث فانحل الجواب عن هذه الابحاث القشروية وفي بعض
نسخ المتن ان اطحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذي طحنه
بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون في الدار او الكفر طاحونة مشتركة
بينهم وان كان عند الرجل منهم طاحون يأخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر
فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا
ببلاد الكفور والقرى الصغيرة ولا شك ان الناظم منهم كما تقدم في ذكر قريته فلهذا
قال ان اطحنت الطحين وحبتو ويبطط اي يعجن بالماء او شئ من اللبن ويأخذ القطعة
العجين ويضعها على خرقة او ورقة الفجال او قرص ملة مثلا ويبطها بالكف حتى
ترق ويأخذ غيرها فيحصل لي (منو) اي من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور
لكونهم يفطرون به او من الفطرة او من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير
اي طري رقيق وفي كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر اكله
فيفهم من الكلام انه لما يبطط الفطير يخبزه في الفرن او في الجرودة التي يصنعونها
في الزريبة ويجعلون عليها الزبل وفي بعض الاحيان الجلة ايضا واكله حتى اكتفى
ثم ان الناظم اشتهى ماكولا آخر فقال

ص ايا مطيب الجلبان والعدس ذا استوى * وشرشر بصل حولو ومت غميف

ش قوله (ايا مطيب) في الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الجدبان لو الخرفان

مشتق من جلبة النبوت او ان الذى يزرعه سقاه فى الاصل على ثور جلب ومن جلبة العبد
والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية
مشتبك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه اهل الريف وياكلونه مثل الفول
الاخضر وربما طبخوه بالعدس واكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وتاكل منه
البهائم ايضا وقوله (والعدس) معطوف عليه اى وما اطيب العدس معه والعدس معروف
لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان بل يؤكل
مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله ويمسك اطلاق البطن ومرقه
انفع من حبه واكله يرق القلب وفى زهر الاكمام ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام
شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فاوحى الله اليه ان مرهم ياكلوا العدس فانه
يرق قلوبهم وفى الحديث عليكم بالعدس فانه يرق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك
فيه سبعون نبيا والاكثار من اكله يخاف منه الضرر وفى القاموس الاكثار منه
يورث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية وقال بعض الاطباء
يعدله السلق الاخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو اشف من غيره وغير
مدشوش ويسمى عدسا بجبته ولاهل الريف يصنعونه فى البوشة الفخار ويحطونه
فى مجاة الفرن او فى الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويمرسونه بالمغرفة
ويقلون له بما تيسر من الشيرج او الزيت الحار والبصل مثل البيسار واما
اهل المدن فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن اللية والسمن الخالص
والحارات خصوصا ابناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه
باللحم الضان ولهذا ياتون به فى داير السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما
عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشا وهو الذ واطيب وبلاد البحيرة يطبخونه بالارز
تخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغلية بفتح الموحدة وسكون الغين
المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة
فى اخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة فى ثقلها وربما اكلوه بالسمن من
غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها ايضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر
بالمعدة خصوصا البسلة فانها اشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء
فى اسمها وفى صفتين منها فقال بسلة باردة يابسة ثم استطرد حرف التاء
فى مضرتها فقال * تعشى تغنى تمنى * فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة
تعشى باردة تغنى يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه
التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل ويطلق على اول خروج الفساء
ايضا فهو لفظ مشترك بين الفساء وشرش البصل ولهذا يقال فى (الحيات

شرش

شرش) مثلا وهو من الالفاظ التى تقرا طردا وعكسا اولها مثل آخرها وقوله (حوليو)
اى حول العدس بعد وضعه معروفا فى المتردد اوالشالية ويكون البصل موضوعا
حوله كما جرت به العاده فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعوا البصل حول العدس
والبيسار والمش وغير ذلك وياخذ الرجل منهم بصله يقطم منها مثل الخيارة
واما اهل المدن فيقشرونه ويقطعون البصله اربع فلقات ويضعونها حول
الصغيره ولكل شئ مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل
فى الاكل وقوله (ومية رغيف) اصله مائة سهله لضرورة النظم اى من خبز الشعير وذكر
هذا العدد لاجل ما يشترى فلسه من الاكل اوربما يهجم على احد بالاكل مثلا ويأتى
احد ضيف على تطفل فتكون المائة رغيف فيها المتحصل للاكل منها كما تقدم وكذلك
التفرقة وكذلك الشرش السهل وهو الخزن الذى تملا الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل
منها ولتفرقتها ان شاركه احد ثم ان الناظم استطرد شيئا آخر واشتهى حصوله
فقال

ص يا حسن الخبز المقمر على الندى * وفوقه من السمن جلد بغيف
ش (قوله) يا ناس ما (احسن) اى ما اظرف والطف والذ ما كوله (الخبز)
اللطيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اى على الفطور عند
نزول الندى وهو الماء الذى ينزل وقت الصبح الى طلوع الشمس سمى بذلك لانه يندى
الارض اى يبلها بالرشرشة وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عظيمة ويشبه
به السخاء والكرم ويقال فلان كفه ابتل ويقال فلان بما عنده ندى مثلا والبخيل
ترى من الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيدا والحكم المشرق رحمه الله تعالى
بما انت الندى والجود من جهلها دم * لقد عشتما دهرا ومتما احيانا
فقالا نعم متنا زمانا وعندما * الى زيدا الحى كتشبة الله احيانا
قال بعضهم واختلفوا فى الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال شيخنا لا يجوز التطهر
منه لانه ليس من جنس الماء بل هو تنفس دابة فى البحر تتنفس وقت السحر فهو يلحق بالعرق
حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الشيخ ويشهد لهذا القول ان البيض اذا ذكروا
ان هذا الماء اذا اجتمع وقت السحر ملئت منه بيضة وفرغ ما فيها وسد ثقبها
او غيرها ووضعت فى الشمس متى احست بالحرارة صعدت الى السما وهذا الصعود
والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض فى الارض ويشهد لهذا ايضا
انه ليس بعذب ولا ملح ولا ابيض ولا مطر والله تعالى اعلم * قال صاحب كتاب الملتقطات
ومنهم من يجوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من تنفس تلك الدابة انتهى
وكان من جملة مماليك الرشيد جارية فصيحة تقرا القرآن وكان له خادم اسمه طل فكانا فى
فاسمعها الرشيد بان قال لها والله لم تذكرى هذا الطل الا وقد حل بك الاقوات

الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالا للامر فلا تحقق منها ذلك فتح لها في فحا طبتها والآية
الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى * فالفطور في هذا الوقت على الخبز
المقمر فيه منفعة عظيمة * وفي كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم البدن
* ورأيت في بعض كتب الطب ان المعدة يجلوها شيء يشبه الشعر فاذا فطر الانسان
على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر مثل الموسى فحلقته فعلى كل حال
الفطور على الخبز اليابس المقمر انفع من غيره (و) خصوصا اذا كان (فوقه)
اى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه في الاناء (من السرسوب) على وزن
الجعسوب وهو اللبن يوضع فيه شيئا يسيرا من اللبن الذي ينزل عقب ولادة
البهيمة ويسمونه مسمارا يأخذونه ويضعونه في طاجن فخار احمر ويضعون
عليه شيء من الملح لاصلاحه ومكثه لحاجتهم فاذا ارادوا السرسوب يضعون
اللبن في الدست ويصبون عليه من هذا اللبن الذي يسمونه المسمار
ويفورونه على النار فينعقد فيقال له المفور ويقال له سرسوب ويفتون
فيه الخبز المقمر مع الجبوة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويعملونه ايضا في طاجن
ويضعونه في الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبية بخفض اللام والباء
الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة وافضل الالبان لبن النعاج واجودها
لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بألبان البقر
فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء واجودها ما شرب من تحت
الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون
ولين الطبيعة وزاد قوة في الباه وسمى اللبأ لبأ لانه مشتق من اللب
او من اللبوة او من قولهم لبيك واحد بمنزلة شللا او من لب الجدي
الصغير امه اذا اراد شربها قال الشاعر

فانت كالجدي لما ان يلبيه * وكالمحب المطوق اسرعا الى اللبن

قوله حليب اى قد حلب وهو اسم لما يملأ به الحلاب والمحلب او انه مشتق
من حلب الرجل بيده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى
ان يكون فوق هذا الخبز ما يعمه من لبن السرسوب المحلوب حليبا
نضيف * اصله نظيفا ذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية
وسكنه لضرورة النظم اى ليس فيه شيء يدنسه من اثر جلة او غبار ونحوهم ونحو ذلك
كانهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك جلة وغيرها من انواع النجاسات بل ربما
لطخوا ادرة البقرة او الجاموسة بجلة فتقلب اللبن سريعا فطلب الناظم ان يكون هذا السرسوب
طيبا نظيفا خاليا عن هذه الامور وان كانوا معفوا عنها ثم بين كيفية الاكل منه فقال

ص واقعد على ركبه ونفض وشمر * عن الكف بايدي ما احاف نحيف

ش قوله (واقعد) متأهبا للاكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهب الجيعان

الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبه ونصب) وهي قعدة القوي الشديد الذي يريد دائماً الأكل الكثير او الذي عنده شره في الطعام مثلاً واما جلسة الأدب فإنها بخلاف ذلك بأن يجلس الانسان على ركبتين ولا يلتفت يميناً ولا يساراً ويأكل مما يليه ولا يمد يده الى طعام بعيد عنه مداً عنيفاً كما اتفق ان شخصاً قال لآخر وهما في وليمة يأكلان يا فلان اقدم لك هذا الصحن فقال انا ايدي تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض في مكة كما الكور صح فخجل وقام من غير اكل وللأكل آداب مذكورة في بعض الكتب قوله (وشمر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) اي كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره اي اراد عطفه ببول فيها والتشمير المعنوي هو الكف عن الذنوب قال الشاعر

شمر فانك ماضي الهم شمير * ولا يهولك اهوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسي وهو رفع الأكمام ووضع الشمال الذي يصنعه اولاد الارياف من الصوف ويضعونه في اكتافهم يرفعون به اكمامهم وله هدب مائل على كتف الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاخضر والاحمر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالباً اولاد الصبايا يجعلونه كأعقصة النساء ويجعلون له عقداً صغاراً في رؤوس الهداب ويزينونه بها وقوله (بايدي) اصله بيدي لا بيد غيري فلا احتاج الى احد غيري يشمر لي بل انا انما اتولى تشميره بنفسي لاجل خلو يدي عن شيء يمنعها من تناول الطعام وهذا يدل على ان كمه كان طويلاً حتى احتاج التشمير او ان مراده بالتشمير رفع يده وخفضها في حالة الأكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما اخاف) اي واكل من هذا المسروب ما احامن احد يأتيني او يمنعني عنه (مخيف) اصله مخيفاً اي مخوفاً يمنعني عن شهوتي بل لا ابالي اذا حصل لي وظفرت به من احد ابداً ولا يعتريني خوف ولا فزع حتى اكتفي واشبع منه الشبع المفرط ولا اخشى من تهمة ولا غيرها ثم انه اشتاق مأكولاً آخر الذ مأكول اهل الريف فقال

ص على من قشع روحه هذا الرز باللبن * ويقطع ويبلع من ثقيل وخفيف

ش قوله (على من قشع روحي) اي على من نظر روحي اي ذاته لا ذات غيره (هذا الرز باللبن) اي حذاء بالذال المعجمة اي محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب مأكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز ايضاً وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما الذه واطيبه اذا وضع عليه السمن البقري في وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة الا انه بالسمن

اطيب واشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيرا كان حسنا وكلما قل ارزه كان اجود واردأه الكثير
من خلط الماء والارز كما تفعله اهل الارياف فانهم يجعلونه ثخينا جدا يقطعون منه اللقمة
مثل ما يقطع المتمضمض من الطين اليابس واما ابناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص
من غير ماء ويجعلون فيه شيئا يسيرا من الارز بحكم المشرب ولهذا يشربونه بالملاعق
فيصير حلوا لذيذا وهذا النوع اجود طعام واطيبه وطبيخ اللبن على كل حال اطيب من
العدس والبيسار وما شابههما قال الشاعر

طبيخ اللبن احسن من الكبكرم * والعدس والبيسار تحت الحوادر

واما النوع الذي تمناه الناظم فهو الذي تقدم ذكره وهو الثخين الذي يشبه الطين
في يبسه لانه المشهور عنده في بلاده واما بلاد الريف فيعملونه سائلا وسطا لا ثخين
ولا مائع الا انهم في الغالب يصبون عليه شيئا من الماء واما الناظم فلا يعرف الا الذي
في بلده ولهذا قال * ويقطع * والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس اي يقطع
بكفه وقوله (ويبلع) من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى
انه دخل بجوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعيم لانها تبلع الماء في جوفها والقطع هو
فصل الشيء من الشيء وبعده منه يقال فلان قطع فلانا من مدة بمعنى انه هجره وبعد عنه
وقوله (من ثقيل) اي من قطع وافية من اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف
وتدمع العين من كبرها كما ذكرت ذلك في خطبة كنت انشأتها سابقا في المأكولات وهي هذه

الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق * الذي فرق بين الفسيح والضيق * وامر بالحج الى بيته
العتيق * وجعل الصحن البحري المعسل الحلو رقيق * احمده حمد من نشله من الجوع وسيسه
* واغاثه بقصعة من البسيسة * بالمطبوخ الرقيق * فملأ منها بطنه * واحسن بالله
ظنه * ونام على راحة من الله وتوفيق * واشكره شكر عبد انقطع عن الخبز المحمص والمش
العتيق * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من المضيق *
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق *
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما
كثيرا * ايها الناس ما لي اراكم عن الرزة بالعسل النحل غافلون * وعن الارز المطبوخ باللحم
الضاني تاركون * وعن البقلاوة في الصواني معرضون * وعن الارز الصيني بالدجاج المحمر
لاهون * فاهنا يا اخواني الاخوان المفلسون * واقتدوا بالفقراء المفلوقين وجدوا رحمكم الله
في تحصيل الدراهم لتغنموا منها المآكل النفيسة * والمطاعم اللذيذة * وقد قال الامام
الشافعي رضي الله عنه لذة الدنيا ثلاث اكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم في اللحم فمن انعم الله عليه
فليشكر ومن حرمه فليصبر وعليكم بالارز باللبن فانه طعام مجيد حسن وشيئا ابن الى العسكر
* خصوصا عند الفلاح * اذا جاء وطلب بقرته * واشتد زوجته بالدبسة وعلقته * ووضعت
فيه اللبن وقادت عليه وحركته * بالارز الابيض وطبخته * في الصحن ثم صفته بالشوف

بالحكم

الكبير وقصده وثنى ركبته فعند ذلك يا اخوانى صفنا الاوانى ولاذ كل انسان بانسان فلا
الايدى تنقطع * والسنكم تبلع دون زادكم تفرقع وحلق يقرقع والعين من كبر اللقمة تدمع
والبطون لا تشبع بل تزيد اشتغالا وهو يقول حل ربنا زدنا فاذا سمعك اصولك يلقيه
فبادر بجدع رقبته يا حكم واغتنموا رحمكم الله تابعا هذه المواعظ ودعوا اكل المفلفل
كالعدس والبيسار والمدمس والعوسية بالزيت الحار والبسلة والكشك بالفول وجبن النول
المعمول فانها تورث الارياح وليس فى اكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخرة كاللحم
الضانى فانه سيد طعام الدنيا والاخرة وعليكم بالشراب البارد ففيه حديث وارد وجعل
الله ايها الاغنياء المتنعمين واصبروا ايها الفقراء المقلين نسأل الله ان يمن علينا
وعليكم بالاطعمة الفاخرة ويرزقنا واياكم الراحة فى الدنيا والاخرة وان يجعلنا واياكم
من الاكلين المتنعمين ويجنبنا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وان يغفر لنا ولكم
ولجميع المسلمين آمين فاستغفروه يغفر لكم يا فوز المستغفرين روى عن سطيح
بن لهيعة عن زلطاح بن القطاح بن قليل الانزاح انه قال كان رجل من الشيب قائم
من منامه ولذيذ سلامه واكل فى فطوره فسيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار
فاكل اربعين دجاجا محشية باللحم الضانى غمره بالسمن البقرى وشرب زقين من نبيذ
ونام فى الشمس فمات ولقى الله شبعانا سكرانا ريانا الحمد لله منزل الخبز ومحرر الارز
باللبن واشهد ان اللحم الضانى سيد الاطعمة ويصلح للسكان واعلموا ان لا تقطع
لا تتركوا الهريسة السمين ولباسها فتهينوا الاكل وشربكم واعلموا انكم غدا بين
يدى الله موقوفون وبافعالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم
الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون اللهم وارض عن الاربعة الاحباء الذين ذكرهم الله
تعالى فى القرآن التين والزيتون والتفاح والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين
من العشرة الاطعمة المشهورة الماوردية والمهلبية والشهية بالزنجبيل المحيسم والارز
المفلفل باللحم الضانى المشرح والكنافة المشبكة بالسمن والعسل واللوز والسكر و
القطايف القاطرة بالسمن والعسل والفرخ المحشى باللحم والبصل والبقلاوة المرصوصة
وصرفان التمر المسلوق والمتوصى به والجبن السمين متعنا الله واياكم بهم اجمعين
اللهم وادم النصر والتأييد والثبات وابسط الفضل بعد الشتاء ببقاء السلطان السكر
النبات ابن القنادى من اسلم السكر المكرر اللهم وايده بارماح القصب وسبائك
الرطب وبعنا قند العنب واجمعنا عليهم من اولها لنهارها وسلطهم يا شحم يا نصير
وانصر عساكره فى الدنيا نتشفع بها يا رب العالمين اللهم واهلك اللحم ثم الجبن العدس
والبسلة والبيسار عباد الله من اراد منكم القبول ان تعاونوا عليه فليأكل اللوز
بالسكر والجبن والتسبيم وتمضمضوا قبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تتشاركوا
وتخاصموا وكونوا اخوانا تتبعوا الله ... ان الله يأمركم باكل الحلال مما تشتهون

المعقول وينهاكم عن اكل الحرام ولو من اطيب المأكول والمفلم ترفصكم لعلكم تفلحون اوتلد قلبون وقوله (ويخفف) اي ويأكل اللقمة او اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول القائل

كلوا اكلة من عاش يخبره * ومن مات يلقى الله وهو بطين

فينبغي للانسان ان يجعل البطن ثلاثة اثلاث ثلث للاكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط في الاكل ولا يفرط في الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما احسن ما جمعه بعضهم في قوله

ارطاب توت لقد طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
في بابة اقبل الرمان منعقدا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور
ميز بعقلك تلقى الحسون في بخل * مصفر الوجه لما جاء ها شور
سل من كبهك عن الاسماك هل صلحت * تنبيك عن حوتها بالشهر مسيور
هل ما دطوبة لم ارونة لوانقة * مثل الزلال فلا تعتاج تاخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى في الرعي امشير
في برمهات ترى الالبان نافعة * ممن الكاد يرى في ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانه الورد كل منه مأمور
بشنس تشهد ان النحل جانبه * والشهد يقضي وما في امره زور
مشمش بؤنة لما يلقي الهوى ابدا * مسكين ذا الذليل الجهد معذور
واصبح التين فوق الغصن ناعيه * كانه في ابيب جاء وهو مشهور
عنقود مسرى نعم فاغتنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور ***
هذه مطائب ما فيها مرتبة *

والحكل في هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادام قد عناه فقال

ص على من ملا لحفه جبينه طرّ * وراح ورا الجاموس يرعى المنيف

ش قوله على من ملا لحفه * اللحف شئ طويل يعمل من الصوف او الشعر يلبس على الرأس لم نرى ولم هنذام نستعمله الفقرا وغالب الفلاحين ويلبسونه شيئا يقال له الطرطور ويلقون عليه اللحف لكونها واسعا من جهة الرأس وضيقا من اعلاه فيصير من الطرطور وكان استعمال ذلك في قديم الزمان كثير واستعمال اللبد على اصناف شئ يشبه اللحف وشئ يشبه البرانيط والذين يلبسونهم يقال لهم صلحاء متصوفين ثم ظهرت القواويق اللطيفة وصار لها بهجة ورونق وانس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقرا المتصوفين ولهذا قال

اخفايا فلا نفقية للبد * ومن هذا قال في شرحها كلام كثير مثل قولهم

يا لبده مالك في السوق * يا لبده قلة خاروق

وسمي قحفا لقحافه ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السيء الخلق فيقال هذا قحف اي سيء الطباع قال الشاعر في المعنى

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
فهل رايتهم في الورى * قحفا رقيق الحاشيه

وهو مشتق من قحف الحوت او ان الرجل الذي كان صنعه اولا كان من قحافة قرية معروفة موقوفة على سيدي احمد البدوي نفعنا الله به دنيا واخرى (وقوله) جبينه تصغير جبنة على وزن ابنة وهي واحدة الجبن (طريه) اي عملت في وقتها اي وقت نزولها من على الحصير التي يعملون فيها الجبن فاشتهى ان الله تعالى يمن عليه على قحفه جبينه طريه ولو كانت هدية او صدقة تصدق عليه بها احد او سرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (والرزق ما ينفع لو محرما)

وقال ابو نواس رحمه الله تعالى

يقول لي العذول وليس يدري * دع المال الحرام وكن قنوعا
اذا انا لم اصب مالا حلالا * ولم اكل حراما مت جوعا

فان قيل لاي شيء تمنى الناظم ملء قحفه من الجبن مع ان القحف لا يسع شيئا من الجبن فيخصوصا وقد قال جبينه طريه فاذا وضعه في قحفه يحصل له ضرر من شيئين الوجهين من الجبن والثاني ماء الجبن يبل قحفه ويشوش عليه قلنا الجواب المشروح من وجوه اما انه تمنى شيئا من الجبن بحيث لو وضع في قحفه لملأه لكونه قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للادم بقية الجمعة او الشهر لكونه مفتقرا لذلك ومحتاجا اليه عجلا في ذلك ما اذا اتاه شيء يسير لا يكفيه ولا يقوم باولاده او ان الكلام على حقيقته لان اهل الريف اذا اعطاهم احد شيئا من ماكول او غيره ياخذونه في اطراف بردهم وارديتهم وفي اكمامهم وعلى شد وجههم التي على روسهم وكانوا في الزمان السابق يضعون الشيء في قحوفهم فانهم في الغالب كانوا يضعونها على روسهم من غير شيء يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا اخذ شيئا من السوق ولم يكن معه مقطف او صحن مثلا يضعه في قحفه واما قوله القحف وتقذيره فالناظم لا يبالي بهذا الامر فان قحفه كان يساوي نصفا او نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايدي عليه وطرو العرق والمالح الذي هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها

فينزل الكلام على حقيقته فانتفى الاشكال عن هذا المقال وقوله (وزاح) اي
وسما وهو مشتق من الذي يصنع على غاية طويله وهو اربع ورقات ملصوقا
على اربع قطع من القاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور في بلاد المدن
وغيرها وقوله (ورآى) اي خلف للجاموس نوع من البقر فان اسم البقر
يشمل الجاموس وغيره وهو صنم كبير غليظ الجلد اسود وسمي البقر بقرا لانه يبقر
الارض اي يشقها وواحده بقرة واهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك
ويقولون له انت بقرة مثلا يعني يا كثير الجنابات (مسئلة هنا لطيفة) لاي شئ
لم يقولون للولد الامرد يا جاموسي مع انها في حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضربها
فهي في هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما قلنا (الجواب الشريف)
من وجوه الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فهما شامل
للنوعين الثاني ان لفظة جاموسي مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد
الامرد انت يا جاموسي ربما يفهم منه انت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا
فكأنه يخبره بذلك فتندفع المعيرة من الولد الامرد ولا تتوهم ويقال ولدت
امرأة جاموسي اي وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى الوجه الثالث
ان اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس يقال فلان
يتحسس في الظلام بمعنى انه يحسس على شئ يأخذه واسم البقر مشتق من
بقر الارض اي يشقها بالحرث فكان مثل وضع الزرب في الكس مثلا لانه يشقه
اي يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل في استه الزب بمعنى مثلا فكان مشبها بالفعل
واما التحسيس فهو مشبه بتقديمه وهو الفعل اقوى من الاسم لان التحسيس زرع
والنيك حصاده فكان النيك ابلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد في
ويقال له يا بقرة فانتفى الاشكال عن وجه هذا المقال وقوله (يرعى النيف) اي يسوق
الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذي يرعى بنفسه فالرعي راجع للجاموس اي انه يسوق في
للجاموس الى الغيط الذي ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف اي وهو يرعاه اي يأكل
النيف يقال للجاموس او البقر يرعى في الغيط الفلاني بمعنى انه يأكل منه واما قولهم
الذي يسوقه ويتعهد مصالحه من حليبه وعلفه وطرده وربطه في الغيط ومباشرته
وحراسته ونحو ذلك راعي فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه ان يراعيه بالشفقة
عليه والمرحمة به والنيف حشيش ينبت في الارض بنفسه من اثار نزول المياه
على الارض واكثره في الاراضي التي لا تزرع وهو مشتق من النيفة التي تقلى في بلاد
المدن وهي لحم يشوى في التنور ويؤكل وله لذة عظيمة او من النوف التي تركب
على ارقاب الثيران وقت استعمالها في السانية او الحرث وذكر الجبن ولم يذكر
الخبز والظاهر انه كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير

الامر فاشترى من تحفه جبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى عن الشيخ محمود عفا الله عنه ان
رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه من كراهتها
له تتم عليه حتى كرهه ولده ثم لما تملكت من عقله قالت يا انا يا ولدك هذا فقال
لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها واتى بالسم وسلمه اليها
فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار اتاها بلحم فعملت للولد طاجن
لحم ولصبته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان
الوقت قد امسى فقالت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها انى لم
اصل العصر لان الوقت راح لما اصلي واجى ناكله وتوجه الى المسجد وكان بعيد
من دارهم فلما صلى العصر اذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كافواه
القرب فجلس الولد بالمسجد الى ان صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد
ودعاه الى داره فنام عنده فلما اصبح حضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى
ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة ابيه سخنت له الطاجن وقالت له لاى شئ لم
تجئ فاخبرها بان فلانا عزم على فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم
فانى سخنته لك فقال

(ان جاك بدرى الطعام اصبح بو كما جاك بدرى من الزرع ناجب)

وابوه يسمع ثم قال لما اعلف البهائم لاجل فطورهم بذلك وذهب لعلف البهائم
فببركة الصلاة التى صلاها ورأفته على البهائم القى الله تعالى فى قلب والده ان
الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره والقى اللحم
على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه لعدم معرفته
بما هنالك ولا يدرى بما خبئ له ونادى والده لزوجته هات له قشطة
وقال له كل واسترح فلما اكل واستراح قال لها توجهى الى بيت اهلك
بالستر وان جئت لك باحد كاشنا من كان سياقا فلا تقبليه وان قبلتى
السياق وجئت فقبرك فى محل الطاجن تعلمى ذلك وتعتقديه ولا تنديه
والسلام فانظر يا اخى الى من قدم علف الحيوان قبل ان ياكل وواظب
على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل
لتمنى شيأ آخر من الاطعمة التى يفعلها اهل الريف فقال

ص على من قشع لقانة ام ملانه من الهيطلية اللى لها رصيف

ش قوله (على من قشع) اى نظر نظرا حقيقيا (لقانة ام) اوزوجة
ايضا واللقانة تانيث لقان على وزن خرقان ويقال لها القصرية ايضا
وهى اناء من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة
لان الشخص اذا اراد ان يشرب منها يلق بلسانه او يغمه الماء لانه لا يعقل

على حلها او ان الذي صنعها في الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء
اجلاء وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله
ببركاتهم واضاف اللقانة الى اسم لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولانه تمنى سواها
فتمنى رؤيتها بحيث انها الاسم (ملانة) لانا قصة وسهل الهمزة لضرورة النظم
ثم بين الشيء الذي تمناه فقال (من الهيطليه) وهي طعام يعمل من نشاء القمح
واللبن ولها لذة عظيمة في المأكل وهي اخف من الارز باللبن خصوصا اذا
اضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم انه
رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فكون النشاء اقل ضررا
منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفي كلام بعضهم لو كان الارز رجلا لكان
حليما لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها
تشبه بياضه او من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض
ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللي) بتشديد اللام يعني التي وهي لغة
ريفية (لها ترصيف) اي من جنسها وشدة بياضها ولمعانها اي تضئ
وليشتهي اكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف اي
تلمع وتضئ وهي مشتقة من الرصافة بنواحي الشام (ومن اللطائف)
ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال
وهي تمشي فقال صدق ابو العتاهية ولم يذكر ما قال فردت راسها
وقالت بل صدق ابو العلاء المعري ولم تذكر هي ايضا ما قال فاعترى
الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة
وقال لها اخبريني ما اردت وما اراد والا اعلمت بكما امير المؤمنين
فقالت لم انه عنى بقوله صدق ابو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري

وانا عنيت بقول ابي العلاء المعري قوله

أيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

فتركها وسأل الرجل كما سألها فاجابه بما اجابته به وافهمته ان الدار قريبة
ولكنها بجوار امير المؤمنين فلا تقدر الى الوصول لمطلوبك فانظر الى
قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهم المقصود
ايضا ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من الهيطلية فقال

ص واقعد لها بالعزم في راتق الضحى * وابسطها مصبوبة ام وطيفه
ش قوله (واقعد) اي واجلس من غير استعجال بل اقعد قعدة متمكن

من غير خوف ولا فزع ولا احد يشوش على (لها) اما ان الضمير راجع
للقائنة التي فيها الهيطلية ويكون قوله واقعد لها بمعنى اى اكل منها وهي فيها
فيكون اكله من الهيطلية لا نفس القائنة واما ان كان الضمير راجعا
لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعها لها اصوب وقوله (بالعزم) اى بالقوة
والشدة اى انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (في رايق الضحى) اى وقت
ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقت
الغذاء وخلو الباطن واشتداد الجوع اى نأكل ايضا سريعا مرة بعد اخرى لان
السبب هو جر الشيء بعجل او بغير جر اسريعا فيكون سحبه يطلق على الاخذ
من غير عدد وقوله (لها مصبوبة ام وطيف) اى من الصنوبة التي تعملها
زوجته ام وطيفه ووطيفه ولدها سمي بهذا اللفظ لكونه كان يضع الحلة
المواقا وقيل كان له دويرة يحط فيها الحلة طوفا بعد طوف وقيل من
طوافه حول البقرة في صغره واما اسمه الذي سمي به عند ولادته على ما قيل
فهو محمد لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه وصار علما واشتهرت
امه به فصار يقال لها ام وطيف * واما المصبوبة فانها تعمل من نوعين
من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فاهل الكفور والبلاد التي لم تزرع
الارز يصنعونها من الحنطة واهل بلاد الارز يصنعونها من دشيش الارز
ويقال للتي تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها من الارز خالصا
والفقراء يصنعونها من الدنيبة التي تخرج من الارز عند بياضه مع خلط
شيء من دشيش الارز وسميت مصبوبة لانهم يجعلون عجينها مائعا مثل عجين
الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف قرعة يابسة او جوزة هند يابسة
فارغة ويثقبونها ويجعلونها في عصا طويلة ويغرفون من هذا العجين ويصبونه
في الفرن اقراصا على ارغفة الخبز فيعقد لها رخاوة وطراوة فسميت بذلك
لكونها تصب على هذا الحال * واما القطايف فانها تعمل في بلاد المدن من
الدقيق الابيض الخالص المنطف وتصب على صواني صغار يقال لها الرقع
من حديد او من نحاس الا انها صغيرة مثل القرصة وهي الذهنة الانواع
واطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد اكلنا
منها مرارا وتلذذنا بها ونسال الله ان يطعمها لاخواننا الفقراء ويهنيهم باكلها
لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم ولا يعرفها الا الكثير وانما اشتهرت في بلده
مصبوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل كانت امراة
تصنعها في قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذي
يعمل منه منطف اى منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب تسمية الشيء

باسم الصفة التى تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا سمى المصبوبة ورآى الهيطلية
فيقعد ويأكل منها حتى يكتفى لئلا يتوهم احد ان ما مراده الا النظر وهذا محال
كما قال بعضهم انظر بالعين لا يقضى ملامه * تمزمص الريق ومص الخال وتمامه
النظر بالعين ما يشفى عليلك الان ولصلت فى بيتك خليلك واحمل الفضر لجعوبك وسيلك
وادخل القبرتى للشيخ كرامه الى آخر ما قال ويجرى هذا المعنى فى جميع الابيات
التى صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية مع الاكل وليس المراد النظر
الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه ثم ان الناظم
التفت الى ماكول آخر فقال

ص الا يا ترى ايش حال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف

ش قوله (الا يا ترى) يريد ان يستفهم ويختبر ويسال ويتحقق عن شئ بعيد عنه
ولم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الانسان الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة
طويلة ولهذا قال (ايش حال) يعنى ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا
قابل صديقه بعد مدة واوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب
(بعد) وضعه فى الدست و (غلوه) اصله وغليه ابدلت الياء المثناة من
تحت واوا جريا على اللغة الريفية اى غليه بالنار يعنى هل له لذة فى الاكل
وحلاوة فى الطعم ام كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) اى هذا اللبن الحليب المغلى
(بالخبز) تقدم تعريفه فى الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة
اللفظ مثل قول بعضهم ما قلت حبيبى من التحقير بل يعذب اسم الشئ بالتصغير
فلهذا قال السخين على وزن الطنين اى المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن
كثيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين
مشتق من السخونة وهى الحمى لحرارتها وسخون الجسد اذا اعترته اعاذنا الله
منها وجعل الخبز رديف اللبن بمعنى انه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل
معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة
فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق احدهما
صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعنى السمع فكانه
يقول لهم اخبرونى عن حال اللبن وعن اكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة
لذيذ المأكل ولتلذذ سمعى بذكره فلعلى ان اراه حقيقة واكل منه يقينا
كما قال ابو نواس الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر
فان الشاهد فى قوله وقل هى الخمر اى لاجل ما التذ بسماع ذكرها وتلتذ اذناى
بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقى حاسة السمع وكقول ابن الفارض

نفعنا

نفعنا الله به ادر ذكر من اهوى ولو علام فان احاديث الحبيب مدامي
ليشهد سمعي الحكر ما قال ثم انه لما اراد ان يلتذ سمعه باللبن المغلي مع الخبز
المسخن اراد ان يلذ سمعه ايضا بمفروكة اللبن حتى يريد الله له با لاكل من الجميع
ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم
فقال ص الاترى اشحال مفروكة اللبن على زلطها قلبي يرف رفيف
ش قوله (الايا ترى) اى يا ترى احدا يخبر في خبرا شافيا (اشحال) اى اسأله
عن حال (مفروكة اللبن) اى الفطير الذى يفرك باللبن بمعنى انه يعمل من الدقيق
الابيض الناعم ويخبز في الفرن او الجوره ويفرك اى يكسر بالايدى وهو حار
ويوضع في زبدية او مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل
الثريد لينا ناعما في البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو افضل الطعام
وفي الحديث الشريف فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء
العالمين وورد ايضا اثردوا فان في الثريد بركة ثم قال الناظم (على
زلطها) وكثرة شوقي اليها وحسرتي على بعدها (قلبي يرف رفيف) اصله رفيفا
لانه مصدر حذفت الف للضرورة اى يخفق خفقا نا زائدا يشبه في خفقانه
رفرفة جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط
بفتح اللام جمع زلطة وهي حجارة صغيرة ملساء تكون في الرمال وسواحل البحر
وسمى زلط الطعام به للوسنة واندفاعه من غير مضغ اولان اللقمة تحاكي الزلطة
الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة في رميها من اليد كما يقال زلطة في راسك
بسرعة حتى يؤثر ضربها في راسك فشبهت بذلك لانه يا خذ اللقمة منها بسرعة
ويحذفها في حلقه ويزلطها كما يحذف الرجل الزلطة بشدة وقوة وايضا
الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ اسنان وهذا تاسف على فراق
هذا المأكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذى عليه
طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعي الشهوة وانتظار
حصول المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائما قلبه يخفق على فراق محبوبه
فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه في الحديث وانسه بالمسامرة
فهنالك يزول ما به وتسكن حواسه بانسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى
عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبي * لايزال عليه طائر
حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر
اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

الاان كلام الاستاذ نفعنا الله به وبشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه الى على نفسه انه متى رأى لقانة ابن عمه الاتى ذكره ملآنة من الفت اكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص اناان شفت لقانة ابن عمي مخيمر * ملانة من النفيت ملو طفيف

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف لا احد غيري (ان شفت) اي رايت بعيني لا باذن كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمي) اخو والدي (مخيمر) سمي بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخمر فيها الجلة وربما بال فيها ايضا اولانها نه بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه اولاكله من العجين المخمر قبل تقريصه اولان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون يا وجه الخميرة المشققة وقوله (ملانة) اي اللقانة (من النفيت) جمع فت وهو تكسير الخبز لقما صغارا وكانوا يسمونها الصغار ويصب عليه العدس او البيسار حتى يبيس ويصير كقطع الحجارة (ملو طفيف) اي ملوا كاملا مطففا بمعنى انه زائد على حواف الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل او من طف الملاء على الحروف اذا ارتفع عليها او من الطف محل بنواحي العراق من نواحي كربلا التي استشهد فيها سيدنا ومولانا وملاذنا الامام الحسين رضي الله تعالى عنه وملخص قصته رضي الله تعالى عنه قيل ان معاوية لما مات ارسل يزيد لعامله بالمدينة ان ياخذ البيعة من سيد شباب اهل الجنة سيدنا الامام الحسين فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فاتت كتب العراق بانهم بايعوه بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه وبينوا له غدر اهل العراق وما فعلوه بابيه واخيه رضي الله عنهم وقالوا له ان كان ولا بد فلا تاخذ اهلك معك فلم يفد ذلك فبكى ابن عباس وقال واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم ابن عقيل الى اهل العراق ياخذ بيعتهم فاخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين من مكة قاصدا للعراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يامره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة اميال فلقيه حر بن يزيد التميمي فقال له ارجع فاني لم ادع لك خلفي خيرا واخبره الخبر ولقيه الفرزدق فساله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء فهم ان يرجع وكان معه اخو مسلم فقال له لا ترجع حتى ناخذ بثاره او نقتل وكان ابن زياد جهز له عشرة الاف وقيل عشرين الفا لملاقاته فوافاه بكربلا فنزل ومعه خمسة واربعون فارسا ونحو مائة راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه

نزوله

نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد بن معاوية فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه
الكاتبين اليه والمبايعين له فلما ايقن انهم مقاتلوه قام في اصحابه خطيبا
فحمد الله واثنى عليه وقال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت وتنكرت
وادبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء والا خسيس عيش
كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن
في لقاء الله تعالى فاني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما
فقاتلوه فكان آخر الامر ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من اهل
بيته وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبراني قال العلامة سيدي
عبد الرؤف المناوي نفعنا الله به في طبقاته فان قلت ينافيه ما ورد عن
الطبراني ايضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال
اخبرني جبريل ان الحسين رضي الله تعالى عنه يقتل بعدي بارض الطف وجاءني
جبريل بتربة منها واعلمني ان فيها مضجعه وبما رواه سعد عن امير المؤمنين
الامام علي رضي الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم
وعيناه تفيضان فسألته فقال اخبرني جبريل ان حسينا يقتل بشاطئ
الفرات قلت لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر
بارض الطف وهي من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتأم الكلام وبان واستقام
على احسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا اخذوا راسه
واتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من اهل بيته الى يزيد ومنهم علي بن الحسين
وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا واوقفهم موقف
السبي بباب المسجد واهانهم وبالغ في اهانتهم ولما وضعوا الراس الشريف بين يديه
صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه وقد اخرج ابو يعلى عن ابي عبيدة مرفوعا
لا يزال امر امتي مرفوعا قائما بالقسط حتى يكون اول من يثلمه رجل من بني
امية يقال له يزيد وصح عن ابراهيم النخعي انه كان يقول لو كنت ممن قاتل
الحسين ثم ادخلت الجنة لاستحييت ان انظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم
وسمعت الجن تنوح عليه كما اخرجه به ابو نعيم وغيره (استشهد) يوم
عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده
كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة اشهر
واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قامت الكواكب ترى فيها كالدم
ومكثت الدنيا سبعة ايام كانها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة
تضرب بعضها بعضا ولم يقلب حجر في بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط
وصار الورس الذي في عسكرهم رمادا ورأوا في لحمها نيرانا وطبخوها فصارت

كالعلم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا فى اول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو

اترجوا امة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد اهله الى المدينة وان يطاف بالرأس الشريف البلاد (وروى) ابن خالويه عن الاعمش عن منهال بن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وانا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ فى سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربى فصيح وقال جهارا اعجب من اصحاب الكهف قتلى وحملى وقال ابن بحرور من طريق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب اهل الدنيا واختلفوا فى رأس الحسين عند مصيره الى الشام الى ابن صار وفى اى موضع استقر فذهبت طائفة الى انه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلاقاه اميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة وذكر آخرون انه حمل الى المدينة مع اهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية انه فى المشهد القاهرى رضى الله عنهم اجمعين وقد تقدم ان الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء وكما الفرات فبدؤه من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى ابوزحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى فى ارض الروم الى ان يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائة ينتهى الى بلاد الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى وكان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ان خالد ابن الوليد المخزومى لما اقبل يريد الحيرة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه اهل الحيرة فتحصنوا منه فى القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بنى نفيلة وهذه القصور كانت بالحيرة وهى الآن خراب لا انيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا منه امر العساكر ان تنزل بالنجف بالنجف واقبل خالد على فرسه هو وضرار بن الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبال قصر بنى نفيلة فجعل العباديون يضربونهما

بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة اعظم مما ترى فمضى خالد فنزل في عسكره فبعث اليهم ان يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوي انسابهم يسأله عن امرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة وهو الذي بنى القصر الابيض فأتى خالدا وله يومئذ ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشي فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابي قال فمن اين جئت قال من بطن امي قال فعلام انت ويحك قال على الارض قال فيما انت لاكنت قال في ثيابي قال اتعقل قال لا عقلت قال اي والله واعي قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال اخزاه الله من اهل بلده كلما اريد ان اسأله عن الشيء يجيب عن غيره قال لا والله ما اجبتك الا بما سألتني قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال احرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتي الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين قال خمسون وثلثمائة سنة ادركت سفن البحر تأتي الينا في هذا النجف بمتاع السند والهند وامواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظركم بينها اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تأخذ مكتلها فتضعه على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة واشجار مثمرة وانهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام وتراها اليوم قد اصبحت خراب وذلك دأب الله في البلاد والعباد فرحمه خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك ما يسرني ويوافق اهل بلدي قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره لم اكن اول من ساق الى اهل بلده حزنا وبلاء فاكل هذا السم واستريح من الدنيا فان ما بقي من عمري الا اليسير فقال له خالد هاته فأخذه ووضعه في راحته ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء ثم استفه فتجللته غشية وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم افاق كانما نشط من عقال فانصرف العبادي الى قومه وكان عبادي المذهب وهم النسطورية من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه واخرجوه عنكم فصالحوه على مائة الف درهم قال المسعودي وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلناه من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار وحكاها شهاب الدين ابن العماد في حكايته في المنهل السعيد كذلك ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء بروايته وانه لا يكفيه الا اكله جميعهم فقال

ص فنثرته جميعهم ما اكلت بقيته * لغيري ولا عندي بذا توقيف

ش قوله (قشرته جميعه) القشر في الاكل وغيره اخذ الشيء جميعه او اتلافه ويتفاءل
به فيقال كعب فلان اقشر ومنه يقال اكعاب واعتاب ونواصي ويقال امراة قشراء
ورجل اقشر يعني انه قليل البركة قليل الرزق تاتي قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله
ودخوله على الشخص ونحو ذلك وكان في قهوتنا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق
امراة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها
حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء (مواليا)

صحبة سكيكر لكعب الخير كانت فال * لو كعب اقشر قشرها بالعجل في الحال
لو شارك الموت او شغفوا على الاتها * قلت اقلع بو وخلي كعب في الخلخال

ومنه قصة طويس المذكوره في الكتب وكلها اشيا يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير
او شر والا ففي الحديث الشريف لاعدوى ولاطيرة ولا فال (ونعق)
غراب فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل
هذا هل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله (قشرته جميعه)
اي اكلته جميعه ولا ابقي منه شيئا لغيري وعندي مجاعة شديدة ففي راينه لا ابقي
منه شيا وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا اشره في الطعام وارخى نفسه
عليه واكل منه زائدا عن القدر المعتاد ضره واذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل
واكثر موت الناس بالتخم قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

قيل اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندي ورومي ومصري فقال لهم
الملك ليصف لي كل واحد دواء لاداء معه فقال الهندي الدواء الذي لا داء معه ان
تفطر كل يوم على شيء من بذر الهندبا وقال الرومي الدواء الذي لا داء معه ان
تفطر كل يوم على ثلاث جرعات من الماء الساخن وقال المصري الدواء الذي
لا داء معه ان لا تاكل الا بعد الجوع وان تقوم وانت تشتهي الطعام فانك لا ترى علة
الا علة الموت فقالوا كلهم صدق المصري ولما ارسل المقوقس ملك مصر الى
النبي صلى الله عليه وسلم الجاريتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة انصنا التي
الان خراب على شاطئ النيل من اقليم الصعيد وارسل له البغلة
المسماة بدلدل وارسل له عسل من بنها قرية من قرى مصر
من نواحي القليوبية وارسل مع هذه الهدية حكيما
وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبي فلما وصلت الهدية والحكيم
الى النبي صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا ناكل الا بعد الجوع
واذا اكلنا لا نشبع فلا نحتاج الى الحكيم فلما بلغ المقوقس ما قاله النبي

صلى الله عليه وسلم قال يا له من نبي عظيم جمع الحكمة في كلمتين وفي الحديث
جوعوا تصحوا فالجوع محل النشاط للعبادة ويتولد منه صحة الجسم وعدم
الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات وارباب الخلوات فان نتيجتهم في ذلك الجوع
لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البوني في بعض كتبه انها لا تصح رياضة لاحد وفي
قلبه مثقال حبة من شبع وأما كثرة الاكل فانها تنشأ من امور اما من شدة
الشره على الطعام او يكون ذلك عادة فقد رأينا من اكل الماجور الطعام ولم يشبع
ورأينا من اكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع وكان بعض الجن يأكل الفصيل مشويا
في غدائه واكله يوما واراد ان يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف تصل الى
وبيني وبينك فصيل * وذكر سيدي محيي الدين ابن العربي نفعنا الله به
في مواقع النجوم ان ابن عبد الملك كان اكولا مر برجل معه زنبيل بيض مشوي
وتين فاكل ما فيها فمرض ومات بذلك وكان الوليد من بني امية ملكا جبارا
عنيدا وكان يشرب الزق للخمر ويأكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد فمزقه وانشد يقول

تهددني بجبار عنيد * والى ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره وكان المأمون يأكل كثيرا فاصطنع له بعض
الحكماء المأمونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقل اكله لأن
قليلها يغذي الشخص ولهذا نسبت اليه واما ما اتفق لبعض الاولياء من انه
كان يأكل الطعام الكثير الذي يكفي الجماعة الكثيرة فانما هو من باب التصريف
واظهار الكرامة وقال ابن خلكان كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم
نحو مائة رطل شامي وكان بن عرج وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ان
سليمان بن عبد الملك المذكور كان نهما في الاكل وقد نقل عنه اشياء عجيبة
فمنها انه اصطبح بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة واربعة
وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم اكل مع الناس في السماط
العام ومنها انه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد امر قيمه بحفظ ثماره
ويستطيب له منها وكان معه اصحابه فاكل القوم حتى اكتفى
واستمر هو يأكل اكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم مال
الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم اتى بدجاجتين مشويتين
ثم اتى باناء يقعد فيه الرجل مملوءا سمنا وسويقا وسكرا
فاكله اجمع ثم سار الى دار الخلافة والى السماط فاكل مع الحاضرين
كأنه ما اكل شيئا ومنها انه حج فاتى الطائف فاكل سبعمائة رمانة وخاروفا

وست دجاجات وأتى بمكوك عنب فأكله أجمع ومنها أنه كان له بستان فجاءه رجل ليضمنه ودفع له قدراً من المال واستوذن في ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم أذن في ضمانه فلما قيل للضامن أهل المال كان قال كان ذلك قبل أن يأذن أمير المؤمنين وقيل كان سبب موته أنه أكل أربعمائة بيضة وثمانمائة تينة وأربعمائة كلوه بشحمها وعشرين دجاجة محمرة وفشت للحمى في عسكره وكان موته بالحمى انتهى والله أعلم (قيل) مر رجل أكول في سفره وأخذ زبقرية فأضاف إنساناً وأجلسه وكانت زوجته في الفرن تخبز العيش فأتاه بجانب من الخبز وذهب يأتي بالأدم كلما رجع يجده قد أكل الخبز جميعه فوضع عنده الأدم وذهب يأتي له بخبز آخر ورجع فوجده أكل الأدم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل جميع ما خبزته زوجته وكذا أكل الأدم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة إلى أين تمضي فقال إلى مصر قال الك حاجة فيها قال نعم قال له وما هي قال وصف لي بها طبيب حاذق ففصدت الذهاب إليه قال لأي شيء قال أنا رجل قل أكلي وانسدت معدتي ومرادي منه شيء يصفه لي لعلي أقطع في الأكل قال له الرجل أنا بقالي عليك احساناً ولكن سألتك بالله إذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلي إن كان هذا أفعالك ومعدتك مسدوده فكيف إذا انسعت ثم أنه أخرجه من منزله وتوجه إلى حال سبيله وقوله (ما تركت بقيتو لغيري) أي لأحد غيري قريباً وبعيداً (ولا عندي بذا توقيف) أي لا توقف في الأكل ولا استحي من أحد إذا كان ماراً ولا أعزم ولا أطعم غيري منه ولا أنظر فيه إن كان بارداً أو حاراً أو مقارباً أو من حرام أو من حلال نعلى كل حال لا أنظر لهذا المعنى ولا ألتفت لهذا الأمر ولا أطعم غيري ثم إن الناظم تشوق إلى مأكول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص أنا خاطري أكلت فسيخ على الندة * أصال عليها باكيا وأسيف

ش قوله (أنا) يعني أبو شادوف لا غيري كما تقدم معناه في أبيات غير هذا (خاطري) أي مرادي ودائماً يخطر ببالي ذلك الأمر وأنا متشوق إليه ومشتهيه ومنتظره وهو (أكلت فسيخ) والأكلة واحدة الأكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البوري ونوع آخر يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض بعد أن يضعوا على كل رصة حفناً من الملح فينتفع به ثم يسيل منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح ويشده ثم إنهم يأخذوه ويبيعوه ويأكله أهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخ منه ويشقون بطنها ويضعها الرجل أو المرأة على يده اليسرى أو في يديهما الاثنين

ويعصر عليها الليمون وينتش منها لقمة لقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم ويأخذ عليها
اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذى ينتش الرمة مثلا ويعلوقه ويديم القرازه والرائحه
الخبيثه ويأكلونه حتى فى الاسواق واغرب من هذا انه اخبرنى من اثق به من اهل
سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولى على البحر يقال له العدوى نفعنا الله
به فرأى شخصا من الارياف قاعدا فى بيت الخلاء ومعه فسيخه ورغيف
يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل فى بيت الخلاء فقال له انت تطردنى
من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والا مرادك تأخذ منى الفسيخ فخرج من غير
استنجاء والفسيخ فى يده وراح الى حال سبيله * ولكن له عند نساء
الارياف موقع عظيم وشهوة لا يعدلها شئ خصوصا اهالى الكفور وبلاد
الملق فانهم لا يرونه الا من النيل يجئ لهم من دمياط ورشيد فى المراكب
ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائده ويجلب للصعيد وغيره وهو
مشهور ببلاد مصر (واما) فسيخ البطارخ فانهم يبقوه فى الهواء الى ان
يجف ويصير يابسا عن الفسيخ وهو ما كوك الاكابر ويسمى بطارخا لان جوفه
ملآن بطارخ بخلاف الفسيخ فانه خالى عن ذلك ويأكلونه بالخل والزيت
وربما اضافوا اليه الثوم والبصل المقلى وطين والحرارات وهو شهوة عظيمة فى بلاد
المدن وغيرها يتكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه صرب
بكسر الصاد الاولى ويعملون البطارخ الذى فى جوفه فى اناء ثانى ويضعون عليه
الزيت الطيب والشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال اكله
فى الشتاء وسمى الفسيخ فسيخا لتفسخه عند الاكل او ان الذى صنعه اولا خرج
منه ريح عند اكله فتمد اخر فقال فسى اخ فركبوا هاتين الكلمتين وجعلوها
علما وقالوا فسيخ * وقوله * (على الندى) * اى وقت نزول الندى
لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان فى اول النهار ربما اعتدل
اكله هذا اذا كان فى زمن الصيف * واما زمن الشتاء ففى اى وقت كان
ويستحب ان يشرب عليه شرابا حلوا ويتوكل عليه عسل فانه يذهب ضرره واذاه
وقوله اضنالك * تقدم معناه (عليها) اى على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ
لشدة شهوة نفسى الخبيثة اليه * (باكيا) * اى استمر على عدم حصول هذه الاكلة
باكيا والبكاء هو غزارة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء
اذا انزلت منها المطر وبكاء السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء
والارض قال الشاعر

ولكن بكت قبلى فاورثنى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بلك للجرح اذا خرج منه الدم وقوله (واسيلك) سكنه لضرورة

النظم لان اصلح اضالا اسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لي فلا انفك عن هذا الحزن حتى كل منها واشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب و بعد الصديق قال الشاعر

وما اسفى الاعلى من ١٠ اوده * ومن لا اودو ماعليه سلام
وماعتبى الاعلى من ١٠٠ اوده * ومن لا اود وما عليه عتاب

ولتريبضهم

وقال بعضهم

اعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابنى منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ولبعضهم

وانت اخى ما لم تكن لى حاجة * وان عرضت ايقنت ان لا اخاليا
ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

وقال اخر

لما رايت بنى الزمان وما بهم * خل وفى للشدائد اصطفى *
ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى *

وقال آخر

صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك زره واحذر بوائقه *
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كساد فاسواق المنافق نافقة
فلا تخش الا الله لا رب غيره * فما رفع الدنيا لحر ولا تقه

وقال آخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال آخر

انت ما احتجت الى صا * حبك الدهر اخوه *
واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه
لو راى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

وقيل فى الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب ان الصاحب من طالت عشرته ويفرح لفرحك و يحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب * والخليل من طالت عشرته بك و تخللت محبته فى الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك و يفرح لفرحك لخ وتخللت محبته فى الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك * ثم ان الناظم انتقل من

شهوة

شهوة الخبيث الى الطيب فقال

ص   على من نضر في فرن دار وطواجن * زغاليل من برج ابن ابو شعيف

ش * (قوله) * على من نضر * بالعين لا في فرنه وهو ماتضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه في الجزء الاول من هذا الكتاب (دار) اى دار الناظم فالضمير في داره راجع اليه يعني لايكون في دار غيره ولا تكون الطواجن في فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم معناه ملآن (زغاليل) وهي افراخ الحمام البرى المتخذ من الابراج ويقال لم للحما الغيطي لانه يرعى في الغيطان ومحلات الزرع والاشجار وكلها نافع يقوى الباه اذا اضيف اليها الحرارات والسمن البقرى فلاننسا لعن جودة طعمها ولذة اكلها والحما اسم جنس شامل لكل ماعب وهدر ثم انه بين ان الزغاليل التي اشار اليها لا تكون الا من برج لا من الزغاليل المتولدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حوله بعضه البعض فيه قواديس تخار ياتي اليها الحمام البرى ويبات في تلك القواديس ويفرخ ويخرا فيها ايضا ويسمون خراه عندهم ربما ياخذونه لزرع البطيخ والبقل يطعمونه به وامره عندهم مشهور ويأخذون من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا في سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغلة وهو نبات ازرق اللون شبهت به الزغاليل لحسن زرقة ريشها وانه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والفهم الذي يصنعون به زبيب والمكبر الذي ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح في هذه الصنعة لكن تراهم دائما في شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة * وسئل الامام الشافعي رضي الله عنه عن الكيمياء فقال اعرف من اتقنها الا من استغنى فكذلك الحما في كل قليل من الايام يدخلون عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما في خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما ان واحد الهبابيل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهاة بالزينة قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسئلة) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع ان اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاول لحمام كيف الحال (قلنا الجواب) المشترى ان للمناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسي ووجه طبي فالاول ان للحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيطان والمغاطس واشتغالهم مع بعضهم البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحما فيه ازدحام

الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لافراخه وتغريده وهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه للحيضات والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوي والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى اعلا البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون ارزاقهم ومعاشهم كما في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس المنطقي * (والوجه الثاني) * ان الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة واحسن الحمامات ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك للباه وان كان في افراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تاما واجوده الحمام البري واما الذي في البيوت فان المداومة على اكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان في ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى فاتجه الجواب عن وجه هذا الهباك واما اسم الحمام الطائر فانه مشتق من الحوم وهو التردد في الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ما تقدم ومصدره حام يحوم حوما (واما الحمام) المبني فانه مشتق من الحمى وهي السخونة لان الشخص اذا دخله صار كانه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق او من الحموم وهو الغطوس في الماء من قولهم فلان استحم في البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس او من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما في المحبة من شدة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع اي محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة افعاله شددت ميمه الاولى * (واما الحمام) * بكسر الميم فهو الموت فان حاءه ما كسرت الا لان الشخص يكون في حال حياته في شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا اثره

قال الشاعر

تلك اثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الاثار

وهو مشتق من الشدة يقال احم الامر اذا اشتد ولا شك ان للموت شدة عظيمة في خروج الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث الفشروية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان * (ابو شعنيف) اصله ابي لكن لم يساعده لسانه لعجرفته في الكلام وهذه كنيته * واما اسمه الاصلي فهو عفلق او عجلق على ما قيل وابنه المذكور في النظم اسمه فلحس وهو من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش

المسمى

المسمى بالنيف المتقدم ذكره ويضحى للبها ثم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال في البلد
شاع بالنيف اى بسرقة النيف ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وابقوا الاسم والفعل
وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا ابو شغنيف وهو مشتق من الشغنفة على وزن الفطير
ولعلها بمعناها ومصدره شغنف يشغنف شغنفة * ثم ان الناظم بين كيفية
اكله في الزغاليل وانها تؤكل بالفطير فقال

ص ونطر فطائر من فطير ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيف

ش قوله (ونطر) على وزن وشمر قال الشاعر

وشمر عن ايره وطرطر عامدا * عليها ببول فهى فى البول تغرق

ومعناه انه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى
بحصولها عندى لا يلذ لى اكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطائر) مصدره
مثل عمل عمائل او مثل قشر قشائر ومعناه ابطط او اصنع فطيرا والفطائر
جمع فطيرة ويجمع على الفطير مثل خميرة وخمير او حجارة وحجر والفطير
ثقيل غليظ لا يوافق الادمى لانه يولد الارياح هذا اذا اكل وحده واما
مع غيره فلا باس به وهذا كله فى فطير الريف الذى اراده الناظم فانهم
ياخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويصنعونه فى الفرن
او يدمسونه فى الجورة ويقال له فطير ذماسى ثم انهم ياخذونه وياكلونه
فهذا هو الثقيل المنهى عنه واما الفطير الذى تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلا
ويلبسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا باس به وكذلك الذى يصنعونه وقت
عجنه بالسمن ويخبزونه للعطور ونحوه فهذا لا باس به ايضا بل هو المطلوب
وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق اى يكون ابن عمه يتبرع له به من غير
مقابل او يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له او يهبه اياه او يتمكن
من سرقته ويخبزه فى الفرن او الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن
ويفت فى مرقها الفطائر المذكورة ويتأهب للاكل منها (ويقعد لها) اى
للزغاليل او المجموع ذلك (قعدة) اى مثل قعدة (غلام) وهو الذى اطر
شاربه قال الشاعر

منا الغلام الذى اطر شاربه * والعانسون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من ناهز الكمال
والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام اى عنده خسافة اى تفكر وكآبة
وشدة حزن فاكون مثله عندى تفكر وشدة جوع فما اصدق ان ارى
هذا الطعام وهذا الفطير واكل منه حتى اكتفى ويذهب جوعى وتفكرى

شهوة مثل الغلام الذى اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمع على احبابه فيزول همه ويتيسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد كما اتفق ان بعض العارفين مر برجلين ياكلان فى رمضان فقال لهما ما امركما قالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا فى هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما فقال احدهما اجرح ذراعى فجرحه فخرج الدم من ذراع الاخر من غير جرح فصارت ارواحهما واجسادهما كانها روح واحدة فى جسد واحد كما قال ابن العربى نفعنا الله به

نحن جسمين بجسم واحد * نحن روحين حللنا جسدا

وقال ايضا عفى عنه

ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا
ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما تبصر الابصار الا موحدا

قال ابن هانى عفى عنه

لم يخلق الرحمن احسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تالفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطع فى حديد واحد
واذا صفالك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

وله ايضا رضى الله عنه

لا يعرف العشق الا من عشقا * وليس من قال انى عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المتحابين فى الله فى ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخرى تمناها فقال

ص على من نضر طاجن سمك فى فرنه * ولو كان يالخوانى بلا تنضيف

ش قوله (على من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملان (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة احل الله تعالى اكله هو والجراد حيا وميتا وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف واجوده الطرى واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد فى الباه والمالح احر من الطرى وايبس ونفعه الكبير منه اذا يوكل مع شراب عتيق وفالوذج خصوصا اذا كان متخذا من ماء عذب جارى والمفلس منه

اولى من غيره قال بعض الحكماء كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس
منه مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتفاوت فى
الطعم واللذة فاما البورى فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل
ويعمل ايضا فى الطواجن مرقة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل ايضا بالكشك
وقد اكلته فى دمياط مرارا ويعمل ايضا بارز لكن قليل عن الفلفل يضيفون عليه
ماء الليمون ويسمونه قفاعية واكلته وله لذة عظيمة وطعمية لطيفة * واما
القجاج فانه على دقته واطيب طعما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير
وفى المثل اذا عدم الدجاج كل القجاج ويتنوع فى الاطعمة مثل البورى واما
السمك البنى فانه الذ فى الطعمية من الكل ولا يوجد الا فى قاع البحر العذب
يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامرا والوزرا وهو جيد
الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلى وحشى فلا تسأل عن لذة طعمه
فانك تود ان تاكل اصابعك من حسنه وفى المثل من لسان حال البنى ان رايت
احسن منى فلا تاكلنى * ونوع فى السمك يقال له شبار له لذة فى الطعم والماكل
وقد ورد انه ياكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما
مراده السمك الذى يصيده من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر
ملآنة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير ونحو ذلك
فتنزل اولادهم ويصيدون منها فياتون به وينظفونه ويضعونه فى الطواجن
ويضعون عليه شيا يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه
فى الفرن الى ان ياخذ قوامه فياكلونه بخبز الاذرة او الشعير ويصير له
زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم الذ الماكول وياتون بالقراميط السود
الصغار ويدفنونها فى الجورة الى ان تفسخ يسيرا وياكلونها اعاذنا الله من ذلك
وبذكر السمك تذكرت مما اتفق ان رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال
وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المفلفلين فرسلها عاشقها يوما وقال لها
طال الموعد فقالت له فى غد تاتينى فى اخر النهار ثم انها احتالت وقالت
لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه فى هذا اليوم وناكله فمضى الى السوق
واتى به فنظفته واصلحت شانه ووضعته فى طاجن كبير وقالت له خذه وامض به
الى الفران وارجع من حينه وقل للفران يرسله مع غلامه اذان العصر
فاخذه زوجها وذهب به الى الفران واعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا
وطاعة ثم ان الفران ارسله لها فى الوقت المعلوم فبينما هى جالسة وانا
بصاحبها الذى وعدته يطرق الباب ففتحت له ودخل واكل من ذلك

السمك وتمتع بحسنها وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها في الحديث اذ طرق زوجها
الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها فتحت
لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الذى اصابك فقالت له
اسكت يا راجل لما تسكن روحي في قلبي انا لم اقدر ارد عليك وكانت وقعتي
معك وقعت الشوم ارأى القران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفنوا
ناكل منه طلع لي راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتي منه اخافنى لا يطلع
على شئ واهو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكه وانا طول عمرى
ما حد شافني ولا نعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجرى منى طالع الى الرواق
فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك المطعوم من حطك في الطاجن يا ترى
هو القران والاصبيو فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خذه وروح به
الى القران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل له من ذا الوقت لا تحط في طاجننا
حد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجه به الى القران
واعلمه بالقصة فعرف القران الامر وتحقق القضية فقام وعمل انه يضرب الرجل
وقال له انا وضعتك في طاجن اللحم خالفتني ونزلت في السمك ان بقيت تخالفني
اشوش عليك ونضربك فقال الرجل للقران يا سيدى ما عدت اخالفك ابدا الطاجن
الذى توضعني فيه لا اطلع منه ابدا ثم ان القران قال لزوجها اخبر زوجتك انى
شوشت عليه ولا بقى ينزل في طاجنها ابدا قال فمضى زوجها واخبرها بالقصة ففرحت
وقالت ان عاد يحط لنا احد في طاجننا ما بقينا نطبخ عنده شئ ابدا ثم تركها زوجها
ومضى الى اشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم * ومن العجائب ان بعضهم صاد سمكة
فرأى مكتوبا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فاطلقها لاجل كلمة
التوحيد والشهادة واعجب من هذا ان بعض الاولياء كان في سفينة فهاجت
الريح واشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولي اسكن ايها البحر فانما على
ظهرك بحر مثلك اى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت
من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم انك ولي وبحر في العلوم
والمعرفة ولكن انا اسألك عن مسألة اترد جوابها قال قولي فتكلمت السمكة
بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء ام عدة الاموات
فتحير الشيخ في امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعواك في بحر العلوم
فقال انى استغفر الله مما قلت فارشدينى الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادا
تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت في البحر
فتاب الولي من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه انه يقبل التوبة
عن عباده فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى

ويذكر قصة الغراب والسمك تذكرت ان حفظ الوداد قليل في الناس ويعجبني قول بعضهم

لقد كان لي خل علمت ولاءه * وكان صدوقا في المقال بطيلا
فخان ودادي ثم انكر صحبتي * فيا ليتني لم اتخذه خليلا

وقال بعضهم

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقال آخر

لاضربن رحائي الفقرعية * حدا وانصب آمالي على خشبه
لعشرتي لاناس لا خلاق لهم * بيض الثياب واقفال على خربه

ومن كلام الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

تعد من الناس كل بعد * ما لم تكن بينهم بجليل * ولا تقل كان لي اباك * عليهم في الزمان الاول
الخز بين اهله كليب * اذا ارادوا ذليل مهلهل (وقال ايضا رضي الله عنه)

لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال
الا فاقلل لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وقال بعضهم

ما في زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان وفا
فعش فريدا ولا تركن الى احد * اني نصحتك فيما قد جرى وكفى

ولابن عروس قطب بلاد المغرب

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينه اني نصحتك فانظر لنفسك المسكينه

وقوله (في فرينه) اي فرن الناظم وصغره لاجل النظم بمعنى انه ياتي من الغيط او الجرن غيره في فرنه حاضرا مطبوخا من غير ان يتكلف لصيده وتسويته من الزيت والنار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولو كان) هذا السمك الذي اتمناه (بالخواني) يخاطب به اصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنين اخوان فانه قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال بعضهم من فقد اخوانه فقد مروءته * قيل اتى رجل الى المأمون فقال له انا اخوك اعطني من بيت مال المسلمين ما يكفيني فقال له من اين انت اخي فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ما هذا عطاء الملوك فقال له المأمون لو فرضنا اني فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك اقل من ذلك

نفى الرجل ولم يظفر بشئ غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا وكان المامون يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا اثاب عليه ومن حلمه ان جارية من جواريه قدمت اليه لحما مشويا فى اسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فخرقها واتلفها فنظر اليها فقالت والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظى فقالت والعافين عن الناس فقال قد عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين فقال انت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة فى الحلم والعفو لا يقدر عليها احد رحمه الله وله اخبار عظيمة فى ذلك وقوله (بلا تنظيف) اى ولو كان يجد هذا السمك فى طاجن فى فرنه من غير غسل ولا تنظيف بالماء بل برصوته فى الطاجن بعظمه وبحوفه حتى يصير مثل المشوى فى الجودة فيتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره وقلة ما بيده وقوة شهوته للاكل منه وفى المثل الغريق يستند على القش وفى مثل آخر بطينه ولا غسيل البرك فعلى كل حال انه ليسد جوعه ويقضى شهوته فالشخص اذا اشتهت نفسه شيئا ولو حقيرا متى وجده كان عنده عظيما واكل منه اكلا زائدا فان الشهوة البهيمية تزحزح صاحبها على النجث الماكول فكل من اطاع نفسه وهواه خسر * قال سيدنا عيسى عليه السلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب البردة رحمه الله تعالى

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب فى المعاد * وقيل مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة ليشتهى اكل الهريسة ويخالف نفسه ويصبر الى ان حصلت له يوما وهو فى الخلوة فمد يده لياكل منها فانشق حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال اف عليك يا عمر فقال ان اكلتها ثم انه تركها ولم ياكلها بقية عمره وخالف نفسه ومن النكت المضحكة ان بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فالعنها وكل غيره ولا تطعها ابدا فاتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضعه بين يديه ووضع بين يدى التلميذ صحن عدس وكان الذى وضع بين يدى الشيخ ارز مفلفل بلحم ضان يقال لها فارش مارش فمد التلميذ يده واخذ الصحن من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه اما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى انى اكل من الصحن العدس فخالفتها واكلت من هذا اللحم الضانى بالارز المفلفل وكان للشيخ غلام جميل فدخل الشيخ يوما فى الخلوة فوجد التلميذ يلوط بالولد فقال له ما هذه الفعال فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى وقالت لى نك الشيخ فخالفتها وفعلت فى هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله

ما اشغالك وما اخبثك فخرج من عنده ولم يعد اليه ثم ان الناظم اشتهى شيئا لم ير في بلده الا يوم عيد النحر فقال

ص على من رآى في التل كرش ملقح * ومن فوقه الدبان يعف عفيف

ش قوله (على من رآى) رؤية بصرية كما تقدم في غير هذا البيت (في التل) اى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون في الغالب حول البلد لان كل من يكون عنده تراب او رماد يكبه قدام داره برا البلد امام بيته وجاريته مثله وهكذا الى ان يتصل بعضه البعض ويعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها حتى يصير كوما عاليا يرى من بعيد وبجانبه ايضا محلات خالية يشخون فيها جميعا نساؤهم ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها ايضا ثم ان النساء والرجال يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغيط والزرع والقلع والعجول والجاموس وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا ان تكون في دار الشاد بالكفر له ولجماعته يشخون فيها وقد قيل في المعنى

سالت بنى الارياف ما المبيو تكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فما تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم ايضا العلية بكسر العين المهملة وتشديد اللام قال الشاعر

اتيت الكفر في ضحوه رايت اهلو جميع شالو وراحوا فوق عليه عليها الكل قد بالوا

اى طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا واطفالا وتطلق العلية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم في العلالى اى انه صار يجلس عاليا عن الناس وبقى له في الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال الشاعر جوز غزلان يا مهلاهم شاقنى على القدم خاهم متى يا زمان تجمعنا في العلالى انا واياهم

فان قيل ان الناظم قال في التل فيفهم منه انه يرى الكرش في جوف التل فيكون متواريا عنه واكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شئ ظاهر لا على شئ مغطى مستور كما تقول فلان في الدار اى في داخلها فما الجواب قلنا الجواب المشروح ان في بمعنى على اى كرشا ملقحا على التل او الكوم كما يقال فلان في الجبل اى فوقه لا داخله لانه لا يستطيع ان يثقب الجبل ويدخل فيه وان حروف الجر على بابه ويكون قوله في التل بمعنى ان في جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون فيها الكروش مثلا فصدق عليه ان الكرش في جوفه وان كان ظاهرا يرى للناس فاتجه الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (كرش ملقح) اى كرش البهيمة التى يذبحونها يوم عيد النحر لانهم لا يرون اللحم الا في ذلك اليوم ولا يمكن انهم يلقون الكرش على التل

يأخذونه ويلقون ما فيه من النفل ويغلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة ويسمونه جغل مغل وله عندهم موقع عظيم وأما في بلاد المدن فانه من الضأن ويضيفون اليه الرأس والكوارع ويسمونه سقطا ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبره والسلق ويصبون عليه الخل ويصير له لذة عظيمة فيبيعونه بالراس تارة ويدرجونه في الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة بغيرها والروس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع تسقية يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما هو مشهور في بلاد المدن وأما اهل الريف فانهم يصنعون جميع ذلك في الدست والبرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج ويقلونه بشيء من البصل او الثوم ويأكلونه ولا يعرفون السمن ولا الحرارات ولا شيأ من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء ويأكلونه حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور اي ان كرشه بارز ظاهر كما يقال للحائط اذا برزت منه حجارة عن سمتها المعتاد وآلت للسقوط حائط مكرش اي آيل للسقوط وفلان صاحب كرش اي كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان كرشه يظهر كبيرا خارجا وفي الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو ممدوح في الغنم والبقر يقال الكبش سمين ممتلأ شحما ولحما فاذا ذبح على هذه الحالة وادرج راسه في كرشه يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه وكثرة شحمه ومن المناسبة ان السلطان قزلباش ارسل الى السلطان قانصوه الغوري يهدده بهذه الابيات

السيف والخنجر ريحاننا * اف على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا * وكاسنا جمجمة الراس

فاجابه يقول

لله في ملكه خاتم * تجري المقادير على فقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من نبشه
مصارع البغي لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * ادرج راس الكبش في كرشه
ونحن ان لم نرج او نبتغي * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسل له السلطان قانصوه الغوري بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائب الغوري ورده خائبا والقى الله كيده في نحره ولم يفده ما نصحه به السلطان الغوري من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا مثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفي الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته * فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه ان يرى كرشا مرسيا على التلي اي الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسيا نا ووذ هولا او ان الشاد

بالكفر ذبح كبشا والتى كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيا ويأخذون كرشها وجميع حوايجها يطبخونه وياكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوما ويرى هذا الكرش الذى تمناه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة اهل الكفر فى بهيمة (و) لوكان من (فوقه الدبان) وهو الذبان وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على السنتهم ومفرده دبانه ودبون مفرد الذكور منه والدبان على وزن الخرفان والجديان والدبون على وزن الميمون او المأبون قال بعضهم مواليا

فى خاطرى يا مليح لوكنت دبانه * واحط فوق شفتك وتلتش اقول دانه
على ويا بو حسن للدعش نعشا * غيرى تواصل وانا سحى لك تقول نانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة فى بعض الكتب منها انها اذا اخذت ذبابة وربطت وهى حية فى خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتكى الرمد خففت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لاى شئ خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون) يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل الله تعالى فى كتابه العزيز توبيخا لهم ولاصنامهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب والذباب له اعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا ان فمه واسع وارجله قصيرة عن ارجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة فى فمه ويلقيها فى شئ يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه الى ان تموت وذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به ان زوجته ام عبد الرحمن اصابها مرض شديد اشرفت به على الهلاك فدخل يوما بيت الخلاء فسمع هاتفا يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص لك زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة تتحايل فخلصها فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى وقوله (يعف عفيف) اى يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشئ اذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض واما المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل عن الشئ بمعنى كف عنه ثم ان الناظم اخبر عن كيفية اخذه وأكله فقال

ص دنا ان شفته خدته بالوسلطه وكلته بنفلو ما ارى تقنيف

ش قوله (دنا ان شفته) اى اذا من الله علينا ورايته ملقى على التل (خدته) اى اخذته فحذف الهمزة وابدل الذال المعجمة دالا مهملة جريا على اللغة الريفية

(بجالوسلقتو) بمعنى اى القيه فى الدست او البرام والتى عليه الماء لاغير واسلقه من غير تقلية ولا تشريح وغير ذلك لشدة فقره وعدم ما فى يده وقوله (وكلتو بتفلو) اى بما فى جوفه من المريحى ولو انه نجس مبالغة فى الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه وهذا يعاير به الرجل الاكول عندهم فيقال فلان يأكل كرش بخراه مثلا ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض لاجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى بلده فرأى بين القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لام معيكه بجديد وكل انت الآخر بجديد ولوا نكسر عليك مال السلطان فاعطى بتاع الكروش الجديدين فصار يقطع له مما يباع للقطط وهو يأكل من غير ملح واخذ بالجديد الثانى قطعة كبيرة وزاد له عليها كبدة وروية وهى الفشة ولف ما اخذ فى شده الذى فوق راسه وربط عليه وكانت الفلوس الذى باع بها البيض مربوطة ايضا على الشد ثم انه سافر الى ان مر على قرية فى الطريق فرأى شجرة فجلس ليستريح تحتها فضربه الهواء فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذى على رأسه فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح فى القرية فقام يجرى خلفه ويصيح ودخل الدار التى طلع الكلب فى سطحها فلما رآه النسوان مكشوف الرأس فى هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد فى القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه اهل الخير فاطلقوه فمن عدم ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس واكل الضرب ورجع الكفر خائبا نائبا وقوله (ما ارى تقنيف) بمعنى انى ما اتقنف من اكله لكونه فيه الثفل ولان جوانبه فيها النجاسة مثلا فان نفسى تطيب لاكله ولا تمتنع عنه وفى القاموس الازرق والناموس الابلق ان التقنيف مشتق من التقنف وهو المنع عن الشئ كما يقال انت قنف او فلان تقنيف او من القنافة بضم القاف وهى التى توضع فى خرق الناف الذى على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة قال الشاعر

لقد خف منى العقل حتى كاننى * احاكى فى الافعال كنافة البقر

ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقح على التل والكوم ترجى من الله تعالى ان يبلغه مناه وانه بعد مدة ان طال عمره يروح المدينة وليشبع فيها من اكل الكروش وغيرها من الترمس والمقلى فقال

ص اناان عشت لاروح المدينة واشبع كروش ولوانى اموت كفيف

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهى قوام الجسد وانتعاشه من المآكل والمشرب اى ان طال عمرى وكان فيه تأخير فى علم الله تعالى (لاروح المدينة) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وادام سرورها باهلها

وابد نعيمها بسكانها وحرس علمائها الاعلام وامرائها الكرام لانها مدينة الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبها والكمال وطيبا لمعاشرة ولطف المذاكره كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتزوج مصرية ليس بمحصن وملاحها الولدان كانهن الغزلان او قضبان البان لا يوجد مثلهم في الروم ولا في العجم ولا في العراق ولم يرا لطف منهم في العشرة باتفاق كما قلت في هذا المعنى موشحا

دور

يا من يرد عشق الجمال * يشد الى مصر الرحال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

ملاحها لا يوجدوا * في الروم ولا ارض العراق
ولا بلاد ارض العجم * ومن رقى السبع الطباق
اللطف فيهم منطبع * وريقهم حلو المذاق

دور

من حاد عنهم بالميال * حرم عليه طيب الوصال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

يا حسنهم يا لطفهم * يا ظرفهم كم ذا ترى
من كل اغيد حين يميس * تقول لعقلك لا ترى
مثلو ترى غيره يفوق * سبحان خلاق الورى

دور

فعش بهم دوم الليال * فحبهم عندي حلال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

اما العجب ثم العجب * في يوم الاعياد والفرج
كم ظبي ترفل في الحلل * والخال فوق خد وعرج
تقول جنان رضوان خفي * قد فتحت وقد خرج

دور

منها يريد قتل الرجال * بحسن قده والميال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

والله والله العظيـــم * ومن له انشق القمر

من عشقهم صبري فني * وزاد وجدي والسهر

وقد بقيت اصفر اليدين * ولست اقنع بالنظر

دور

ما حيلتي في كل حالـ * الا الدعا اراه محـال

كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

يوسف سميت ادعو الاله * يغفر ذنوبي كلـها

وبلدتي شربين عظيم * بين المدائن قدرها

بلد الفخار مع العلا * والعلم مشهور ذكرها

دور

ثم الصلاة باتصالـ * على النبي باهي الجمالـ

كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود واحمرار الخدود ورقة الكلام وقلة الملام وحسن الانطباع وقلة الامتناع لفظهم الطف من النسيم ورضابهم احلى من التسنيم كما قال الشاعر

ما مثل مصر في الورى بلدة * سكانها ترتع في نعيمها

نسيمها الطف شئ في الورى * واهلها الطف من نسيمها

وقوله (واشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسي وهو ما تقدم وعلى المعنوي وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان اي استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصا اذا ذاق التعب والنصب اول زمانه وافاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال في المثل هذا محدث النعمة لانه لم يعرف قدرها ولم يصرفها في مصارفها وانما جن به الدهر حتى نال هذا الامر قال الشاعر

مستحدث النعمة مستودعها * عيناه مملوءتان فقد

جن به الدهر فنال الغنى * يا ويله اذ عقل الدهر

واما اذا عرف الشخص ما انعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير والحسنى وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش اي ان بلغت المدينة لابد ان اشبع من الكروش التي يصلقوها وتباع واقضي مرادي ومنيتي وبغيتي منها (ولوانى) بعد شبعي من الكروش

المذكورة وقضاء شهوتي (اموت كفيف) اى اعمى يقال كف بصره اذا حصل له العمى وفى الحديث القدسي ان الله تعالى يقول اذا اخذت كريمتي عبدي فى الدنيا لم يكن له جزاء عندي الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذي عن انس * وقال البوصيري الاديب

اذا مدت عيناي قل مسامري * وقلت لحاجاتي من الحي والحما
يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * واذا كف جئنا كي نهنيه بالعما

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمي يقولون له انت بقيت من اهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الان وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها اجر عظيم وفضل جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه فى حكم الميت لا محال قيل وجد مكتوبا على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر والظلم اذا دام دمر والفقر هو الموت الاحمر والاعمى ميت وان لم يقابر ومن لم يترك الذكر لم يذكر وما ابتلى الله عباده بشيء اضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما فى المثل اعمى قال لاعور كاس العمى مر فقال الاعور نصف خبرك عندي وفى المثل الاخر (والاعور الممقوت فى اهله * اولى من الاعمى على كل حال وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهي الخنات او يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه وينتف شعره ويحسن للفاسق نفسه وينتف اصول شعره بالظفر او يلقطه بالملقاط فان الامرد ما دام خالي العذار تميل النفس اليه واذا التحا قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذي * كان فى التيه مسرفا
حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا
فسروا الله ناظري * مذ رأى ذاك واشتفا
شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

وقال الشاعر

سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه ولحيته عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق الوقحاء من يميل الى اصحاب اللحاء قال الشاعر

بلوطي يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى زان من يحب الغوانيا
قلت لاصحاب اللحاء تعففا * فما انا لوطي ولا انا زانيا

وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى ان قول العذول فيهم منسوخ قال الشاعر

اهواه طفلا في القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال بعضهم

تعشقته شيخا كان مشيبه * على وجنيه ياسمين على ورد

اخا العذل يدري ما يراد من الفتى * امنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكل هذا من الانهماك على الشهوة والحمول في العشق والمحبة والا فالعاشق الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتعنيق واللبوس وكلها غرامة فلوس ثم ان الناظم بين كيفية اخذه الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهي زوجته واسمها قطيعة فقال

من واخذ من غزل العجوز وابيعو * واكل بحقه يا ابن بنت عريف

ش قوله (واخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيعه وقيل اسمها بعره بنت قلوط والبعره قريبه من القلوط لانها بنته والقلوط ابوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المراة الكبيرة وعلى الخمرة فيقال لها العجوز ايضا والعذراء ولها اسماء كثيرة قال بعضهم

عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى باسمين من كل واسم

وفي الكلام تقديم وتاخير ومعناه اذا عشت لاروح المدينة واخذ معي غزل العجوز وابيعه فيها (واكل بحقه) كروشا وغيرها ولو اني بعد ذلك اموت كفيفا لاني اذا قضيت مرادي وعشت بقية العمر اعمى لا ابالي بعد قضاء شهوتي وحصول ما كنت ارجوه من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلا من اهالي الكفر قيل انه من اقاربه وقيل من اصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى مما ناله ويقول له لابد انك تفرح لي اذا طال عمري ورحت المدينة وشبعت فيها كروشا وارجع اليك وهذا يدل على انه صديق له وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون اهل الكفر فان الشخص لا يشكو حاله الا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويتحمل عنه الهموم او يواسيه اذا كان متيسرا من الدنيا ويسليه بالحادثة ونحوها قال الشاعر

ولابد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع

وقال ابن عروس

اوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للي يريدك

الحمل اذا تفرق اشتال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خر الحسن واسم والده فسا التيران وسبب
تسميته فسا التيران انهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف فى وسطها
ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من يقربه رائحة الفسا فيقول له
انت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فسمى بذلك واما جده لامه فيسمى عريف
لاحد امور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق الحلات التى تحت التل يشحون
ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بنى هلال وما وقع بينهم وقيل كان له
معرفة ودراية فى ضرب الغرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك
وقيل انه كان يعرف الشاد امور اللبص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا
صورة عوانى فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا اللفظ على من
يقيمه مؤدب الاطفال فى الكتاب يعرف الاولاد احوال القراءة ويعرفه ايضا الفقيه
عن احوالهم فى غيبته كما هو مشهور فى بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لابد له
من عريف على ما جرت به العادة قال العلامة البلقينى الشافعى فى تفسير قوله تعالى
فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء
فى حديث الاعمى والاقرع والابرص روى ان ثلاثة من بنى اسرائيل احدهم ابرص
والثانى اقرع والثالث اعمى اراد الله ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا (فاتى الابرص)
فقال اى شئ احب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرنى الناس فمسحه
بيده فذهب البرص واعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال اى المال احب اليك
قال الابل فاعطى ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها (واتى الاقرع) فقال
له اى شئ احب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس منه
فمسحه فذهب واعطى شعرا حسنا قال فاى المال احب اليك قال البقر فاعطاه
بقرة حاملة وقال بارك الله لك فيها (واتى الاعمى) فقال اى شئ احب اليك
قال ان يرد الله الى بصرى فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاى
المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاة فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان
لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم (ثم انه اتى الابرص) فى صورته
وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بى الحبال فلا بلاغ لى اليوم
الا بالله ثم بك اسالك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا اتبلغ عليه
فى سفرى فقال ان الحقوق كثيرة فقال كانى اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس
فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله
الى ما كنت فيه (واتى الاقرع) فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذلك ورد عليه
مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاعمى)

في صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بي الحبال في سفري فقال قد كنت اعمى فرد في الله بصيرا وفقيرا فاغناني فخذ ما شئت فوالله لا امنعك اليوم شيأ اخذته فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

اقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وما سدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تانى يراجع فيك دهرك عقله * فما سدت الا والزمان به سكر
ولكن سيصحو الدهر من بعد سكرة * ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر

وقال آخر مخمسا

رئستم بلا اصل وعلم ولا ولا
وسدتم بلا اهل وفضل ولا ولا
سااقسم بالله الذي خلق الملا
يمينا لقد جسمتم رتب العلا * والبستموها بعد عزتها ذلا

نشا الدهر انتم عظا ؤه
وانتم راضيه وانتم سما ؤه
فلو كنت ممن لا يرد قضا ؤه
صفعت زمانا انتم رؤسا ؤه * بنعل ولكن صفعه بكم اولى

فطوبى لعبد يكتفي بذهابكم
وويل لحر يشتقي بايابكم
اقول وقلبي ملكم وازدرى بكم
لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم * كما خاب من في عشقه خان او زلا

فبعدي عن الاوطان صفو لبنيتي
وفقد الذي اهوى وعظم بليتي
وهتكي وتعذيبي وقرب منيتي
فذلك مرادي واعتقادي وبغيتي * ولا يجمع الرحمن لي بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شيء آخر فقال

من واسرق من الجامع زرابين عده * واكل بها من شهوتي في الرغيف
واشبع من الترمس واكل مقلي * والفول بقشره وما ارى لو قشيف

ش هذا الكلام كله من بقية كلام لابن بنت مريض المتقدم ذكره اي انه يقول انا اذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز واكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتي من الكروش المذكورة ورايت الترمس والمقلي الذي اشتهيه ولم يكن معي شيء من الدراهم فحينئذ ادخل بعض الجوامع التي في اطراف حارات المدينة التي يصلي

فيها اهل الرياقة لان الزرابين لا تكون الا بارجل اهل الريف لان المراد بها المراكيب وهي
جمع زربون على وزن مجنون او مركوب او ماجون وهو المركوب الذي يمشي به الفلاح
ويسمونه ايضا جوادا وتربيلة (واسرق) والسرقة حرام ومنهي عنها قال الله تعالى
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اي اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار
ما لم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور في كتب الفقه واباح الله
تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة
وذلها كتب رجل لبعض العلماء شعر

يد بخمس مئين عسجد فديت * ما بالها قطعت في ربع دينار

فاجابه بقوله

عز الامانة اغلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

اي ان هذه اليد لما تعدت على مال الغير واخذته وخانت الامانة ارخص الله قدرها واباح قطعها بذل الخيانة فهي حكمة للباري جل وعلا وحدودا وجبها على خلقه من امر ونهي وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمي جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجدا للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عدم) يعني كثيرة لان سراق المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة في السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهي ان يتقرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى ان يخر للسجود لملازم الغيوب فياخذ هو الاخر المركوب واما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة ولا العبادة وغالبهم لا يدخل الجامع الا لغزل الصوف والفل او لحساب المال او ليستظل فيه اوان الحر وربما ربط فيه العجلة او البقرة ويجعلونه في الغالب محلا لمحادثتهم في الغيط والحيط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كانهم في زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف المتقدم ذكره اني اذا طلعت المدينة واكلت نحو الثرد كروشا ولم يبق معي شيء انلصص واتجسس واسال عن بعض الجوامع التي باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب واكل بها في كلامه هذا تورية اما انه يبيعها وياكل بثمنها او انهم يصدقونه حال خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التي خطفها علقة فيكون هذا اكل معنوي فانه في الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع في ايديهم يقطعونها على احبال رقبته يقال فلان اكل علقة اليوم بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على احبال رقبته فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة

ودراية بالامور وان كانت ارذل السرقات قيل ربعض الحذاق من اللصوص على بعض التجار وهو جالس في حانوته وبجانبه نعل له فاراد اللص اخذه فجاء لجانبه بحجة وحط رجله اليمنى في واحدة واراد ان يحط رجله اليسرى في الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى بعيدا بحيث لا يراه التاجر ولم ياخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه اين الثانية فقال له لا ادرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض الى فلان وقل له يصنع ولصرة مثلها فاخذها الغلام ومضى وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما رجع الغلام لسيده اتى اللص ومعه الفردة التى اخذها وقال للرجل لا تصنع للتاجر شيا فانه لقى الفردة الثانية واراها له وقال له هات الاخرى فاعطاه اياها فاخذ الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء غلام التاجر يطلبها اخبره بالقضية فرجع واخبر سيده فتعجب من حذق اللص وفعله * وقيل طلع الابوصيرى الاديب الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت الركن يشترى له مركوبا فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوب احمر مثل وجهك يا شيخ العرب فالتفت له الثانى من البائعين وقال له عندى مركوب مليح وحياة راسك وصار الجميع ينكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم يا مشايخ السوق انا رجل غريب تتوصوا بى فان جماعة اخبرونى ان المراكيب اليوم كثيرة ومن رخصها على اقفية اصحابها فقال الكل خلص تاره منا جميعا بما قاله بلطافة ثم قالوا له بالله انت الابوصيرى قال نعم فاكرموه واعطوه مركوبا احمر فاخذه ومضى حتى دخل على البدر العودى رحمه الله تعالى رئيس مصر فى الدخول فلما رآه وفى رجله المركوب قال له وجهك احمر يا ابوصيرى فقال له نكت بدرى ودخلت الحمام فكان الجواب اظرف من السؤال * ومما مدح به البدرى قول الابوصيرى المذكور حيث قال

البدر كمل بالدخول * وفيه انطوى واندرج
بوابه حلف بالطلاق * من يوم دخل ما خرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا فى شعر المتقدمين والمتاخرين واستعمله المتنبى فى مواضع من شعره قال ابن خلكان رحمه الله تعالى جاءنى صاحبنا جمال الدين الاردبيلى المجيد فى صناعة الالحان وغيرها وانا فى مجلس الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندى ساعة وكان الناس مزدحمين لكثرة اشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم اشعر الا وغلامه حضر وفى يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا ايها المولى الذى بوجوده * ابدت محاسنها لنا الايام
انى حججت الى مقامك حجة * اشواق لا ما يوجب الاسلام
وانخت بالحرم الشريف مطيتى * فتشرفت واشتاقها الاقوام

فطلبت انشد عند انشادى لها * بيتا لمن هو فى القريض امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام
فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لى انه لما قام من عندى وجد مداسه
قد سرق فاستحسنت منه هذا اللفظ انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير
الذى تمثل به هذا القائل لابى نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هارون
الرشيد ايام خلافته اولها

يا دار ما صنعت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام
ويقول من جملتها فى صفة ناقته
وتجشمت بى هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة قدام
تذرى المطى وراءها فكانها * صف تقدمهن وهى امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

(قيل) سرق رجل مركوبا واعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له ابوه
بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال
الولد وقد سرق منى لاخسرت ولا كسبت فضحك عليه ابوه وخلى سبيله
(وقيل) سرق باب دار ابى سالم القاضى فجاء الى باب المسجد وقلعه فقال له ما الذى
تصنع فقال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابى (وقيل) كان مع
ابى جحا زوجتان وكانت ام جحا ماتت فخرج ابوه يريد السفر فلما خرج
من باب الدار تذكر انه نسى مركوبه فصاح على ولده يا جحا هات المركوب
فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يا جحا ما يقول ابوك
فقال يقول نك زوجات ابيك فى غيابى فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل
فقال اسمعوا انتم منه وصعد فوق ثم قال الواحدة يا ابى والا الاثنين فقال
صدقتم الكلام فظنوا انه يقول له بل نك الاثنين وما مراده الا المركوب
فولع فيهم بالنيك الى ان حضر ابوه (وقيل) جلس العينى فى محل يشرف على
الطريق وكان عنده رجل من الشام من اعيان الناس فقال له يا سيدى يقولون
ان اهل مصر يقولون عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادى ارى الامر
عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادى عليه فقال العينى
هل فى مصر احتقر من هذا قال الرجل الشامى لا فقال اصبر حتى ابين لك
حذقه ثم ان العينى ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له مرادى فول
حار ولكن ما عندى دراهم وما عندها لا فردة مركوب فتعطينى بها فقال له الرجل
يا سيدى كل شئ بحسبه اطعمنا الله به قال فضحك العينى وتعجب الشامى من حذقه
وانعم عليه ومضى الى حال سبيله * ومن التورية قول بعضهم هجوا فى رجل

اسمه عوض مالقظه

سرموجتي قد سرقت * وضاق بي رحب الفضا
اتيت للسرو ضحى * اخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتي في الريف) اى شهوتى التى اشتهيتها وهى اكلى من الكروش وشبعى منها لانى ما وجدتها في الريف فاذا طلعت المدينة وفعلت ما تقدم ذكره قضيتها وحصل لى المراد وقوله (واشبع من الترمس) المراد به المملح بعد نقعه في الماء اياما فان اهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم اى يتنقلون به ايام الاعياد ويهادى به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع في بلاد المدن دائما وهو فاكهة الرياقة اذا طلعوا المدينة يفتخرون باكله هو والمقيلي وفي الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبي رحمه الله تعالى وهو ان من داوم على اكل الترمس كل يوم ملء كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (واكل مقيلي) اى واشبع من المقيلي وهو الفول المنبت المقلي بالنار ومن هذا سمي مقيلي وهو مشهور لا يحتاج للتعريف وقوله (والفو بقشرو) اى هو والترمس من شدة شوقى اليه لانى متى اردت نقشير الترمس والمقيلي طال على الامر لانى احتاج الى ان اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفى خاطرى ولا مرادى وايضا فان الناظم من اهل الريف والارياف ياخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره (ومن المناسبة) ان رجلا جلس هو وغلامه في محل ظلام ياكلان زبيبا فقال لسيده كل زبيبة زبيبة وانا الاخر مثلك فلما فرغا من الاكل قال له يا عبد الخير انا طمعت عليك بقيت اكل اثنين اثنين فقال له يا سيدى ان كنت اكلت اثنين اثنين انا بقيت اسف سفا والعرب من عاداتهم انهم ياكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالخمسة ويجدون في هذا الفعل لذة وحلاوة قال الشاعر

هنيئا لاصحاب البيوت بيوتهم * ولا كلين التمر اخماسا اخماسا

وبعضهم يقشر الترمس والمقيلي واحدة واحدة واهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ما ارى توقيف) يعنى ما اتوقف في لفه بقشره ومراده باللف الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك * ثم ان الناظم تمنى ان ياخذ له لبدة فقال

ص واخذ لى لبدة وكرمشنير * وانزل كما كلب ابن ابو جعيف

ش قوله (واخذ لى لبده) هذا ايضا من جملة قوله لابن بنت عريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا استغنى السعد في سرقة الزرابين وبعتها واكلت

بثمنها اكلا حسيا او معنويا كما تقدم وبقي معي شيء ولو خمسة انصاف اخذت
لي لبدة جديدة بنصف من الخمسة (و) اخذت بالاربعة (كرمشنير) اي
شدا حواشيه غزل احمر فانه يسمى عند اهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر
منهم يقال فلان اليوم لابس لبده وكرمشنير يعني انه بقي من اكابر الكفر
فالناظم تشوق الى هذا الامر يعني انه اذا طلع المدينة وهون الله عليه
بسرقة الزرائب ياخذ ما في مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكرمشنير في قوة
وشهامة مثل الكلب الاتي ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف)
وكلب ابن جعنيف هذا كان مشهورا في الكفر بالقوة والشجاعة والنط على
الكلاب وخطف العيش واكل البيض فكان الشخص من اهل الكفر اذا انعم الله
عليه بلبدة وكرمشنير يقولون فلان اليوم اصبح مثل كلب ابن ابو جعنيف
اي في القوة والشطارة والسرقة حتى يستر نفسه وكسا روحه وبقي من الاكابر
كما انك تشبه الانسان في الخسة بالكلب والخنزير فتقول انت مثل الكلب
مثلا وابو صاحب الكلب كني بابي جعنيف وجعناف او جعنوف على ما قيل
لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جعناف ثقيل الدم مهذار في الكلام
من غير فائدة كما رايته في القاموس الازرق والناموس الابلق
ومن المناسبة لثقالة الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهورة في كتاب
الف ليله وليله وهي ما اتفق ان رجلا من اكابر الشام صنع وليمة
وخرج يدعو الناس لها فراى شابا غريبا ظريف الشكل لطيف الذات
بديع الحسن والجمال الا انه اعرج فدعاه الى الوليمة فاجاب ودخل به على
الجالسين في منزله فقاموا له اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما اراد
الشاب ان يجلس راى بين القوم انسانا مزينا فامتنع من الجلوس
واراد ان يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له ما سبب
مجيئك معي ودخولك الى منزلي وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتي فقال
له الشاب بالله يا مولاي لا تتعرض علي فان سبب هذا كله رؤيتي لهذا
النحس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال ثقيل الحركة
قليل البركة فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرين كلام الشاب في حق المزين
كرهوا مجالسته وقالوا للشاب ما بقينا والله ناكل حتى تذكر لنا ما وقع لك
مع هذا المزين فانا كرهناه من وصفك فيه فقال الشاب يا جماعة جرى لي
مع هذا الثقيل في بغداد بلدي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على اماق البصر
لكانت عبرة لمن اعتبر وسبب عرجتي وكسر رجلي هذا المنحوس فحلفت اني
لا اجالسه في مكان ولا اسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من اجله

وسكنت هذه المدينة وهي اقصى البلاد وقد نظرته عندكم وانا هذه الليلة ما بات
الا مسافرا فقالوا له حدثنا ما جرى لك معه فابى والحوا عليه هذا والمزين قد
اصفر وجهه واطرق براسه الى الارض واما الشاب فانه قال اسمعوا يا جماعة
ان والدى كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيرى فلما كبرت وبلغت
انتقل والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا جزيلا وخدما وحشما فصرت البس
واتنعم وانا في اهنى عيش فبينما انا ذات يوم من الايام ماش في زقاق من ازقة
بغداد اذ رايت مصطبة فجلست عليها لاستريح فاذا بصبية كانها الشمس لم تر
عيني اجمل منها طلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما نظرت اليها تبسمت
ثم انها اغلقت الطاق ومضت فاشتغلت في قلبي النار وشغلت بحبها ومكثت
قاعدا على المصطبة غائبا عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضي المدينة راكب
على بغلة وقدامه العبيد والخدم حتى اقبل على هذا البيت الذى فيه الصبية
ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتي وانا مكروب وزاد على العشق والهيام
واعتراني الضنا فمرضت بحبها واستمريت على هذا الحال اياما واهلي يبكون على
ولا يعرفون حالى الى يوم من الايام دخلت على عجوز فلم يخف عليها امرى فقالت لى يا ولدى
انت ما فيك مرض غير انك عاشق فقم واجلس واطلعني على قضيتك وانا ابلغك
مرادك فاثر كلامها في قلبي وجلست واخبرتها الخبر فقالت لى ما صفة الموضع
الذى رايتها فيه فوصفته لها وقلت لها ان اباها قاضي بغداد فقالت لى
يا ولدى اعرفها واعرف اباها وانا ادخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من امها وابيها
وانما انا اسعى في اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا منى فطب نفسا وقر
عينا فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسى للاكل والشرب وقلت لها اسعى
وجميع ما تطلبينه خذيه منى فقامت من عندى وتوجهت اليها وجاءتنى
ثاني مرة ووجهها متغير وقالت لى كلمتها فشتمتني واغلظت على فلما سمعت
ذلك منها ازددت مرضا على مرضى وصارت العجوز في كل يوم تعودني فجاءتني
يوما وهي تضحك وقالت لى هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما
ذكرت لها انك مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لى اقرئيه منى السلام وطيبي قلبه
وقولي له ان عندى اضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجئ الى الدار
وانا انزل افتح له الباب واطلع به عندى في الطبقة واجتمع انا واياه ساعة ويخرج
قبل ان يعود ابى من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عني ما كنت اجده من الالم
وفرح اهلي ولم ازل مترقبا يوم الجمعة حتى اتى واذا بالعجوز دخلت على وقالت
هيئ نفسك واحلق راسك والبس احسن ثيابك وامض في الميعاد وازل
ما عليك من الاوساخ من الحمام فان معك في الوقت فسحة وخرجت من عندى

فعلت

فقلت لغلام من بعض غلماني امض الى السوق وائتني بمزين يكون عاقلا جيدا
قليل الفضول فغاب عني ساعة واتاني بهذا النحس لا كان الله له في عون فلما دخل
سلم علي فرددت عليه السلام فقال لي يا سيدي اني اراك ناحل الجسم فقلت له
اني كنت مريضا فقال اذهب الله عنك البأس والاحزان وجميع الآلام وامات
عنك الانتقام ولا زلت بك الاقدام وعافاك الله وشافاك ولا شمتت فيك
اعداك وهناك بما اعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاك فقال لي ابشر
يا سيدي فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى ثم قال لي تريد يا سيدي
ان تقص شعرك او تفتصد ما فانه قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
من قص شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروي عنه ايضا
انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا قم
الآن واحلق راسي ودع عنك الهذيان ولقلقة اللسان فاني ضعيف من اثر
المرض فادخل يده في حرمدانه واخرج منديلا كان معه ففتحه فاذا فيه
اصطرلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع راسه الى شعاع الشمس ونظر
فيه ساعة وتامل طويلا وقال اعلم يا سيدي وفقك الله وهداك ورعاك
وعافاك وشافاك وهداك انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن
عشر صفر الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم بعد خمسة الاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام وثلاثة
الاف وعشرون سنة من تاريخ اسكندر الرومي واربعة الاف سنة من التاريخ
الفارسي والطالع في يومنا هذا على ما اوجب في الحساب من المريخ ثمان درجات
وست دقائق اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه في تسديسه على
ان اخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاي ايضا على انك تريد الاجتماع بشخص
والطالع في هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له يا هذا والله لقد اضجرتني
وضيقت انفاسي واصغرت روحي وفولت علي بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك
للنجامة ولا لشيء من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتاخذ شعري فافعل
ما دعوتك له ومن اجله ودع عنك ما لا اريد والا فاذهب عني ودعني احضر لي
مزينا غيرك فقال يا مولاي الحمد لله انت طلبت مزينا فمن الله عليك بمزين ومنجم
وطبيب وعارف بصنعة الكيميا والسيميا والنحو واللغة والمنطق والمعاني والبديع
والبيان وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب والصرف والعروض والانشاء
وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشيا
وركبتها وانما كان سبيلك ان تحمد الله على ما اعطاك وتشكره على ما اولاك فقد
قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

العلماء ورثة الانبياء وما بجهد الله عاجز عن الفضيلة حتى تقول لى هذا القول وانما
اشير عليك اليوم ان تعمل ما اقول لك عليه فى حساب الكواكب فانى ناصح لك ومشفق
عليك واود لو كنت فى خدمتك سنة لان حقك على واجب وحق ابيك قبلك واجب
ولا اريد منك اجرا ولو فعلت ذلك لكان اسر الاشياء الى قلبى وكل هذا لاجل
منزلتك عندى واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندى اياد متقدمة
وله على فضل لا يحصى لانه كان يحب خدمتى له وما كان يخدمه احد غيرى لما راى
من كثرة ادبى وقلة كلامى وحسن صنعتى وخفة يدى فلهذا كانت رغبته فى
وكان يحبنى كثيرا لقلة فضولى فخدمتى لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام
قلت انت اليوم قاتلى لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال
يا مولاى ومثلى من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله
عليه اذا حضرت عنده يتمنى ان اتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمى ويلتقط
من درر نطقى وفهمى وينظر الى حسن صنعتى ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق
والثانى اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسوانى والخامس
اسمه الفشار والسادس اسمه الزعقوق وانا لقلة كلامى يسمونى الصامت
وان اردت ان احكى لك عن اصلى وفصلى ونسبى وحسبى وما جرى لاخوتى الستة
من اول الزمان الى آخره فاسمع ما اقول فلما اكثر على الكلام واطاله بلا فائدة
امرض قلبى وخشيت ان مرارتى قد انفطرت فقلت لغلامى ادفع له اربعة دنانير
ودعه يروح عنى لوجه الله تعالى فما بقيت احلق راسى فى هذا اليوم فلما سمع
ما قلته لغلامى قال لى هذا الخسيس الخبيث ايش يا مولاى هذا الكلام ايمان المسلمين
تلزمنى لا آخذ منك اجرة حتى احلق راسك ولا بد لى من خدمتك فانها واجبة
على واصلاح شانك لازم لى ولا ابالى بعد ذلك ان اخذت منك شيئا او لم آخذ
فان كنت يا مولاى لا تعرف قدرى وحقى فانا اعرف حقك وقدرك لمقام والدك
عندى فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد فجع الناس فيه وكان والله جوادا
عظيما كريما حليما سخيا محبا للاخوان ارسل خلفى مرة فى نهار جمعة مثل هذا اليوم
المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال افتصد لى دما فاخرجت
الاسطرلاب واخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فاعلمته
بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع واقضى حاجة مولانا
ففرح بكلامى وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان احد غيرك لكان اخرج لى الدم
وشكرنى لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب
فانشدت اقول

*

اتيت الى مولاى افصد دمه * فلم ارو قتا يقتضى صحة الجسم

* جلست احدثهم بكل عجيبة * وبين يديه انثر العلم من فمي *
* فاعجبه مني السخا وقال لي * تجاوزت حد الفهم يا معدن العلم *
* فقلت له يا سيد الكل في الورى * افضت على الفضل لا زلت في حلم *
* لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والعلم *

فلما سمع ابوك رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فاعطاني ما امر لي به ثم اخذت الطالع فوجدته جيدا فاخرجت له الدنانير ثم ان هذا الشخص صار يزيد في كلامه ويهذي بانه فقلت لا رحم الله والدي الذي عرف مثلك قال فضحك هذا الشخص من كلامي وقال لا اله الا الله سبحان من يغير ولا يتغير ما اظن الا ان المرض غيرك لاني ارى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما اظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ويروى عن انس بن مالك انه قال من ارضى والديه فقد ارضى الله تعالى ومن اسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واس الفقير اذا ما كنت مقتدرا * على الزمان وللاحسان فاغتنم
الفقر داء دفين لا دواء له * والمال زين يزين المنظر الشيم
وافش السلام اذا ما جزت في ملا * والوالدين فكن عونا لبرهم

لكن يا سيدي انت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وابوك وجدك ما كانا يفعلان شيئا الا بمشورتي وقد قالوا في المثل من لم يكن له كبير فليتخذ له مشيرا قال الشاعر

اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه

وما تجد احدا ادرى بالامور مني ومع ذلك اني واقف بين يديك على اقدامي ملك وما ضجرت منك فتضجرات مني فقلت له يا هذا لقد اطلت علي واوجعت راسي من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عني واظهرت له الغبن واردت ان اقوم وقد دنا مني الوقت الذي انا منتظره والموعد الذي انا طالبه وانا في كرب من هذا الشخص وكثرة كلامه فقال يا مولاي انا ما اعتب عليك ابدا وانا متعجب منك الذي رايتك بهذه الحيلة وانا كنت بالامس باحملك على كتفي وامضي بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق راسي ودعني فقال فعند ذلك لما راني غضبت اخذ الموس وسنه وتقدم الى راسي وحلق منه بعض شعر ثم رفع يده وقال يا مولاي ان العجلة من الشيطان والتأني من عند الرحمن قال الشاعر

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * وما من ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التأني واظنك مستعجلا وانت قاصد حاجة وانا اخشى ان تكون حاجة
غير موافقة وامر غير صالح فاخبرني فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده
واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد
ولا تنقص فقلت له بالله يا هذا اسكت عني فقد ضيقت على الدنيا وقد دهقت روحي
منك فتقدم واخذ الموسى وحلق شيئا يسيرا ثم رماه وصار يهدر على في الكلام الى
ان مضى ساعتان وبقي ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد لا ادري كيف
السبيل في الدخول اليها فقلت له احلق راسي بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فاني اريد
ان اتوجه الى دعوة عند اصحابي فلما سمع هذا النحس بذكر الدعوة قال لي انا لله وانا اليه راجعون
والله يا سيدي ذكرتني جماعة ضيوف عندي ومرادي اصنع لهم طعاما وما عندي شيء وانت
تحضر لي بجميع ما اطلبه ولا اروح الا وايالك ولتشرفني اليوم وتنجيني اسمن من ولمهم اصحابك
فقلت خذ ما تريد واحلق بقية راسي ودعني في حالي فان الوقت ضاق ولا لي حاجة *
في الذهاب الى منزلك واحضرت له جميع ما طلبه حتى البخور والعود ومرادي ان الله يصرفه
عني حتى امضي الى مطلوبي فقال لي يا سيدي وانا الآخر عندي جماعة منهم زيتون الحمامي
وصليع الفاهي وسلطوح الفوال وعكرشة البقال وسعيد الجمال وسويد العتال وحميد
الزبال وابو عكاش البلان وقسم الحرفان ولكل واحد منهم قصة ان اردنا حكيناها
لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغني على المزمار وفي وصفه اقول

روحي الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمائل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به ليلا فقلت له * والشوق ينقص مني كان زالا
اضرمت نارك في قلبي فقلت وفي * لا غرو ان اصبح الوقاد زبالا

فامض معي يا سيدي الى اصحابي واترك اصحابك فانك تمضي الى ناس يكثرون من الكلام
فيشوشون عليك واما انا فاني مثل اسمي صامت ولا اكثر الكلام وكذلك صيوفي
لا يتكلمون كلاما كثيرا فاذا توجهت معي اليهم تأنس بي وبهم في هذا اليوم في منزلي والحق اخاف
عليك من الذين انت قاصدهم ربما يكون فيهم واحد فضولي فيوجع راسك وانت قد صفرت
روحك من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادي امضي الى اصحابي وامض انت الى اصحابك
فقال هذا النحس معاذ يا مولاي ان اتخلى عنك وادعك تمضي وحدك فقلت له يا هذا
ان الموضع الذي انا ماض اليه لا يقدر احد يدخله غيري فقال اني يا مولاي
اظنك اليوم في ميعاد واحدة من احبابك واصحابك بك تريد الخلوة معها
لاجل الحظ وللخلاص والانس والمنادمة معها والا كنت تأخذني معك
وانا احق من جميع الناس واساعدك على ما تريده وانا خائف
ان تكون امرأة اجنبية مخادعة تحتال عليك وتفعل معك شيئا وعلى
فان مدينة بغداد ما يقدر احد يفعل فيها شيء والي بغداد جبار وربما

يصدقك منها ولا يخبره احد بخبرك فيرمي رقبتك فقلت له يا اخس الناس يا منحوس
ايش هذا الكلام الذي تقابلني به وقد ملأتني غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة
فلم يزل يلج علي حتى فرغ من حلق راسي فقلت له الآن امض الى اصحابك بهذا الطعام
وانا منتظرك الى ان تعود وتمضي معي ولم ازل اداهنه ولعلي اخادعه وهو
يقول لا امضي الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له اني انتظره
فاخذ جميع ما اعطيته له وخرج ثم انه ارسله مع حمال الى منزله واخفى نفسه
واما انا فقد قمت من وقتي وساعتي وقد سلم المؤذن وضاق الوقت
فلبست ثيابي وسرت مسرعا وحدي الى ان اتيت الزقاق ووقفت على الدار التي
رايت فيها الصبية وهذا النحيس المزين خلفي ولم اشعر به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت
فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرني فطلعتني الطبقة التي فيها الصبية فلم اشعر
الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق
ورايت هذا المزين المنحوس قاعدا على الباب فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون
من اين علم هذا النحيس بي حتى ساقه الله لهتك ستري ثم ان صاحب الدار
ضرب جارية من جواره فاتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح فاعتقد هذا
الكلب المزين انه يضربني فصاح ومزق ثيابه ووضع التراب على
راسه وصار يقول قتل سيدي في بيت القاضي واسيداه فاقبل اليه الناس
ثم مضى الى داري والناس خلفه واعلم اهلي وغلماني وقال لهم سيدي
قتل في بيت القاضي فجاؤوا لي صارخين فسمع صاحب الدار الضجة
والناس يقولون له تقتل في دارك اولاد الناس * والمزين
يقول واقتيلاه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه وهذا
النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال يا قوم ما هذه
القصة فقال له المزين قتلت سيدنا في دارك وتسألنا ما هي القصة
فقال له القاضي واين سيدك حتى اقتله فقال له هذا
الخبيث المزين انت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن ما بقي
له حس وسبب ذلك انك قتلته فقال له القاضي ومن ادخل سيدك
في داري فقال له عاشق بنتك وقد دخل لها وانت في صلاة الجمعة
حكم الموعد الذي اوعدتم به فلما جئت ورايته ضربته وقتلته وما
بقي يفرق بيني وبينك الا السلطان او تخرجه من
بيتك في هذه الساعة فقال له القاضي وقد اعتراه الحياء والخجل
من الناس ان كنت صادقا ادخل انت واخرجه فنهض هذا
الكلب هذا المزين النحيس الشقي فلما رايته طلبت طريقا اخرج منها او موضعا

اهرب فيه فلم اجد غير صندوق كبير فدخلت فيه ورددت على الغطا
وقطعت النفس وكتمت النفس فالتفت هذا الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق
في المحل الذي كنت فيه فاتى اليه وحمله على راسه وقد ذهب عقلي وخرج
بي مسرعا فلما علمت انه لا يتركني حملت نفسي ورميت روحي من الصندوق
الى الارض فكسرت رجلي وخرجت فرايت خلقا على الباب مثل التراب فصرت انثر
الدنانير على روسهم فالتهوا عني فصلي غلماني وعبيدي على عوائدهم وصاروا
يجروا لي في ازقة بغداد وهذا النحس المزين يجري خلفي ويقول الحمد لله يا سيدي
الذي خلصك من القتل وانا وراك لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت
القاضي وعشق النسا صعب وصار يشنع علي ويهتكني الى ان ادخلني
عند الى دكان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عني فقام عليه البواب
وطرده وقد زهقت روحي واشرفت على الهلاك واحضرت فقيها
وكتبت وصيتي وارسلتها الى اهلي واخذت معي بعضا من غلماني
وجانب دراهم وسافرت من بلدي بغداد وما نقلت منزلي بسبب المصيبة
التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا اسكن في بلدة فيها هذا
النحس فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لي طبيبا وصار يداويني حتى
شفاني الله تعالى ولكن حصل لي من ذلك الكسر عرجا فهذا اول يوم
خروجي من منزلي وقد قابلتني ودعوتني اليك ولبيتك فلما رايت هذا النحس
جالس عندكم ما طاب لي الجلوس ولا الاكل وانما اسال فضلكم ان تسمحوا
لي بان اخرج من عندكم لاجل خاطر هذا المنحوس وهذه يا جماعة قصتي
قال فالتفتوا اليه وقالوا له هذا الكلام صحيح فرفع راسه وقال نعم
بحمد الله الذي سخرني لم خلصتم وانكسرت رجلكم قال كسر رجله احسن
من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل لله تعالى فقالوا له الحاضرون
قاتلك الله هتكت الشاب وغربته عن اهله وفضحت قاضي بغداد
ثم انهم نهروه وطردوه من عندهم واكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما
فعله معه هذا النحس وتفرق كل منهم الى حال سبيله *
وفي الغالب كثرة الكلام عند ارباب هذه الصناعة عادة
معروفة وطبيعة جبلية توجد في كبيرهم وصغيرهم خصوصا هذا النحس
ومن المناسبة لذلك ما قاله العلامة القليوبي في نوادره وهو ما حكي عن
الفضل بن الربيع انه قال قال لي الرشيد يوما اطلب مني مزينا ما اسكت
من الحجر فقلت له ان لي غلاما اديبا له معرفة تامة فقال ابعثه الي
فبعثته واكدت عليه انه يلزم السكوت ولا ينطق بشي وان شاهد ما شاهد

اهبة واكدت عليه ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا
منقبضا فقال يا فضل ان لذلك الغلام شانا وانا لا اراه ابدا
بعد ذلك اليوم ثم اني سألت فراشا مختصا به عن خبره فقال يا فضل
لما ان الحاجم حجمته اي امير المؤمنين فلما بدا بالحجامة قال يا امير
اني اسألك عن شيء فقال له ماهو قال قدمت عهدا على المأمون والمأمون
اسن منه فقال له اخبرك به اذا خلصت ثم قال له ثانيا لم قتلت جعفر بن يحيى
البرمكي فقال له اخبرك به اذا فرغت وقال له ثالثا واسألك
لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد اطيب منها فقال له نحو ابيك عن ذلك
اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد
قبل ان تقتله فانه سألني عن ثلاث مسائل لو سألني عنها المنصور فما اجبته
قال الفضل فبينما انا جالس اذ دخل ابو دلامة على الرشيد باكيا وقد
تواطأ مع ام دلامة انه يدخل على الرشيد وهي تدخل على زبيده فلما مثل
بين يديه بكى فقال له الرشيد ما يبكيك فقال

وكنا كزوجي قطا في مفازة * من الامن في عيش رخي وفي رغد
فافردنا ريب الزمان بصرفه * ولم ار شيئا قط اوحش من فرد

ثم اعلن بالنحيب وقال يا امير المؤمنين ماتت ام دلامة وانا
محتاج الى تجهيزها فامر له بمال وكانت ام دلامة قد دخلت على
زبيده وقالت لها ان ابا دلامة مضى الى سبيله فاعطتها مالا
تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيده فقالت له زبيده
يا امير المؤمنين مالي اراك حزينا يا امير المؤمنين فاخبرها الخبر
فضحكت وقالت الان خرجت ام دلامة من عندي لتجهيز ابي دلامة
فضحك هو ايضا وقال والان خرج من عندي ابو دلامة لتجهيز ام
دلامة فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا فعجبت منه كيف دخل حزينا
وخرج مسرورا فاخبرني بما حصل فشفعت حينئذ في الحجام
فقبل شفاعتي واطلقه واستحضر ابا دلامة وقال له ما حملك
على هذا فقال الكيس يا امير المؤمنين لاني رأيت انه لا يتوصل
الى اعطاء امير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلتهما
واذا احتاج انسان الى مشاورة فليشاور حكيما فان المشاورة
مطلوبة شرعا وقد اثنى الله تعالى على عباده بالمشاورة فقال تعالى
وشاورهم في الامر وهو تشريع للامة وقال تعالى وامرهم شورى
بينهم وقال صلى الله عليه وسلم اذا كانت امراؤكم خياركم واغنياؤكم

سمحاؤكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم
من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم
وامركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها *
* (رواه الترمذى عن ابى هريرة) * * وانشد ابو القاسم
الحبيبى قال انشدنى ابو عثمان

شعر

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه
وان باب امر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه
ونص الحديث لاهله * فان الامانة فى نصه

وانشد ابو القاسم الحسن قال انشدنا ابو بكر محمد بن المنذر
قال انشدنا ابو سلامة المؤدب

شاور صديقك فى الخفى المشكل *
واقبل نصيحة ناصح متفضل *
فالله قد اوصى بذاك نبيه *
فى قوله شاورهم وتوكل

وقال يحيى البرمكى ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب
والرسول وسمع ابو الاسود الدؤلى رجلا يقول

شعر

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه

فقال قد اخطأ قائل هذا البيت ايعلم الرسول الغيب وان لم توصه
انت فكيف يعلم ما فى نفسك انه قال

اذا ارسلت فى امر رسولا * ففهمه وارسله اديبا
ولا تترك وصيته بشئ * وان كان هو ذا عقل اريبا
فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على ان لم يكن علم الغيوبا

ثم ان الناظم عرج على مشايخ الكفر باسمائهم فقال

ص ويجلس بجنبى ابن جرو وابن كل خره * وابن كل النضف وضيف
وابن فسا التيران وابن الحس خره * وفلوط والزبله وابن كنيف

ش قوله (ويجلس بجنبى) يعنى مشايخ بلد الناظم الذين افتخر
بذكرهم واجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا نزلت من
المدينة وانا كالمتلف المنهدم ذكره واجلسه مشايخ البلد المذكورون
ويجلسوا بجنبى وهم ثمانية رجال * الاول

(ابن جرو) الثانى ابن كل حره الثالث ابن كل الصك التضيف اى المتراسل
بعضه اثر بعض حتى يحلى القفا مثل عام سيدى احمد البدوى
مثلا وقيل الصك التضيف شرطه ان يكون من رجل شديد ويكون
قفا الشخص مصليا خاليا عن شئ يمنع عنه الصك بالاقلام ويراسله
بالصك بسرعة وعجلة حتى يحمر قفاه فعلامة تضاعف الصك احمرار
القفا وورمه * (وضيف) * هذا فعل امر على لغة اهل الريف فى
كونهم يثبتون حرف العلة فى فعل الامر كقولهم فى قم قوم بالواو
وفى ضف ضيف بالياء وفى نك نيك بالياء والمعنى انه يقول
له ضف الصك على الصك اى اجعله متتابعا لا ينقطع
بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كانه ضربة واحدة فان المضاف
والمضاف اليه كالشئ الواحد ويحتمل ان يكون قوله وضيف من الضيافة
واتى به لتمام البيت (و) الرابع * (ابن فسا النيران) سمى بذلك
لان اباه كان انقطع مدة فى داره لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء *
فاتخذ له محلا بين النيران يسمى طوالة وصار يفسى فيها ليلا ونهارا
فصار كلما شم احد رائحته يقول له ما هذا فيقول فسا النيران
فسمى بذلك (و) الخامس * (ابن خرا الحس) * سمى ابوه بذلك لكثرة
لحسه من الجلة وهو صغير وقلع عرقيته ووضعها على الارض
وصار يخرا حتى ملاها وصار يلحس من حواليها فسمى بذلك *
(و) * السادس قلوط مشتق من القلط على وزن الضرط والحلط
يقال فلان غلظ قلوطه يعنى انه شبع من الرزق وبقى فى الحظ
عظيم الامر يجلس مع النصارى ركبة بركبة ويلبس اللوطا الاحمر
والشد المشجر * (والسابع) * من مشايخ البلد الزبلة
سمى بذلك لانه كان فى صغره مشغولا بلم الزبل من محل مرعى الغنم
ومن السكك والكيمان وبيعه وكان هذا سبب لسعادته
وكان بينه وبين قلوط صداقة فى البلد فكان قلوط دائما
فيهما لا يفارقها والزبلة تارة يسافر وتارة يقعد فيها *
وكان قلوط هذا فى وسطها سواء بسواء والزبلة فى طرفها
وكانوا يهادون بعضهم بعضا وبينهم محبة ومودة
واتحاد غالبا ومناسبة لان الزبلة قريبة من القلوط وان
كان القلوط ارق منها لكن ابن خرا الحس اعظم واكبر
من الكل واشهر من الجميع ولذلك اذا ناديت احدا منهم فى البلد

بلسانك الى خرا الحس * وتجده فى وجهك *
ومن النوادر ان بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه
اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له يا خرا افعل كذا وكذا
فقال له الكاتب يا مولاى لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم
القدر لانه من ارباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك
الحس موضع الخرا بلسانك ولا تخل فيه اثرا
(والثامن) * (ابن كنيف) وكان شهيرا معروفا موصوفا يقصده جميع الناس
من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديما لغلوط
وابن خرا الحس قال بعضهم مواليا
* وطواط عشق خنفسا وصبح بها محجوب *
* وبنا لها قصر جوابيته خلا من طوب *
* وحضر النقل والماكول والمشروب *
* ما للنديم الخرا الا لدى المحبوب
ثم ان الناظم لما تمنى ان يجتمع عند هؤلاء الجماعة ليحصل له بهم السرور ويفرح
وينشرح بهذه اللمة عنده قال
ص واقرح باللمة وينشرح خاطرى * وهذا مرادى يا ابن بنت عريف
ش هذا الكلام خطاب لابن بنت عريف ومراده الفرح والسرور ويقول انى قد كبرت
والزوجة صارت عظيمة زادا من الله على طالبيه يبغى رزق مراتى فانه رزاق كريم قال القائل
يا من طلب رزقى ونالو * وقال يبغى رزق امراتى
فوفى المدجاسرج دقنك * لا بد لك عن خبراتى
او انه اختص بالطلب لنفسه وقال لعقله المرا تاكل خرا والمدقن
ولا دقنى ثم انه ختم كلامه بالصلاة والسلام على النبى صلى
الله عليه وسلم فقال
ص واختم قصيدى بالصلاة على النبى * نبى عزى مكى شريف عفيف
ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى
كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره
وفى الشفاء لابن سبع عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة على
فانها تطفئ غضب الرحمن وتوهن كيد الشيطان وبالجملة فالصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم كثيرة مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملالى فى شرح
ام البراهين ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك

ما روي ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلها رياء فهي مقبولة بلا شك * وقد روي * ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدائه وفي انتهائه الخ قال روي عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من المياه الباردة وان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة سلام الله تعالى على اهل الجنة فناهيك بها من منة قال في كشف الاسرار (وعن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه مرفوعا من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطني وحسين العراقي كما في مسالك الحنفاء وذكره السيوطي مقيدا له بكونه بعد العصر والله اعلم (خاتمة) في ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان مر منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام لبعضه آنفا (قيل) تزوج بعضهم بامراة مات عنها خمسة ازواج فلما مرض هذا السادس صارت تبكي وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الى التاسع الشقي (وحكي) ان بعض الظرفاء كان يكثر الشراب سرا وكان عليه حجر من ابيه فبلغ والده ذلك فتتبع اخباره الى ان رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ما هذا فقال هذا لبن فقال ويحك اللبن ابيض وهذا احمر فقال الولد صدقت انه كان ابيض فلما رآك خجل واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحي فخجل ابوه وتركه وانصرف (وقيل) كان رجل نحوي اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اشتغل به قال له يا ولدي حركة الاعراب فانه فاعل بلا ارتياب ومده الى ما يستلزم كالمد المتصل واجعل الهمز له لئلا ينفصل واطال الكلام فدخل عليه رجل يسمى عمرا فضحك زيدا وقال له اعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجري ويقول واعرب وخرج بكر هاربا * وقيل * مرض رجل نحوي وكان بعيدا عن اهله فرأى غلاما يعرفه من اولاد جيرانه فقال له امض الى اهلي وقل لهم انني قد اضنانا داء وجع ركبتيه واذى عصيته واسقم بشرته وزاد علته واسهر مقلته واجرى عبرته وصار يكثر على الغلام من هذا الكلام فقال له الغلام اختصر انا اقول لاهلك مات ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده اوصني فقال اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا ترد على قولهم ولا تنكرها فانك اذا كررتها فاتتك مضغة ثانية تنجرح بها نفسك (وقال بعض الطفيلية) اذا الشمس على الفقير ولم يتغذ نادى مناد من سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب وقيل جاء رجل الى امراة بلحم فقال لها اصلحي بعضه فانه ينفع البطن واقلي بعضه فانه ينفع

المطهر واشوى بعضه فانه ينفع للجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا حطب والاولى انا نشوى الجميع (وحكى) ان بعض الظرفاء امتدح بعض الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فأخذها على كتفه وخرج بها فمر به بعض اصحابه فقال له ما هذا قال انى مدحت مولانا الامير بقصيدة من احسن القصائد فخلع على خلعة من احسن ملابسه فبلغ الامير ذلك وضحك وارسل خلعة واجازه بجائزة حسنة (وحكى) عن الاصمعى انه قال رايت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال اسود فقلت لها ما اسمك قالت مكة فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها قصدى ان اطوف بالبيت واقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فاخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت ادخلوها بسلام آمنين ان شئت تقبيل الحجر الاسود وان شئت ادخل الحرم قال فاذهلني حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امراة جميلة ومعها ولد جميل فزنا الرجل بالمراة ولاط بالولد فقالت المراة للولد اعرفه فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض امره على الحكام فقال لها الولد اما انا فكان ظهري لوجهه واما انت فكان وجهك لوجهه فمعرفتك له ابلغ من معرفتي اياه (ومات مجوسى) وعليه دين وترك ولدا له دار فقال بعض غرماء الميت لولده لم لا تبيع دارك وتسدد دين ابيك وتخفف بها عنه فقال لهم الولد اذا بعت داري وقضيت دين ابي هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه في النار وانا في الدار (وقال المأمون) ليحيى بن اكثم وهو يعرض له من الذى يقول هذا البيت

قاض يرى الحد فى الزناء * ولا يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضى يحيى او ما يعرف امير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر احمد بن ابى نعيم الذى قال

اميرنا يرتشى وحاكمنا * يلوط والراس شر ما راسى

لا ارى الجور ينقضى وعلى الـ * ـامة وال من آل العباس

فالحم المأمون وسكت خجلا (وارسل) بعض المغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتى * يسيل المخاط على لحيتى

وليتك عندى اذا ما خريت * يكون لسانك فى ... ـتى

نسيمك عطر ماء السما * واورثنى الويل فى ركبتى

اذا لم تزرلى انا مدنف * فان الهوى سهل معدتى

ومما ينسب للحريرى رحمه الله تعالى

وعرص وقد واظلم و بالفحش وافتخر * فما رفعت دنيا لمدخر ولا نفقه
وما فيك غير الدين عيب لن ترى * بدهرك الا الحادا وزنادقه

ومثل ذلك قول الابوصيري الاديب

ستة في الهوى افعالهم * بعد الموت بهم تذكر
تحول وعرص وافسق * وغن وقامر واسكر

ونختم هذا الكتاب بابيات من بحر الخرافات فنقول

تم كتاب الهلس والتحريف * وما جرى في وصف اهل الريف
جعلته جزئين باختصار * فجاء كالزبلة في النار
لكنه مع ثقل المعاني * وخبط عشوى يا ذوي العرفان
ولفظه الكثيف في المقال * وحشوه مسائل الهبال
ابياته جاءت كالحسن خرا * يا اوجه الاصحاب حقيقة لامراء
فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة او نصة مشاهده
واصل ما الجاني لفعله * وشرحه ونسخه ونقله
العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكي الفخر
شيخنا امام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والاداب
ومعدن الجود مع المطلوب * اعني الامام احمد السندوبي
جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم
والله يرحم من قرا كتابي * هذا ويرشده الى الصواب
ومن راى فيه عيوبا وخلل * وسدها فالشخص محل الزلل
ولا يلمني فالسماح افضل * واعذر اخاك مكرها يا بطل
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
على النبي الهاشمي احمدا * والال والاصحاب انجم الهدى
ما غردت ساجعة الاطيار * او لاح برق في دجى الاسحار

بحمد الله وعونه تم طبع هذا الكتاب المستطاب والحمد لله اولا وآخرا
ظاهرا وباطنا وصلى الله على
سيدنا محمد واله وكل
ناسج على منواله
امين
تم

